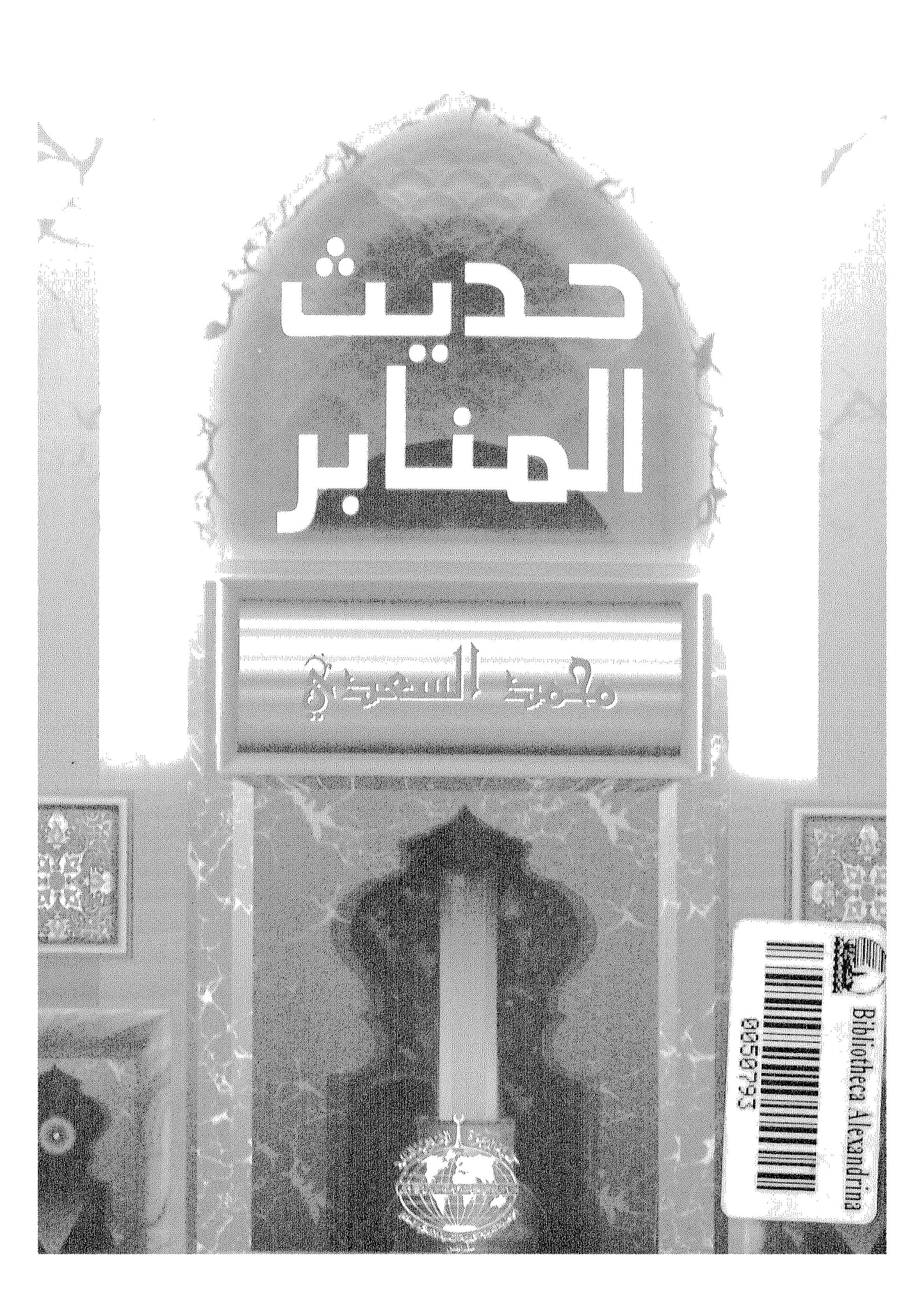


حديث المنابر
محمود السعدني
Bibliotheca Alexandrina

حديث

المنابر

الطبعة الثانية

1426 ميلادية

الإيداع بدار الكتب الوطنية

بنغازي رقم: 97/2390 افرنجي

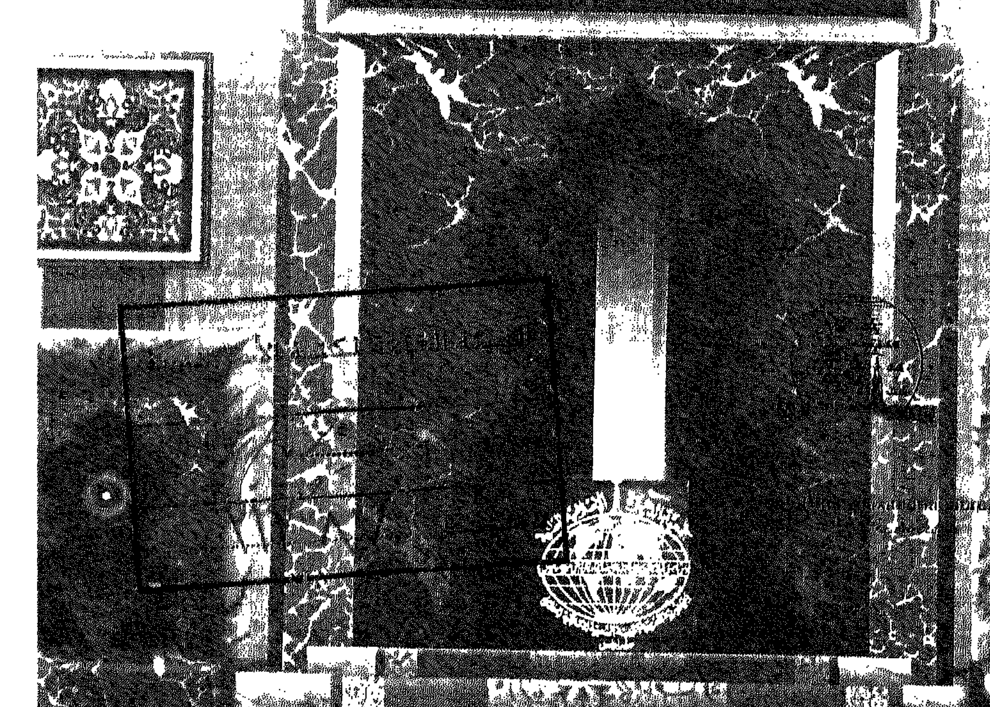
الجماهيرية العظمى

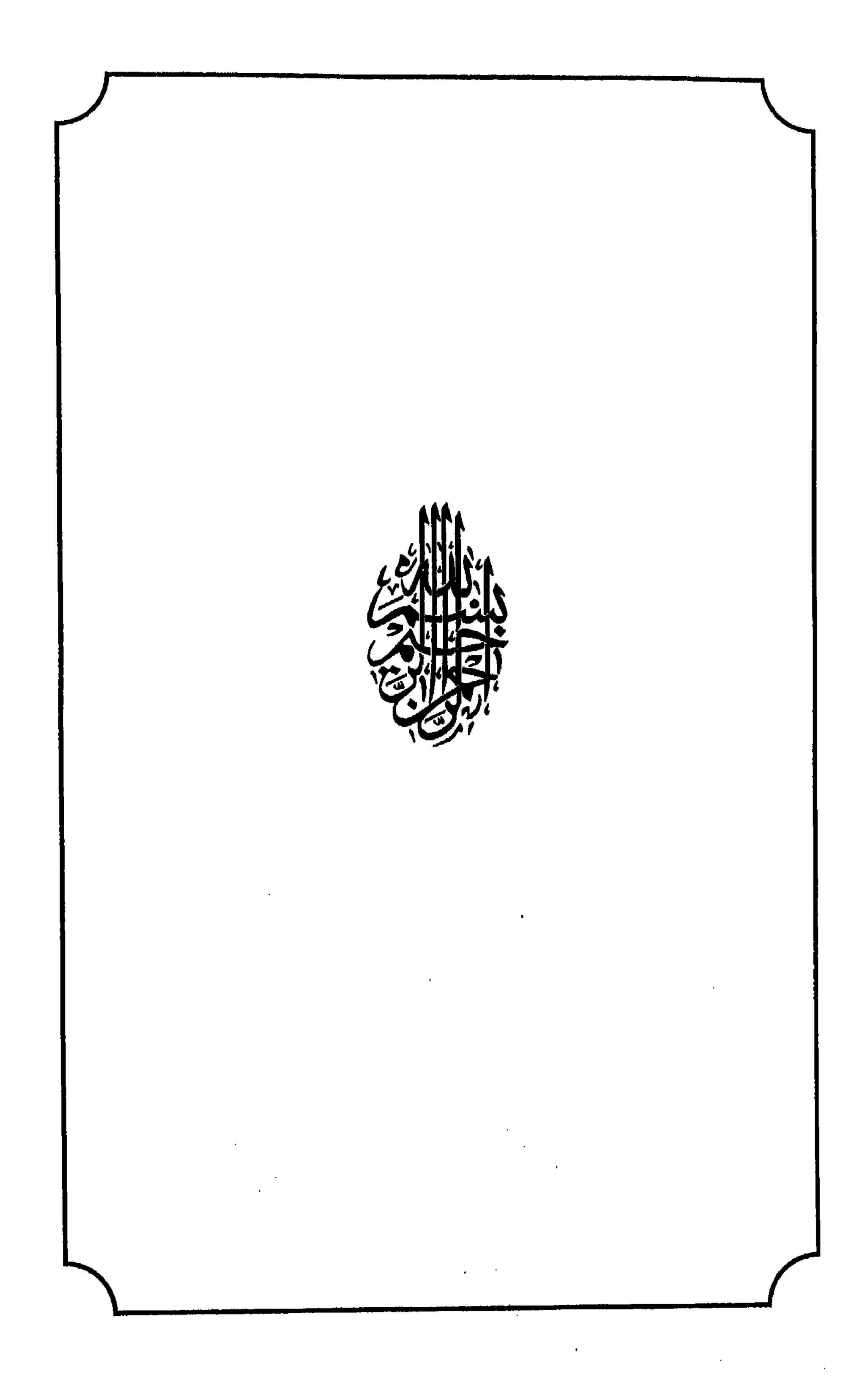
مَنشورَات



هاتف رقم 4800730 - 4800294 - بريد مصور 4800293 - ص.ب. 2662

طرابلس - الجماهيرية العظمى


حديث
المنابر
محمد السعدي




مقدمة
الطبعة الأولى

الحمد لله الهادي إلى سبيل الرشاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده بيده الخير والسداد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث لهداية العباد. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى أتباعه إلى يوم المعاد. وبعد.

فإن المساجد بيوت الله، أذن أن تُرفع ليذكر فيهااسمه، ويسبح فيها مجده، وتشكر فيها نعمه، وتلهج الألسنة بحمده، وتسجدَ الجوارح لعظمته، وتخشع الوجوه لقدرته.

أذن أن تُرفع ليجتمع فيها أحباؤه وأولياؤه، وعباده وأصفياؤه، لتأتلف قلوبهم بمحبته، وتتوحد صفوفهم بطاعته، وتطمئن نفوسهم بذكره، وتستنير عقولهم بهديه، وتسموَ أرواحهم بعبادته.

أذن أن تُرفع لتكون دُوراً للشورى يتشاور فيها المسلمون في أمور دينهم ودنياهم، ويجدون الحلول لمشاكلهم، ويتعاونون فيما يصلحهم ويسعدهم.

أذن أن تُرفع ليتكافل المسلمون ويتضامنوا، ويتوادوا ويتراحموا، فيعودوا المريض، ويعزوا المصاب، ويغيثوا المنكوب، ويواسوا المكروب، ويعينوا المحتاج، وينصفوا المظلوم، ويصلحوا ذات البين.

أذن الله أن ترفع لتكون جامعاتٍ شعبيةً مفتوحةً لجميع المسلمين، صغاراً وكباراً، نساءً ورجالاً، يتعلمون فيها مبادىء العقيدة، وأحكام الشريعة، وتلاوة القرآن.

وأذن الله أن ترفع ليحرِّضَ فيها المؤمنون على الجهاد لإعلاء كلمة الله، وطلب الشهادة في سبيل رضاه، وإعداد القوة لردع عداه، ومقاومة الاحتلال والعدوان، ومواجهة الظلم والطغيان.

ولذا لا عجب أن تنطلق «حيَّ على الجهاد» من المآذن، وتنطلق الدعوة إلى الكفاح من المنابر، وتنطلق مقاومة الاستعمار من بيوت الله، وتنطلق قوافل المجاهدين والشهداء من الجوامع وتنطلق انتفاضة الأرض المحتلة ضد أعداء الإنسانية الصهاينة من المساجد.

وخطبة الجمعة إنما جُعِلت لتساهم في تحقيق رسالة المسجد: فتذكِّر المسلمين بربهم، وتذكِّرهم بيوم البعث والحساب، وترغبهم في الجنة وترهبهم من النار، وتحضُ المؤمنين على طاعة الله، وتحثهم على التوبة من المعاصي، وتدعوهم للطهارة والتقوى، وترغبهم في الخير والمعروف، وتنفِّرهم من الفحشاء والمنكر.

وتدعو المسلمين إلى وحدة الصف، والتكاتف والتعاون، والتكافل والتضامن، وتحرضهم على ممارسة الشورى، وامتلاك سلطة القرار والتنفيذ. وتعالج مشاكل المسلمين، وتوجه سلوكهم ومواقفهم على هدى القرآن الكريم.

وتدعوهم إلى العمل والإنتاج من أجل تحقيق الكفاية وضمان الاستقلال والحرية.

وتتصدَّى للدجل والشعوذة، والانحرافات والخرافات التي تشوِّه الدين، وتكبل العقل، وتؤخر المجتمع.

وتبصِّر المسلمين بواقعهم، والأخطار المحدقة بهم، والأعداء الذين يتربصون بهم الدوائر، ليكونوا على حذر، ويتسلحوا بالقوة، وَيُعِدُّوا العدة لحماية عقيدتهم وأوطانهم والحفاظ على دينهم وهويتهم. وتحرِّض المؤمنين على الجهاد في سبيل الله، وتحيي روح التضحية والاستشهاد في نفوسهم، وتزرع الأمل والثقة بنصر الله في قلوبهم، وتستنهض هممهم وعزائمهم لاستعادة أمجادهم.

إن أمتنا تمر بمرحلة عصيبة، وتواجه تحدياتٍ كبيرة، وأعداءً أقوياء،

وتواجه مشروعاً صهيونيًا استيطانيًا يستهدف وجودها وأرضها وعقيدتها. وما أحوج أمتنا إلى الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، والرجال الواعين اليقظين، والرجال الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

وما أحوجنا إلى الكلمة الطيبة التي تؤتي أُكلَها كلَّ حين وتنطلق من القلب وتقع في القلب.

وما أحوجنا إلى الفكرة الواعية التي تبدِّد ظلمات الباطل وتنير درب الحق، وتفتح سبل الإبداع أمام العقل.

وما أحوجنا إلى الموعظة الحسنة التي تقوِّي الإيمان، وتشحذ العزيمة، وتدفع إلى العمل البنَّاء.

وما أحوجنا إلى الكلمة الحكيمة التي تجمع ولا تفرِّق، وتبني ولا تهدم، وتحيي الأمل، وتسمو فوق السفاسف والصغائر.

وما أحوجنا إلى الكلمة التي تصنع الرجال المجاهدين، وتعبىء طاقات الأمة، وتحشد إمكاناتها المادية والمعنوية، وترص صفوفها لتحقِّق نصرها الموعود، وتستعيد دورها القيادي.

وهذه نماذج لخطبة الجمعة تعالج قضايا متنوعة، ومناسبات مختلفة، أقدمها للإخوة القراء، والزملاء الخطباء، راجياً أن تثريَ مواضيع الدعوة والإرشاد، وأساليب التوجيه والبلاغ، وطرق الحشد والتعبئة، وأن تكون عوناً على البرّ والتقوى، ومساهمةً متواضعةً في بناء جيل النصر والتحدِّي، وإذكاء روح الصمود والمقاومة عند الجماهير المسلمة.

﴿.. وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلاَّ بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

«المؤلف»

مقدمة
الطبعة الثانية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للكائنات وبعد.

فقد سرني أن تنفد الطبعة الأولى من هذا الكتاب في زمن يسير، وأن يلقى القبول لدى الذين اطلعوا عليه، وأن ينتفع به بعض الإخوة الخطباء، وأن يتزايد الطلب عليه، وأن يكون خيراً مما كنت أظن.

وتلبية لرغبة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الموقرة - التي كرست جهدها لخدمة الإسلام والمسلمين - في إعادة طبع هذا الكتاب فقد قمت بمراجعته وتنقيحه وتخريج آياته وإجراء بعض التعديلات الطفيفة عليه مراعاة للفائدة ومقتضى الحال.

وليس المقصود - بالطبع - من الكتاب تقديم خطب جاهزة، فلكل مقام مقال، ولكل موقع خصوصياته وهمومه، وإنما المقصود تقديم نماذج للخطبة ينحو نحوها من شاء الله أن يشرفه باعتلاء منبر الدعوة والإرشاد، ويكرمه ببيان أحكام الدين للعباد.

وحيث إن الخطب التي يحويها الكتاب لا تغطي إلا عدداً محدوداً من الموضوعات فإني أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقني لإصدار كتاب آخر يحوي المزيد في وقت قريب.

ولا يسعني في الختام إلا أن أعبر عن عميق شكري وامتناني للإخوة القائمين على جمعية الدعوة الإسلامية الذين كرموني بطبع هذا الكتاب أول مرة وزادوني كرماً بطبعه هذه الطبعة الثانية.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشر والعرفان لكل أولئك الذين تكرموا عليّ بالثناء والتشجيع وأولئك الذين تفضلوا عليّ بالتصويب والتوجيه، سائلاً المولى عز وعلا أن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى من صالح القول والعمل، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه موافقاً لشرعه، وأن يغفر لنا الزلات، ويهدينا إلى سبيل الجنات، بيده الخير إنه على كل شيء قدير وبعباده رؤوف خبير.

ـ المؤلف ـ


باب العقائد والعبادات

﴿.. وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾*

الحمد لله الذي خلق الخلق ليعبدون، ورزقهم ليشكروه، وغمرهم بنعمه ليسبحوه ويحمدوه.

وأشهد أن لا إلَه إلاّ الله وحده لا شريك له تطمئن بعبادته القلوب، وتصلح النفوس، وتتهذب الأخلاق، وتسعد المجتمعات في الدنيا والآخرة.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عبد الله مخلصاً له الدين، وكان له من الذاكرين الشاكرين. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أتباعه الأولين والآخرين.

عبادَ الله:

تشهد الآثار، ويشهد التاريخ أن الأمم قديمها وحديثها أمم متدينة، تدين بأديان شتّى، منها حق، ومنها باطل. ولكنها تجمع عى الإيمان بوجود الله الخالق.

والملاحدة في الماضي والحاضر قلة قليلة لا يؤبه لها بجانب الغالبية الساحقة من المؤمنين المتدينين.

ولقد رأينا كيف هُرِعت الملايين من الناس في المجتمعات التي كانت توصم بالإلحاد إلى معابدها وطقوسها حينما ارتفع عن رقابها سيف القهر والإرهاب، والتسلط والاستبداد.

ذلك أن الإيمان بالله أمر فطري طبيعي أودعه الله في نفس الإنسان،

وهداه إليه، وأخذ عليه العهد أن يعبده وحده ولا يشرك به شيئاً: يقول الله جلّ وعلا:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1].

ويقول الرسول ﷺ مؤكداً فطرة الإيمان والتوحيد التي فطر الناس عليها: «**كلُّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو يمجّسانه أو ينصّرانه**».

وحينما يتأمل الإنسان هذا الكون، ويقرأ كتاب الله المنظور، ويتأمل البحار والأنهار والأشجار والثمار، والنجوم والأقمار، والليل والنهار، فلا بدّ من أن يرى الواحد القهار، ويخشع لعظمته، ويخضع لسلطانه، ويسجد لقدرته:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2].

وحينما ينظر الإنسان في نفسه، ويتأمل في ذاته، ويرى نعم الله عليه، وآلاءه التي لا تحصى فلا بد من أن يخر ساجداً حمداً لله وشكراً:

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[3].

---

(1) سورة الأعراف: 172 ـ 173.

(2) سورة آل عمران: 190 ـ 191.

(3) سورة الرحمن: 60 ـ 61.

إخوة الإيمان:

إن الله عزّ وجلّ قد خلق الناس لطاعته، وبرأ الخلق لعبادته، وهو وحده الجدير أن تخشع له الجوارح، وتسجد له الجباه:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾(1).

والعجب العجاب من أولئك الذين يقابلون نعم الله بالكفران، ويقابلون إحسانه بالإساءة:

قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: **«إني والجن والإنس في نبإٍ عظيم: أخلق ويُعبَد غيري، وأرزق ويُشكَر سوايَ، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتَحَبَّبُ إليهم بنعمي وأنا الغنيُّ عنهم فيتعرضون إليَّ بالمعاصي وهم أفقر شيءٍ إليّ»**.

إخوة الإسلام:

إن العبادة هي العهد القديم الذي أخذه الله على الإنسان: يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾(2).

والله عزّ وجلّ إنما بعث الأنبياء والرسل ليذكّروا الناس بهذا العهد، ويدعوهم إلى الوفاء بذلك الميثاق، لينالوا الموعود من النعيم والرضوان:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(3).

---

(1) سورة الذاريات: 56 ـ 58.

(2) سورة يٰس: 60 ـ 61.

(3) سورة الأنبياء: 25.

والناس جميعاً مطالبون بعبادة الله، وليس هناك أحد مستثنى من العبادة، وليس هناك أحد معفى من العبادة، وليس هناك أحد فوق العبادة مهما بلغت منزلته، وعلت درجته، وعظم فقهه وعلمه. هل هناك أحد أعظم من رسول الله ﷺ، وهل هناك أحد أفضل منه عند الله، وهل هناك أفقه أو أنقى أو أعلم من محمد عليه السلام؟ حاشا وكلا، ومع ذلك فإن الله عزّ وجلّ أمره بالعبادة والمواظبة عليها والاصطبار عليها حتى يلقى وجهه:

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ * وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[1].

وجميل أن نستشهد هنا بما رواه متّى في إنجيله عن المسيح عليه السلام أن إبليس أراد أن يختبره، فأخذه إلى جبل عالٍ جدًّا، وأراه ممالك الأرض ثم قال له: أعطيك هذه كلها إذا خررت لي ساجداً. فقال المسيح عليه السلام: «اذهب يا شيطان فإنه مكتوب.. للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد». فالأنبياء جميعاً من لدن آدم إلى محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام كانوا لله عابدين وله ساجدين:

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[2].

أيها المؤمنون:

إن العبادة في دين الإسلام ليست محصورة في الشعائر التعبدية من صلاة وصيام وصدقة وحج، وليست مقصورة على يوم من أيام الأسبوع، بل هي شاملة لكلّ أوجه النشاط البشري الذي يقوم به الإنسان. فكل عمل يقوم به المسلم يوافق روح الشريعة ويبتغي به وجه الله وينشد رضوانه هو

(1) سورة الحجر: 98 ـ 99.

(2) سورة الأنبياء: 73.

في فلسفة الإسلام عبادة. فالجهاد عبادة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة، وإرشاد الناس وتعليمهم عبادة، والدعوة إلى الإسلام عبادة، والدفاع عن الدين عبادة، والتدريب على السلاح عبادة، والإصلاح بين الناس عبادة: يقول الحبيب المصطفى ﷺ: **«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟. قالوا: بلى. قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»**.

والرفق بالناس وإطعام الجوعان، وكسوة العريان، وإرواء الظمآن، وإغاثة الملهوف، ومساعدة المحتاج، ومشاركة الناس أفراحهم وأتراحهم عبادة.

وزيارة المريض، وكفالة اليتيم، وفك الغارم، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والكلمة الطيبة عبادة:

يقول الرسول ﷺ: **«كل سُلاَمَى من الناس عليه صدقة كُلّ يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكلّ خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»**.

ويقول صلوات الله عليه وسلامه: **بينما كلب يُطيفُ بِرَكِيَّةٍ** (بئر) **قد كاد يقتله العطش إذ رأته بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيل فنزعت مُوقَها** (خفّها) **فاستقت له، فسقته فَغُفِرَ لها به»**.

والعمل الدنيوي الذي نقوم به لنكسبَ قوتَ عيالنا، ونصون أنفسنا عن ذلّ السؤال عبادة طالما أديناه بإتقان، والتزمنا فيه حدود الواحد الديان:

مَرّ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله «أي مجاهداً لإعلاء كلمة الله». فقال ﷺ مبيناً أن عمله نوع من أنواع الجهاد: «إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان».

فالزارع في مزرعته في عبادة، والصانع في مصنعه في عبادة،

والمعلم في فصله في عبادة، والعالم في معمله في عبادة، والجندي في ثكنته في عبادة، والموظف والعالم في عمله في عبادة.

أحبابَ الله:

رب سائل يسأل: لماذا فرض لله علينا العبادة وعبادتنا لا تنفعه، ومعصيتنا لا تضرُّه، ولا يزيد في ملكه الإيمان، ولا ينقص من ملكه الكفران؟.

إن العبادة ليست غرماً بل غنماً، وليست تكليفاً بل تشريفاً، أليس شرفاً للإنسان أن أَذِنَ له الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر أن يناجيَه ويخاطبه ويسأله ويتقرب إليه أين شاء ومتى شاء؟

إن العبادة فضلاً عن أنها الموقف الطبيعي للإنسان السويِّ تجاه خالقه المنعم المتفضل، وفضلاً عن أنها حق الله على العباد فإنها تعود عليهم بالخير والنفع، وعلى مجتمعهم بالأمن والسلام:

﴿...وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾(1).

فالعبادة غذاء الروح، وراحة الضمير، وطمأنينة القلب، وسكينة النفس. والإنسان إذا ابتعد عن الله شعر بالقلق والضياع، وعانى من الضيق والتوتر، وأصبحت حياته جحيماً لا يطاق كما قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا...﴾(2).

والمجتمع البعيد عن الله مجتمع لا يردعه شيء عن سفك الدماء، وهضم الحقوق، وأكل أموال الناس، وهتك الأعراض، وعدوان القويِّ على الضعيف.

والعبادة عون من الله، وقوة من عنده، وثقة به، ينتصر الإنسان بها على الصعاب، ويتجاوز بها المحن.

---

(1) سورة النمل: 40.

(2) سورة طه: 124.

والعبادة تحرُّر من الخضوع للبشر، وشعور بالعزة والكرامة الإنسانية، والعبادة إصلاح للنفوس، وتهذيب للأخلاق، فالصلاة نَهْيٌ عن الفحشاء والمنكر ومحاسبة للنفس خمس مرات في اليوم.

والزكاة طهارةٌ للقلوب، وتوطيد لعلائق المحبة بين الناس، والصيام كبحٌ لجماح الشهوات، وتقوى للنفوس، وسمو للأرواح، والحج تدريب على الصبر وسعة الصدر والتضحية والإحسان للناس.

والعبادة أمن بعد خوف، وتمكين بعد ضعف، ونصر بعد هزيمة:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

والعبادة نجاة يوم القيامة، ونعيم دائم في جنات تجري من تحتها الأنهار، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[2].



(1) سورة النور: 55.

(2) سورة الذاريات: 15 ـ 19.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ*﴾

الحمد لله الذي استخلف الإنسان، وخلقَ لعبادته الإنس والجان، جازى الخلقَ إحساناً بإحسان.

وأشهد أن لا إلّه إلاّ الله وحده لا شريك له سائل كلّ راعٍ عما استرعاه، ومحاسبٌ كل عبد عما جنته يداه، مُعِزٌّ من والاه، مُذِلٌّ من عاداه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أدى الأمانة، وبلّغ الرسالة، ونصح الأمة. اللّهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله ومن اهتدى بهداه.

عباد الله:

لقد خلق الله الإنسان ليعبده وحده لا يشرك به شيئاً، ويحتكمَ إليهِ وحدَهُ لا يشرك بربه أحداً، ويمجده وحده، ويسبحه وحده، ويدعوه وحده لا يجد من دونه ملتحداً.

وجعلَ اللّهُ الإنسان خليفة له في الأرض يعمرها بالحق، ويبنيها بالعدل، ويستثمرها بالقسط.

وحتى يقوم الإنسان بمهمته، ويحقق الغاية من وجوده، زود الله الإنسان بالروح السامي، والعقل المرشد، والجسد القوي، وسخر الله للإنسان كُلَّ ما في الكون وأخضع له كثيراً من خلقه، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وبعثَ اللّهُ للإنسان الرسل، وأنزل له الكتب، وبيّن له طريق التقوى والنعيم، وسبيل الفجور والجحيم، وحَمّلَ الإنسان أمانة التكليف، أمانة العبادة، أمانة الخلافة، وما أعظمها من أمانة، وما أجسمها من مسؤولية أشفقت منها السماوات والأرض والجبال، وما أثقله من

تكليف تشرَّف بحمله الإنسان برغم ضعفه ونقصه، وبرغم وسوسة شيطانه ونفسه:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(1).

وما دام الله قد خلق الإنسان لغاية، وأناط به وظيفة، وحمَّله أمانة، فلا بدّ من أن يحاسبه عليها، ويسأله عنها، ولا بدّ من أن يكافيء المحسن ويعاقب المسيء، ولا بدّ من أن يقتص من الظالم وينصف المظلوم، ولا يعقل أن يجعلَ الله المسلمين كالمجرمين، ويساوي في الجزاء بين العصاة والطائعين، ولا يعقل أن تضيعَ جهودُ المحسنين هدراً، ولا يعقل أن يمرَّ المجرمون والطغاة بلا حساب، ولا يعقل أن يزوِّد الله الإنسان بكل الإمكانات والطاقات، ويسخِّر له الأكوان والثروات، ويجتبيَ له الرسل، ويشرفه بالوحي، ثم يتركه هملاً بلا رقيب ولا حسيب.

تعالى اللّهُ عن الظلم علوًا كبيراً، وتنزه اللّهُ عن العبث تنزيهاً عظيماً:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾(2)، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾(3)، ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(4).

أحبابَ الله:

لا بدّ من أن نقف بين يدي الله، ونحاسب على أقوالنا، ونُسأل عن أعمالنا، ونُجازَى عن الخير خيراً وعن الشر سوءاً. وإنها لَجَنّةٌ أبداً أو لَنارٌ أبداً.

---

(1) سورة الأحزاب: 72.

(2) سورة المؤمنون: 115 ـ 116.

(3) سورة القيامة: 36.

(4) سورة القلم: 35 ـ 36.

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۢ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ * وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[1].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

ولا تزر وازرة وزر أخرى، وكلُّ نفس بما كسبت رهينة، وكلُّ إنسان مسؤول عن عمله، ولا أحد يتحمل مسؤولية أعمال الآخرين، وكلُّ إنسان مُجَازَى بما كسبت يداه ولا يعاقب عن سيئات الآخرين، ولن يقبلَ الله شفاعة في الكافرين، ولن يقبل فدية من الظالمين:

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[3].

والخلة لن تدفع عن الإنسان شيئاً، والقرابة لن تغنيَ عن المرء من الله شيئاً، والكل سيتخلى عن الإنسان ويأتي ربه فرداً، فلا أب ولا أم، ولا أخ ولا أخت، ولا زوجة ولا ولد، ولا رحم ولا قرابة:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[4].

---

(1) سورة الأعراف: 6 ـ 9.

(2) سورة الحجر: 92 ـ 93.

(3) سورة البقرة: 123.

(4) سورة لقمان: 33.

ولقد كان الرسول ﷺ يقول لابنته فاطمة رضي الله عنها: **«يا فاطمة سليني ما شئتِ من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»**.

أيها المؤمنون:

كما أن الإنسان مسؤول عن عمله ومُجَازَى عليه فإنه مسؤول عن آثار عمله ومُجَازَى عليها: فالذي يفارق الحياة وقد بنى مسجداً أو مدرسة أو مستشفى يستفيد الناس منها بعد موته يؤجر على هذا العمل في حياته وبعد مماته.

والذي يموت وقد أنشأ معملاً لصنع الخمور أو المخدرات، أو أنشأ مكاناً للقمار والفاحشة يؤزر على هذا العمل في حياته وبعد مماته:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[1].

والذي يدعو إلى الخير والهدى له أجره وأجرٌ يعدل أجر مَنْ قلده، له أجر الاهتداء والهداية.

والذي يدعو إلى الغواية والضلال عليه وزره ووزرٌ يعدل وزرَ مَنِ اتبعه، عليه وزر الضلال ووزر الإضلال، يقول الرسولُ ﷺ: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً»**.

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾[2].

---

(1) سورة يس: 12.

(2) سورة النحل: 24 ـ 25.

فخلِّفوا ـ أحبابَ الله ـ أعمالاً صالحة، وآثاراً نافعة تجدونها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

إخوةَ الإسلام:

لا بدَّ من أن تقف بين يدي الله في يوم عصيب تذهل فيه:

﴿... كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1].

ولا بدّ من أن يسألنا الله عن أوقاتنا كيف قضيناها، وعن طاقاتنا كيف استخدمناها، وعن أموالنا كيف أنفقناها، وعن معرفتنا ماذا فعلنا بها. يقول الرسول المصطفى محمد ﷺ: **«لن تزول قدَمَا عبد يوم القيامة حتى يُسْأَلَ عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»**.

فأعدوا الجواب ـ أحبابَ الله ـ وحاسِبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل. أعدوا الجواب عملاً صالحاً في الليل والنهار، أعدوا الجواب كسباً حلالاً وإنفاقاً في طاعة الله، أعدوا الجواب عملاً بالعلم وبلاغاً للمعرفة.

عبادَ الله:

هذه النعم التي نتمتع بها ظاهرة وباطنة، هذه النعم التي لا تُعَدُّ ولا تحصى يغدقها الله علينا في الغداة والعشي نحن مسؤولون عنها ومحاسبون عليها:

خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: **«ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا: الجوع يا**

(1) سورة الحج: 2.

رسول الله. قال: وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، فأتى رجلاً من الأنصار فجاءهم بتمرٍ ورطب وذبح لهم شاةً فأكلوا وشربوا وشبعوا ورووا فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: والذي نفسي بيده لتُسْأَلُنَّ عن هذا النعيم يومَ القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم».

فإذا كان شِبَعُ يوم سيُسْأَلُ عنه الرسول وأبو بكر وعمر فكيف تكون مسؤوليتنا ونحن نعاني من التخمة وأفقرنا أغنى من رسول الله وأبي بكر وعمر؟!.

يقول الرسول ﷺ يقول الله تعالى: «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال: يا رب كيف أعودك وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال أما علمتَ أن عبدي فلاناً مرض فلم تعدْهُ أما علمت أنك لوعدتَه لوجدتَني عنده. يا ابن آدم استطعمتُك فلم تطعمني. قال: يا رب كيف أُطعمك وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمتَ أنك لو أطعمتَه لوجدتَ ذلك عندي. يا ابن آدم استسقيتُك فلم تسقني. قال: يا رب كيف أسقيك وأنت ربُّ العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقِهِ أما علمتَ أنك لو سقيتَهُ لوجدتَ ذلك عندي».

فأعدوا أيها المؤمنون لسؤال الله جواباً:

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[1].

إخوةَ الإيمان:

لا بدَّ من أن نرجع إلى الله ونُسْأَلَ عن أزواجنا وأبنائنا وعمن نعول: هل اتقينا الله فيهم؟ هل أسدينا لهم النصيحة باتباع أمر الله واجتناب نهيه؟ هل ربينا أبناءنا على طاعة الله ووقيناهم من عذاب الجحيم؟ يقول الله تعالى:

(1) سورة البلد: 13 ـ 16.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

ويقول الرسول ﷺ: **«كلكم راع وكلم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها»**.

فأعدوا للسؤال جواباً: نصيحةً لوجه الله، وتربيةً على طاعة الله.

أيها الأحباب:

لا بدَّ من أن نلقى الله ونُسألَ عن مجتمعنا: هل حاولنا الإصلاح؟ هل أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر؟ هل ساهمنا في رقي المجتمع وتقدم البلاد؟ هل حافظنا على وحدة المجتمع وتماسكه؟ هل حافظنا على بلادنا عزيزةً كريمة؟ ولا يحل لنا أن نتهرب من المسؤولية مستشهدين خطأً بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[2].

فهذه الآية تقول لنا: أيها المسلمون طهروا أنفسكم فالله لا يحاسبكم عن ذنوب الكفار وضلالهم ما دمتم قد قمتم بإرشادهم ونصيحتهم ودعوتهم للخير. وقد خطب أبو بكر رضي الله عنه بالناس قائلاً: «أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية:

---

(1) سورة التحريم: 6.

(2) سورة المائدة: 105.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ. . .﴾، وإنكم تضعونها على غير موضعها وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عزّ وجلّ أن يعمهم بعقابه».

والله عزّ وجلّ يقول:

﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(1).

فأعدوا أحبابَ الله الجواب: نصيحةً مخلصة، وأمراً بمعروف ونهياً عن منكر، وعملاً دؤوباً وسعياً خيّراً.

عباد الله:

والذين تبوؤوا المناصبَ العامة والأعمال التنفيذية لا بدّ من أن يحاسبهم الله ولا بدّ من أن يسألهم: هل أدوا الأمانة؟ هل حكموا بالعدل؟ هل خدموا الناس؟ هل حققوا مصالح العباد؟. وكم هو جدير بهؤلاء أن يجعلوا شعارهم شعار عمر رضي الله عنه: ماذا تقول غداً لربك يا عمر؟!!

ولا ريب ـ أحبابَ الله ـ في أن أعظم أمانة استأمننا عليها الله هي أمانة الدين عقيدة، وسلوكاً، وتبليغاً ولا بدّ من أن يسألنا الله عنها ويحاسبنا عليها:

﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ * وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾(2).

---

(1) سورة آل عمران: 104.

(2) سورة الزخرف: 43 ـ 44.

فأعدوا ـ عبادَ الله ـ الجواب: اعتصاماً بحبل الله، وتمسكاً بدين الله، وعملاً بأمر الله وبلاغاً لرسالة الله:

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾[1].



(1) سورة الشورى: 47.

﴿.. وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِبْ﴾

الحمد لله الذي جعل الصلاة طهارة من الذنوب، وطمأنينة للقلوب. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، جعل الصلاة ركناً من أركان الدين، وفريضة على المسلمين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كان يفزع إلى الصلاة ويقوم الليل حتى تتشقق قدماه، ويجاهد في النهار لإعلاء كلمة الله.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

إخوة الإسلام:

إن الله عزّ وجلّ خلق الخلق لحكمة جليلة وغاية عظيمة:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[1].

ومن يستحق العبادة سواه؟ ومن يستأهل الطاعة عداه؟ أليس وحده الخالق؟ أليس وحده الرازق؟ أليس وحده مالك الملك؟ أليس وحده المنعم المتفضل؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

(1) سورة الذاريات: 56 ـ 58.

مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

والشكر حق الله على العباد، وبالصلاة نقدم الشكر والحمد لرب العباد. فلا غرابة أن تكون الصلاة ركناً أساسيًا من أركان الشرائع السماوية، وعبادة قديمة مارسها ودعا إليها الأنبياء منذ بدء الخليقة. يقول إبراهيم عليه السلام:

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾[2].

ويقول الله عزّ وجل آمراً موسى عليه السلام:

﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[3].

ويقول عيسى عليه السلام:

﴿. . . وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[4].

إخوةَ الإيمان:

إن الصلاة في ديننا ركن من الأركان وفريضة على كلّ مسلم. يقول الحق جلّ وعلا:

﴿. . . إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[5].

والصلاة أعظم عبادة بعد الشهادتين، وحينما ذكر الله أعمال البر

(1) سورة البقرة: 21 ـ 22.
(2) سورة إبراهيم: 40.
(3) سورة طه: 14.
(4) سورة مريم: 31.
(5) سورة النساء: 103.

افتتحها بالصلاة، واختتمها بالصلاة، ليعلم كلُّ أحد أن الصلاة عماد الدين، من أقامها أقام الدين، ومن هدمها هدم الدين.

قال الله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[1].

ثم قال في الختام:

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

والصلاة أهم علامات الإخلاص والإيمان، وأظهر أمارات الطاعة والإحسان، وأجلى دلائل محبة الواحد الديان:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[3].

والصلاة لا تسقط عن المؤمن في سفر أو حضر، أو حرب أو سلم، أو صحة أو مرض. وما أحوج المؤمن للصلة بالله في كلِّ حين، وما أسعد المؤمن بالصلاة في كلِّ حال، وما أشقى العباد حينما يعرضون عن ذكر الواحد المتعال.

والصلاة أول ما يحاسب العبد عليه فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر.

(1) سورة المؤمنون: 1 ـ 2.
(2) سورة المؤمنون: 9 ـ 11.
(3) سورة الأنفال: 2 ـ 4.

ولقد فارق رسول الله ﷺ هذه الدنيا وهو يوصي بها على فراش الموت ويقول: **الصلاة الصلاة**.

أحبابَ الله:

إذا أردتم أن تتحرروا من ذنوبكم، وتتطهروا من خطاياكم، فاهرعوا إلى الصلاة، فالله تعالى يقول:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[1].

وإن حبيبنا محمداً ﷺ يقول: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو بهن الله الخطايا**».

إذا أردتم أن تشعروا برقابة الله، وتُرَقُّوا حاسة المحاسبة، وترفعوا سوية التقوى، وتتطهروا من الصفات الذميمة، وتتجنبوا الآثام والمنكرات فاسرعوا إلى الصلاة: فالله تعالى يقول:

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[2].

ويقول جل وعلا:

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[3].

إذا أردتم أن تتغلبوا على مصاعب الحياة، وتتزودوا بطاقة روحية

---

(1) سورة هود: 114.

(2) سورة العنبكوت: 45.

(3) سورة المعارج: 19 ـ 23.

تدفعكم إلى الصبر والثبات، وتتسلحوا بالقوة والشجاعة، وتستنيروا بالأمل والثقة فاستعينوا بالصلاة. فالله تعالى يقول:

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[1].

إذا أردتم أن تنعموا بالسكينة وتسعدوا بالطمأنينة فالجؤوا إلى الصلاة. فالله تعالى يقول:

﴿... أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2].

إذا أردتم أن تنعموا بقرب الله، وتذوقوا حلاوة مناجاته فاركعوا لله واسجدوا لعظمته وقدرته، فالله تعالى يقول:

﴿... وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[3].

وحبيبنا محمد ﷺ يقول: **«أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد فأكثروا من الدعاء»**.

إذا أردتم أن يذكركم الله فيمن عنده، ويستجيب دعاءكم، ويحقق سؤلكم فهلمُّوا إلى الصلاة، ومجّدوا اللّهَ في علاه. فالرسول ﷺ يقول: يقول الله تعالى: **«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين. قال: مجدني عبدي. فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال:**

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

---

(1) سورة البقرة: 45 ـ 46.

(2) سورة الرعد: 28.

(3) سورة العلق: 19.

وإذا أردتم الخلود في جنات النعيم وصحبة خاتم الأنبياء والمرسلين فكونوا من المصلين القانتين، فالله تعالى يقول:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾[1].

«قال صحابي لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إني أسألك مرافقتك في الجنة. قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود».

عبادَ الله:

إن ترك الصلاة إهمالاً وكسلاً ظلمٌ للنفس عظيم، وحرمان لها من نعيم الصِّلة بالغنيِّ الكريم، وخطرٌ على العقيدة والإيمان، فالتفريط في الصلاة قد يؤدِّي إلى إهمال بقية الفرائض، والخوض في مبادىء العقيدة، والشك في مسلَّمات الدين، والوقوع في شباك الشيطان، وإنكار الملعوم من الدين بالضرورة، تأملوا معي قوله تعالى:

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[2].

وانظروا كيف أدى التفريط في الصلاة إلى منع الزكاة، والخوض في آيات الله، والتكذيب بيوم البعث والحساب، واستحقاق الجحيم والعقاب:

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾[3].

---

(1) سورة المعارج: 34 ـ 35.
(2) سورة المدثر: 42 ـ 48.
(3) سورة مريم: 59 ـ 60.

أيها المؤمنون:

لقد حَثَّ ديننا الحنيف على صلاة الجماعة حتى يتعارف المسلمون، ويتعاونوا على البرِّ والتقوى، ويتشاوروا فيما ينفعهم ويصلحهم. ولقد بيَّن الرسول ﷺ أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة.

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يحرصون على صلاة الجماعة، ولا يتخلفون عنها إلاّ لعذر قاهر حتى قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **«من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هذه الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنكم لو صليتم في بيوتكم لتركتم سُنَّة نبيكم، ولو تركتم سُنَّة نبيكم لضللتم. وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلاّ كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة. ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق. ولقد كان الرجل يؤتى به يتهادى بين الرجلين يسندانه لمرضه حتى يقام في الصف.**

فحافظوا ـ أحبابَ الله ـ على صلاة الجماعة، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا.

أيها المسلمون:

إننا حين نصلي فإنما نقف بين يدي الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، وإنما نناجي من بيده ملكوت السماوات والأرض، ولا يليق بنا أن نقابل الله بقلوب شاردة، وعقول غائبة، ولا يليق بنا أن نخاطب الله ونحن لا ندري ما نقول، ولا يليق بنا أن ننصرف عن الله إلى ما سواه.

إن الصلاة التي يريدها الإسلام ويقبلها الديان إنما هي الصلاة التي تخشع فيها الجوارح، وتطمئن بها القلوب، وتعيش معها العقول، وتتحقق بها الذكرى، وتنتعش بها التقوى، وتصلح بها النفوس، وتتهذب بها الأخلاق.

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[1].

فحافظوا ـ أحبابَ الله ـ على الخشوع والاطمئنان في الصلاة، حافظوا على روح الصلاة تحققوا غاية الصلاة، وتنالوا رضى الإله.

أيها الأحباب:

إن بعض الناس يصلون الجمعة ولا يؤدون بقية الصلوات، وربُّ الجمعة هو رب سائر الأيام، والصلوات الخمس فريضة كالجمعة، والله عزّ وجلّ أمرنا أن نحافظ عليها جميعاً حين قال:

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[2].

وحين قال:

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[3].

فلنحافظ على سائر الصلوات لنظفر بالثواب العظيم، ونفوز بجنات النعيم.

أيها الإخوة:

إن الصلاة عهد بين الله والعباد، وإن ميقات الصلاة موعد من الله. وليس هناك أهم من لقاء الله.

فأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً، وحافظوا على الصلاة في مواقيتها:

﴿... إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[4].

---

(1) سورة المؤمنون: 1 ـ 2.

(2) سورة البقرة: 238.

(3) سورة الإسراء: 78.

(4) سورة النساء: 103.

واحذروا أن تكونوا من الذين قال فيهم رب العزة:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[1].

أيها المؤمنون:

كُلٌّ منا معرضٌ للنقص في صلاته. هناك من فاتته صلوات كثيرة، هناك من يصلي الصلوات في غير وقتها قضاء، هناك من لا يُتِمُّ الخشوع في الصلاة. فكيف نجبر النقص في صلواتنا، وكيف نعوِّض ما فاتنا؟ وكيف نتمِّم فرائضنا؟.

بصلاة النوافل ـ أحبابَ الله ـ نسدُّ النقص، ونتمُّ الفريضة. يقول الرسول ﷺ: «**إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة يقول الله تعالى لملائكته وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمَّها أم نقصها، فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا هل لعبدي من تطوُّع. فإن كان له تطوع قال: أكملوا فريضته من تطوعه**».

فأكثروا ـ أحبابَ الله ـ من النوافل، وضاعفوا من التطوع لتفوزوا يوم الحساب، برضوان الغفور التواب.

إخوة الإيمان:

إننا مسؤولون عن أهلنا وأبنائنا، وعلينا أن ندعوّهم إلى الصلاة ونرغبهم فيها. يقول الله تعالى.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2].

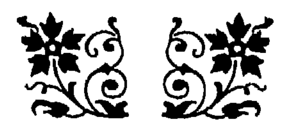
وإننا مسؤولون عن مجتمعنا وقومنا، فلننشر الدعوة إلى الخير في كلّ

(1) سورة الماعون: 4 ـ 5.

(2) سورة طه: 132.

مكان، ولندع إلى طاعة الله والصلاة ليسود الهدى والصلاح ونفوز بالنعيم والفلاح.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].



(1) سورة آل عمران: 104.

﴿. . وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ. . ﴾

الحمد لله الذي أرشدنا إلى ما يسعدنا في الدنيا والآخرة، وجعل لنا مواسم نظفر فيها بالرحمة والمغفرة، ونفوز فيها بالعطايا والنعم الغامرة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شرع صيام رمضان، وأنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حض على الصيام، ودعا إلى القيام، وحث على اجتناب الموبقات والآثام. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه الكرام.

إخوة الإسلام:

ها قد هل عليكم هلال شهر رمضان «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله ، هلال رشد وخير».

«قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين».

ها قد جاءكم شهر عظيم أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار.

ها قد جاءكم شهر فيه ينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أدبر، فأروا الله من أنفسكم خيراً، واغتنموا هذه الفرصة، وشمروا عن ساعد الجد، وتوبوا إلى الله توبة نصوحاً، وصوموا وأحسنوا الصيام، وافعلوا الخير واجتنبوا الحرام، وابتغوا في أعمالكم رضوان الواحد الديان، تدخلوا الجنة بسلام.

أيها الأحباب:

ها قد جاءكم شهر القرآن:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[1].

والقرآن نعمة عظيمة، ومنة جليلة، وشرف كبير للمسلمين: الحقيقة المطلقة، والهداية التامة، والشريعة العادلة، والعصمة الكا والمعجزة الخالدة، والقدوة الحسنة، وفيه سكينة القلوب وراحة العق ونعيم الأرواح.

هذه النعمة الجليلة تستحق حمد المنعم المتفضل، وشر الو الكريم. ولقد شرع لنا الله الصيام في رمضان حتى نؤدي واجب ال على نعمة القرآن.

فصوموا شكر الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2].

اقرؤوا القرآن في شهر القرآن، واجمعوا كما جمع الله بين رم والفرقان. اقرؤوا القرآن متدبرين، وصوموا لله محتسبين، لتفوزوا بش القرآن والصيام يوم الدين، كما بشرنا حبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة التسليم في قوله الكريم: «الصيام والقرآن يشفعنا للعبد يوم القيامة: الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات فشفعني فيه، ويقول القرآن: النوم بالليل فشفعني فيه. فيشفعان».

---

(1) سورة البقرة: 185.

(2) سورة البقرة: 185.

إخوة الإيمان:

ها قد جاءكم شهر الرحمة والغفران، وموسم العفو والرضوان، فحافظوا على الصيام، لتفوزوا بمغفرة الحنان المنان. يقول رسولنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**».

سارعوا إلى الصيام لتفوزوا بالثواب العظيم الذي يتضاعف أكثر من سبعمائة ضعف بتقدير ذي الفضل العظيم، ولتنالوا فرحة في الدنيا عند تمام صومكم، وفرحة في الآخرة عند لقاء ربكم. يقول حبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به: يدع شهوته وطعامه من أجلي. للصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه. ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

تمسكوا بالصيام يدخلكم جنات النعيم من باب خصص تكريماً للصائمين كما أخبر خير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: «إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم. يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدل منه أحد».

واحذروا انتهاك حرمة هذا الشهر فإن كسره لا يجبر، وخسارته لا تعوض: يقول رسولنا المصطفى ﷺ: «**من أفطر يوماً من رمضان في غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه**».

أيها الأحباب:

ها قد جاءكم شهر البر والإحسان، شهر الجود والكرم، شهر التراحم والتكافل، ففرجوا عن المكروبين، ويسروا على المعسرين، وأطعموا الجائعين، ووسعوا على اليتامى والأرامل والمساكين، وأدخلوا الفرحة على قلوب البائسين.

تأسوا برسولكم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم الذي **«كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»**.

فطروا الصائمين تصل عليكم ملائكة الرب الرحيم، ويذكركم ربكم في ملإ كريم، واذكروا قول رسولكم العظيم ﷺ: **«من فطر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء»**.

أيها المؤمنون:

ها قد جاءكم شهر القيام، شهر صلاة التراويح، فاحرصوا على تلك الصلاة، لتخلوا بالرحمن، فينور وجوهم، ويطهر قلوبكم، ويغفر ذنوبكم، ويسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وافرة وغامرة. يقول الله جل جلاله:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

ويقول رسولنا ﷺ: **«من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**.

واذكروا ـ أيها الأحباب ـ أن في شهركم هذا ليلة القدر التي أنزل الله فيها القرآن، وضاعف فيها أجر العبادة، فالتمسوها في الوتر من العشر الأواخر من رمضان، كما بين رسولنا عليه السلام، وأحيوا ليلها بالصلاة وتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى والصلاة على خير الأنام. يقول الحق جل شأنه:

---

(1) سورة السجدة: 15 ـ 17.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ * لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[1].

ويقول رسولنا ﷺ: **«إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم»** ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام: **«من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**.

أيها الإخوة:

إن الله قد شرع لنا الصيام حتى تمتلىء قلوبنا بتقوى الله، ونشعر بمراقبة الله، فنصلح نفوسنا، ونهذب أخلاقنا، ونعود إلى جادة الحق والصواب، ونتوب من سائر المعاصي والذنوب: يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

والصوم الذي يريده الله تعالى هو الذي نكف فيه عن المفطرات وعن المحرمات، الصوم الذي يكف فيه اللسان عن الكذب والبهتان، والغيبة والنميمة، وتصوم فيه الأذن عن سماع الحرام، وتمسك فيه العين عن رؤية الحرام، ويمتنع فيه القلب عن الحقد والحسد، والغش والضغينة، وتمسك فيه اليد عن الكسب الحرام، وتكف فيه الرجل عن السعي في الموبقات.

يقول الرسول ﷺ: **«الصيام جنة - أي وقاية من المعاصي - فإذا كان**

---

(1) سورة القدر: 1 ـ 5.

(2) سورة البقرة: 183.

يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل: إني صائم».

ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**».

فعاهدوا الله على التوبة النصوح، واجعلوا هذا الشهر بداية لعهد جديد مع الله، وتغييراً صالحاً في مسار الحياة، وانتقالاً من جحيم المعصية إلى جنة الطاعة، «والتائب من الذنب كمن لا ذنب له».

أيها المؤمنون:

إن هذا الشهر شهر التقوى والطاعة، والصوم بلا صلاة يناقض روح رمضان.

إن هذا الشهر شهر ضبط النفس، والغضب والحنق يتنافى مع جوهر الصيام.

إن هذا الشهر شهر الجهاد والقوة، والكسل والعجز يسيء إلى مغزى رمضان.

إن هذا الشهر شهر العافية والصحة، والإسراف والتخمة يفسد غايات رمضان.

إن هذا الشهر شهر التراحم والمحبة، والتقاطع والبغضاء يشوه حقيقة رمضان.

اللهم أعنا جميعاً على الصيام والقيام، والطاعة والاستقامة.

اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه من صالح القول والعمل. اللهم اجعل رمضان شفيعاً لنا بين يديك، وشاهداً لنا يوم العرض عليك، وعتقاً لنا من الجحيم، وسبيلاً إلى جنات النعيم، برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ . .﴾

الحمد لله الذي جعل البيت مثابةً للناس وأمناً، وشرع الحجَّ ليشهدوا منافعَ لهم ويبتغوا من ربهم رضواناً وفضلاً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل المسجدَ الحرام قبلةَ المؤمنين، ومهوى أفئدة المتقين، وملتقى العاملين المجاهدين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتَمُ الأنبياء والمرسلين ودعوةُ إسماعيل وإبراهيم، طهَّرَ البيتَ من الشرك والمشركين، وجعله خالصاً لرب العالمين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أتباعه إلى يوم الدين.

أيها المؤمنون:

لقد شاءت إرادة الله عزّ وجلّ أن يجعل للمسلمين بيتاً يكون رمزاً لتوحيد الله في الأرض يطوف به الطائفون ويلتفُّ حوله الموحِّدون معلنين أن الله واحد في ذاته، واحد في ربوبيته، واحد في ألوهيته ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

ومنح الله تبارك وتعالى شرف بناء هذا البيت أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين وابنه إسماعيل عليه السلام الذي كان صادق الوعد وكان عند ربه مرضيًا حتى يكون هذا

---

(1) سورة آل عمران: 96.

العمل خالصاً لوجه الله، مؤسَّساً على التقوى من أول يوم، مبجَّلاً ومكرَّماً من البشر جميعاً.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

وأمر الله جلَّ جلاله عباده المؤمنين بالتوجه إلى البيت العتيق في صلاتهم حيثما كانوا وأينما حلوا أو ارتحلوا حتى يشعروا بأنهم أمة واحدة ربُّها واحد، ورسولُها واحد، ودستورُها واحد وغايتُها وقبلتُها واحدة.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2].

وفرض الله عزّ وجلّ على المسلمين أن يحجوا إلى البيت الحرام ليشهدوا منافع لهم، ويرسخوا دعائم وحدتهم، ويشعروا بقوتهم وعزتهم، ويتخلصوا من يأسهم وعجزهم.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

أيها المسلمون:

إن الحج ركن من أركان الإسلام، وفريضة واجبة على كل مستطيع. وإن ترك الحج مع القدرة عليه لمعصية كبرى، وكفر بنعمة الله تبارك

---

(1) سورة البقرة: 127 ـ 128.

(2) سورة البقرة: 150.

(3) سورة آل عمران: 97.

وتعالى، وحرمان للنفس من رحمة الله ومغفرته فبادروا بالحج وعجّلوا به، ولبُّوا نداء الله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۞ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[1].

لبوا نداء الله واغتنموا فرصة القدرة والصحة والحياة والأمن، فالمرء لا يدري ماذا يعرض له، والحياة وهم وسراب، والمال ربما يكون إلى ذهاب، والصحة لا تدوم، والأمن قد يضطرب بين يوم ويوم. لبوا نداء الله، واقصدوا رضوان الله، وتزوّدوا لحجكم بالمال الحلال الطيب. فالله طيب لا يقبل إلا طيباً:

﴿...وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2].

ولقد ذكر رسول الله ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يقول: يا رب.. يا رب. وملبسه حرام، ومطعمه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟!

عباد الله:

إن الحج مهرجان توحيديٌّ عظيم ترتفع فيه أصوات الحجيج بالنداء التوحيديِّ الخالد: **«لبيك اللهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك له»**.

---

(1) سورة المنافقون: 9 ـ 11.

(2) سورة البقرة: 267.

وأعمال الحج كلها رموز لقيم رفيعة، ومعان سامية: فالإحرام رمز للنقاء والطهارة والتجرُّد من متاع الدنيا والإقبال على الله والاستعداد للقائه.

والطواف رمز الالتزام بدين الله والالتفاف حول عقيدة التوحيد.

وتقبيل الحجر الأسود رمز للشوق إلى جنات النعيم.

والسعي استحضار لسعي هاجر زوج إبراهيم وأم إسماعيل عليهما السلام وهي تبحث عن الماء لطفلها، وتذكير للمسلم بفرج الله ورحمته، وزرع للأمل في قلبه.

والوقوف في عرفات تذكير للمسلم بيوم البعث والحساب.

ورمي الجمار إنما هو رمز لمقت الشر واحتقار الفساد وتذكير للمسلم بعدوِّه اللدود الذي ينبغي أن يحاربه ويحذره.

فتذكروا هذه المعاني واحرصوا على استحضار هذه الرموز حتى يكون حجكم كما أراده الله إعلاناً للتوحيد وترسيخاً للعقيدة.

إخوة الإسلام:

لقد فرض الله عزّ وجلّ الحج على المسلمين ليجنوا منافع كبيرة ويحققوا مصالح واسعة:

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ. . .﴾[1].

لقد شرع الله الحج ليملأ قلوبنا بالتقوى، ويهذب أخلاقنا، ويصلح نفوسنا. وجعل مكان الحج في وادٍ عير ذي زرع ليعلمنا احتمال الشدائد. والصبر على المكاره، والتضحية في سبيل الله.

(1) سورة الحج: 27 ـ 28.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

إن الحج المبرور هوالذي يؤدّيه المسلم على وجهه الصحيح ويريد به وجه الله ويعود منه تائباً من المعاصي، زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة.

لقد شرع الله الحج ليهيء لنا الفرصة لنتطهر من ذنوبنا، ونتوب من آثامنا، ونفوز بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2].

ويقول الرسول ﷺ: **«من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه». كما يقول: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».**

لقد شرع الله الحج ليزودنا بشحنة روحية عظيمة، ويملأ قلوبنا بالأمل بانتصار الإسلام مهما كانت العقبات والتحديات حينما نتذكر إبراهيم عليه السلام وهو يُسْكِنُ أهله في وادٍ غير ذي زرع عند البيت الحرام استجابةً لأمر الله ويرفع يديه ضارعاً:

(1) سورة البقرة: 197.

(2) سورة البقرة: 199 ـ 202.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾(1).

فإذا بماء زمزم يتفجر بين يدي إسماعيل الصغير، وإذا بالأفئدة تهوي إلى ذلك المكان، وإذا بالأرض تعجُّ بالحياة والأحياء ويأتيها رزقها من كلّ مكان ويُجْبَى إليها ثمرات كلّ شيء.

وتمتلىء قلوبنا بالأمل حينما نتذكر جهاد رسول الله ﷺ وصبره وكفاحه الذي تُوِّج بالنصر وانتشار الإسلام وارتفاع لواء الإيمان، وتمتلىء قلوبنا بالأمل حينما نتذكر بلالاً يؤذِّن من فوق الكعبة.

شرع الله الحج ليشعرنا بقوة الأمة الإسلامية ووحدتها حينما نرى الحجيج يجتمعون في مكة من كل أنحاء الدنيا على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وجنسياتهم يلبسون لباساً واحداً ويهتفون هتافاً واحداً ويرجون هدفاً واحداً هو رضوان الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾(2).

شرع الله الحج كي يكون مؤتمراً دوريًا يجتمع فيه المسلمون من سائر أقطار الأرض يتدارسون مشاكلهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويتعاونون على تحقيق مصالحهم العامة حتى يعيشوا حياة العزة والكرامة والكفاية. ولا شك أن هذا الحشد يحيي الأمل، ويبعث الهمة، ويشحذ العزيمة.

لقد اتخذ رسولنا ﷺ الحج منبراً لإذاعة أهم القرارات السياسية ففي أول سنة حج فيها المسلمون بإمرة أبي بكر بعث رسول الله ﷺ عليًا ليعلن على الناس إلغاء المعاهدات التي كانت بينه وبين المشركين الناكثين، وأن

(1) سورة إبراهيم: 37.
(2) سورة الأنبياء: 92.

لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. ولما حج رسول الله ﷺ أعلن في الحج في خطبته المشهورة دستورَ الإسلام ومبادئه وكان فيما قال: «**أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد**».

إخوة الإيمان: إن الله يريد في الحج قلوباً تلتقي، وأرواحاً تأتلف، وعقولاً تفكّر وتدبّر وتخطّط، وواحة حريةٍ وسلام يعبر فيها المسلمون عن آرائهم وأوجاعهم.

إن مؤتمر الحج لو عقد كما أراده الله لساهم في حلّ الكثير من المشاكل التي تواجه المسلمين ولعاد منه الحجاج ثواراً يدكُّون معاقل الظلم والاستعمار والصّهيونية.

لقد كان الحجيج في الماضي بعد فراغهم من حجهم يتوجهون إلى بيت المقدس فلماذا لا يسير الحجيج كلّ عام إلى حدود فلسطين معلنين أن فلسطين عربية إسلامية، وأن بيت المقدس أرض إسلامية مقدسة، وأن مليار مسلم في العالم لن يقرّ لهم قرار حتى يحرّروه من رجس الصهاينة.

إن الحجّ إذا لم يؤدِ إلى الجهاد والتكافل والتعاون والقضاء على الظلم والاستعمار والفقر والتخلف حجٌ ناقص، حجٌ فرغ من مضمونه الاجتماعي وجُرِّد من غاياته الأساسية.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[1].

(1) سورة التوبة: 19 ـ 21.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ . .﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾[1] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده يقول الحق وهو يهدي السبيل ولا نشرك به أحداً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة القرآن وأدّى أمانة البيان. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأتباعه بإحسان.

أيها المسلمون:

لقد أكرمنا الله تبارك وتعالى ببعثة المصطفى محمد ﷺ وزادنا فضلاً وكرماً بأن أنزل عليه القرآن ليخرجنا به من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جَوْرِ الأديان إلى عدل الإسلام، ومن جحيم المعصية إلى جنة الطاعة، ومن دُوّامة العقائد والفلسفات الوضعية إلى واحة الحقيقة المطلقة الخالدة:

﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[2]، ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ . . .﴾[3].

(1) سورة الكهف: 1 ـ 3.
(2) سورة إبراهيم: 1.
(3) سورة الإسراء: 105.

وما من أمرٍ جامع يحقّق مصالحَ الناس ويسعدهم في دنياهم وأخراهم إلا له في القرآن ذكر وبيان:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

ولا حاجة للمسلمين بالعودة إلى الكتب السماوية السابقة بحثاً عن الحق والهدى، فالهداية التامة، والحق المطلق، إنما هو بين دفتي القرآن الذي جعله الله الصورة الأخيرة للدين، والمرجع الأخير للعقيدة، وجعله الله فرقاناً بين الحقّ والباطل وأميناً ومهيمناً على الكتب السماوية السابقة التي طالتها يد العبث والتحريف.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ . . .﴾[3].

ولقد أتمّ الله لنا النعمة، وأجزل لنا العطية، بأن تكفل بحفظ هذا الكتاب، وحمايته من كل محاولة للتحريف والتزييف، حتى لا تكون فتنةٌ للمؤمنين، ولا مطعن للكافرين:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4].

وبسبب هذه العصمة الربانية، وهذه الرعاية الإلهية، ما زال هذا الكتاب منذ أربعة عشر قرناً وسيظل إلى قيام الساعة مصوناً خالداً يهدي الحيارى إلى الصراط المستقيم، صراط الحق والنعيم:

(1) سورة الإسراء: 9.

(2) سورة النحل: 89.

(3) سورة المائدة: 48.

(4) سورة الحجر: 9.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾[1].
وسيظل هذا الكتابُ إلى أن يرث اللّهُ الأرضَ ومن عليها المعجزةَ الخالدةَ، والحجةَ الدامغةَ التي تشهد على صدق رسالة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[2].

وحينما كان المشركون يطالبون نبيَّنا ﷺ بعرض المعجزات المادية التي أيده الله بها كان الله تعالى يسترعي أنظارهم إلى أن المعجزة بين أيديهم تُتْلَى عليهم آناءَ الليل وأطرافَ النهار:

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ * أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[3].

أيها المؤمنون:

إن هذا الكتاب هو دستور حياتنا، ومنهج سلوكنا، وسبيل عزتنا وسعادتنا، وحتى تظل الصلةُ قائمةً بيننا وبين هذا الكتاب أمرنا الله تبارك وتعالى أن نُقْبِلَ عليه ونتلوه حقَّ تلاوته:

﴿. . . فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ . . .﴾[4]، ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾[5].

(1) سورة النساء: 174.
(2) سورة الإسراء: 88.
(3) سورة العنكبوت: 50 ـ 51.
(4) سورة المزمل: 20.
(5) سورة القمر: 22.

فلبوا نداء الله ورتّلوا القرآن ترتيلاً، واعلموا أن لكم في تلاوة القرآن فضلاً كبيراً، وثواباً عظيماً. وحسبكم قول نبيكم محمد ﷺ: **«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الٓمٓ حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»**، وقوله ﷺ: **«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينةُ وغشيتْهُمُ الرحمةُ وحفَّتهُمُ الملائكةُ وذكرهم اللّهُ فيمن عنده»**. وإذا كنتم تطمعون أن تجدوا من يشفع لكم يوم القيامة فالقرآن يشفع لكم إذا تعهدتموه في الدنيا وأنزلتموه المنزلةَ التي يستأهلها: يقول المصطفى ﷺ: **«اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»**. وإذاكنتم تطمحون إلى المكانة الرفيعة في الدنيا والآخرة فتعلموا تلاوةَ القرآن وعلّموها أزواجكم وأبناءكم وجيرانكم وتلاميذكم. يقول سيد المرسلين ﷺ: **«خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»** ولا يعتذرَنَّ أحد بأنه يجهل التلاوة فالجاهل ينبغي أن يتعلم وينبغي أن يحاول ويبذل كلَّ ما في وسعه، فطلب العلم فريضةٌ على كل مسلم ومسلمة، والذي يقرأ القرآن يتعتع فيه له أجران كما بيَّن خاتم المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

وإن لكم في رسول الله أسوةً حسنة، فقد كان يتلو القرآن في معظم الأحيان وفي مختلف الأحوال، وكان يتلوه آيةً آيةً في تدبُّرٍ وتمعُّن وعلى مهل. وكان يحب أن يستمع إلى تلاوة القرآن من غيره، وقد روي أنه طلب مرةً من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن يسمعه قرآناً، فتردد، وقال: أأقرأ وعليك أُنزِلَ؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إني أحب أن أسمعه من غيري:»**. فقرأ له ابنُ مسعود من سورة النساء حتى إذا وصل إلى قوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾[1].

---

(1) سورة النساء: 41 ـ 42.

فقال رسول الله ﷺ: «**حسبك حسبك**». واغرورقت عيناه بالدموع، شعوراً برهبة الموقف وثقل المسؤولية، وإشفاقاً على أمته وأتباعه من شهادة يوم الحساب.

وإذا فاتنا أن نتلوَ القرآن لسبب أو لآخر فلا أقل من أن ننصت خاشعين حينما يُتْلَى على مسامعنا كما أمر منزِّل الكتاب جلَّ وعلا:

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

إن تلاوة القرآن لا تستهدف استمطار الرحمة على الأموات، ولا إطراب الكسالى وتسليتهم، ولا إظهار البراعة والتفوق في علوم التجويد والقراءات. وإنما تستهدف تنوير العقول، وإحياء القلوب، وإصلاح النفوس. فالقرآن نزل لإحياء الأموات لا لإماتة الأحياء:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾[2].

نزل القرآن لتتفكر فيه العقول، وتتأثر به القلوب، ويتحول هذا التجاوب وتلك المعايشة إلى عقيدة صلبة، وعمل خلاق، وسلوك مستقيم:

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[4].

وكم وبخ الله اليهود لأنهم لم يفقهوا تعاليم التوراة ولم يضعوها موضع التطبيق تحذيراً للمسلمين من هذا السلوك الشنيع:

---

(1) سورة الأعراف: 204.

(2) سورة الأنفال: 24.

(3) سورة صٓ: 29.

(4) سورة محمد: 24.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا . . .﴾[1]. وكم أثنى الله عز وجل على المؤمنين الذين يتبعون التلاوة بالالتزام بتعاليم الدين والعمل الصالح:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[2].

إن هذا الكتاب ينبغي أن نُقبِلَ عليه بروح المعرفة المنشئة للعمل، وأن نتلقَّى آياته كما يتلقَّى الجنديُّ أوامرَ قائده في الميدان.

إن هذا الكتاب لم ينزل لنزيِّن به المكتبات، ولا لنقرأه على الأموات، ولا لنتخذه أحرازاً وتعاويذ. وإنما نزل ليكون منهجَ الحياة، ودستورَ الدولة، وشريعةَ المجتمع. نزل ليتحول إلى قوانين تنظم حياةَ الناس، ومناهجَ تهدي العقول، وتصلح النفوس، وتهذب الأخلاق. نزل ليتحول إلى صدق في القول، وأمانة في العمل، وجهاد في ميادين الحياة.

إخوة الإسلام:

إن القرآن إذا صادف حسًّا مرهفاً، وقلباً سليماً، ونفساً توَّاقةً إلى الحق، يفعل الأعاجيب، ويفجر طاقات الخير والإبداع في الإنسان، ويتحول إلى إيمان والتزام واستقامة وطهارة. يقول الحق جل وعلا في وصف هذا النمط الخيِّر من الخلق:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

(1) سورة الجمعة: 5.

(2) سورة فاطر: 29 ـ 30.

خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

ولقد قص الله سبحانه وتعالى علينا خبر طائفة من النصارى المنصفين الذين ما إن سمعوا القرآن وأدركوا أنه الحقُّ من ربهم حتى سارعوا إلى الإيمان والتصديق ونطقوا بشهادة الحق والتوحيد، يقول الحق جلّ وعلا:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[2].

بل إن الجن أنفسهم حينما سمعوا هذا القرآن يترقرق على لسان المصطفى ﷺ تفجّرت ينابيعُ الهداية في قلوبهم، وتجاوبتْ مع دعوتِه فطرتُهُم، فهُرِعُوا إلى الإيمان به وحمل رسالته:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3].

---

(1) سورة السجدة: 15 ـ 17.

(2) سورة المائدة: 82 ـ 83.

(3) سورة الأحقاف: 29 ـ 31.

فامنحوا القرآن قلوبكم يمنحْكم الهدايةَ والإيمان، وامنحوا القرآنَ عقولَكم يمنحْكم الحكمةَ والفرقان، وامنحوه سواعدَكم يمنحْكم الحضارةَ والعمران.

أيها الأحباب:

لقد شكا رسول الله ﷺ إلى ربه ما عاناه من إعراض قومه عن القرآن وهجرانهم للفرقان:

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[1].

ولو كان اليوم حيًّا لامتلأت نفسُه بالحسرة، وارتفع صوته بالشكوى وهو يرى هذه الأمةَ تهجر القرآن، وتُصِمُّ عنه الآذان، وتشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير:

تستبدل قانون الأرض الجائر بقانون السماء المعصوم، ودعوة الاستسلام والذل والهوان برسالة الجهاد والعز والكرامة، وتستبدل الباطل بالحق، والغواية بالهداية.

وتنسى هذه الأمة أن هذا الكتاب ـ وهذا الكتاب وحده ـ هو الذي صنع لها كياناً ودولةً ومجداً وحضارةً وبوأها سيادة العالم:

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2].

والتاريخ خير شاهد على أن هذه الأمة، عزّت يوم تمسكت بالقرآن واعتصمت بحبله المتين وسارت على صراطه المستقيم، وذلت هذه الأمة حينما أعرضت عن هذا الكتاب، ونحّته عن مسرح الحياة والسياسة والاجتماع والاقتصاد:

---

(1) سورة الفرقان: 30.

(2) سورة الأنبياء: 10.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[1].

ولن يصلح أواخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولا منجاة لهذه الأمة، ولا عزة، ولا وحدة، ولا نصر، إلا بالعودة إلى كتاب الله.

وإن هذا الكتاب الذي صنع بالأمس الأبطال وربّى الرجال وأحيا أمة، وأقام حضارة، لقادرٌ اليوم أن يصنع نفس الصنيع، ويلعب ذات الدور، إذا أعدناه إلى مكانته اللائقة، وحكمناه في سائر شؤون حياتنا.

إخوة الإيمان:

إن الله استأمننا على هذا الكتاب، وحمّلنا مسؤولية هذه الرسالة، وهو سائلنا يوم القيامة عما استرعانا حفظنا أم ضيعنا:

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[2].

فإلى القرآن أيها المسلمون، إلى التلاوة الحقة، والتدبُّر الخلاق، والتطبيق والعمل، إلى الجهاد والكفاح من أجل غد أفضل ورحمة من الله ومغفرة:

﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].



(1) سورة طه: 124 ـ 126.

(2) سورة الزخرف: 43 ـ 44.

(3) سورة الأنعام: 155.

﴿ . . يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ . . ﴾

الحمد لله الذي أنعمَ على الخلق فهدى، ورزق فأغنى، وغفرَ فأرضى، وجزى فأوفى.

وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له يحبُّ المحسنين، ويقرِّبُ الصالحين، ويهدي الضالين، ويعطي السائلين، ويتوب على التائبين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أحبه الله فهداه، وآواه وأغناه، وفضله واصطفاه، وجعله الرحمة المهداة. اللهم صل عليه وعلى آله ومن والاه، وعمل بسنته واتبع هداه.

عبادَ الله:

لقد كرم الله الإنسان، ونفخ فيه من روحه، وأسجدَ له ملائكته، وسخر له ما في السماوات والأرض، وأسبغ عليه نعمه ظاهرةً وباطنة، وفضلّه على كثير ممن خلق تفضيلاً، وبعث إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وهداه إلى الحق، وبيَّن له طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وقبل عنه التوبة، وغفر له الحوبة، وأوسع له الرحمة، وهيأ له - إن آمن وعمل صالحاً - جنات فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فمن سواه جديرٌ بالعبادة الخالصة، ومن غيره خليقٌ بالمحبة المطلقة التي لا تعدِلُها محبة لسواه، ولا يبلغها وُدُّ لعداه؟

يقول الحق جلَّ وعلا:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ. . .﴾[1].

والحق أنه لا يكمل إيمان المسلم حتى يغلب حبُّ الله في قلبه على كل حبّ. يقول الرسول ﷺ: **«ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعودَ في الكفر كما يكره أن يُقْذَفَ في النار»**.

والله تبارك وتعالى يحب عباده المؤمنين الصالحين ويبادلهم حبًّا بحب، وودًّا يود، وإحساناً بإحسان:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[2]

والله عز وعلا يحب عباده الطائعين المتقين ويبادلهم رضى برضى، وخيراً بخير:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ * جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[3].

أيها المؤمنون:

إن محبة الله ليست بالتحلِّي ولا بالتمني، وليست بالأقوال والإدعاءات وإنما هي ما وقر في القلب وصدقه العمل. فمحبة الله تبارك وتعالى تقتضي عبادته، وتستلزم طاعته. ومن التناقض أن يدعيَ المرءُ حبَّ الله ثمَّ يبارزُ اللّهَ بالمعاصي والسيئات، والكبائر والموبقات، وما أصدق

(1) سورة البقرة: 165.

(2) سورة مريم: 96.

(3) سورة البينة: 7 ـ 8.

قول القائل:

تعصي الإله وأنت تُظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديعُ

لو كان حبُّك صادقاً لأطعته ... إن المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

ومحبة الله عز وعلا تستلزم محبة رسولِ الله ﷺ لأنه حبيبُ الله، وتستلزم اتباعَ سنّة رسول الله والاقتداءَ به، والسيرَ على خطاه لأن محبةَ الله لا تنالُ إلا بطاعة رسول الله:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وكيف لا نحبُّ رسولَ الله، وكيف لا يكون أحبَّ الناس إلينا وهو صفوةُ الله من خلقه، وخيرتهُ من عباده، وهو الذي نذر حياتَهُ كلها لتبليغ دعوة الإسلام، ورفع الظلم عن كاهل الناس، ولولا جهاده وتضحياته لكنا نتخبط في الظلمات ونتيه في الضلال؟ وإذا كان الصحابةُ رضوانُ الله عنهم قد عبروا عن حبهم لرسول الله بالالتفاف حوله، والتضحية بأرواحهم ودمائهم في سبيل الحفاظ على حياته، وحمايته من أعدائه فإن حبنا لرسولِ الله ينبغي أن يتمثل في الإخلاص للمباديء التي ضحى من أجلها رسولُ الله، ولا يوجد اعزب من سيرته الطاهرة، ومقامه العظيم، والتأسّي بأخلاقه ومناقبه، والعمل بهديه وسنته. ومحبةُ الله عزّ وجلّ تقتضي محبةَ المؤمنين لأنَّ اللّهَ يحبهم، ولأنَّ محبتهم شرط كمال الإيمان. يقول الرسول ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم»**.

ولقد أثنى الله عزّ وجلّ على الأنصار، وامتدحهم في القرآن الكريم لأنهم أحبوا إخوانهم المهاجرين، وآووهم، ونصروهم، وأكرموهم، وقاسموهم أموالهم ومتاعهم، وشاطروهم الحلو والمر والسراء والضراء:

---

(1) سورة آل عمران: 31.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

ولقد علمنا الله عزّ وجلّ أن ندعوَه قائلين:

﴿. . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

ومحبة المؤمنين تقتضي تمنّي الخير لهم لقول رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبه لنفسه»**.

ومحبة المؤمنين تقتضي موالاتهم، والوقوفَ في صفهم، والدفاعَ عنهم، وتقديمَ العون لهم لقول الحق تبارك وتعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[3].

ومحبة الله سبحانه تقتضي أن نحب ما يحبه الله ونكره ما يكرهه الله. فنحب المحسنين والمتقين والمقسطين والمجاهدين لأن الله يحبهم، ونبغض الظالمين والمتكبرين والمفسدين والمنافقين لأن الله يبغضهم. يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

(1) سورة الحشر: 9.
(2) سورة الحشر: 10.
(3) سورة المائدة: 55 ـ 56.

وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

إخوة الإسلام:

إن من لوازم محبة الله أن يضحيَ المؤمن بنفسه في سبيل رضوان الله، وأن يجود بالغالي والنفيس في سبيل الحق والعدل والحرية، وأن يجاهد بماله ونفسه لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

ومن لوازم محبة الله أن يتواضعَ المؤمن للمؤمنين ويأبى الذل والضيم من الكافرين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

ومن لوازم محبة الله أن يغلبَ حبُّ الله على حبِّ الآباء والأبناء والإخوة والأزواج والعشيرة، وأن يغلب حب الجهاد في سبيل الله على شهوات الدنيا:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم

---

(1) سورة المجادلة: 22.

(2) سورة المائدة: 54.

مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1].

ومن لوازم محبة الله أن يحب المؤمن لقاءَ الله، ويُهْرَعَ للجهاد في سبيل الله، ولا يأبه لما يصيبه في الله، ولا يخشى الموت لأنه مقبلٌ على الله، وعلى الله، وعلى رحمة الله، وعلى مغفرة الله، وعلى جنات فيها النعيم الدائم، والسعادة الأبدية، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون.

هذا خبيب بن عدي يأخذه المشركون ليصلبوه فلا يضعف ولا يستكين، ولا يتراجع عن مبدئه، ولا يتخلى عن عقيدته ويهتف منشداً:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنبٍ كان في الله مصرعي

وذلك في ذاتِ الإلّه وإن يشأ ... يبارك على أوصال شِلوٍ ممزَّعِ

ولست بمبدٍ للعدوِّ تخشعاً ... ولا جزعاً إني إلى الله مرجعي

وهذا عمير بن الحمام يسمع رسولَ الله ﷺ يقول في بدر محرضاً على القتال: **«والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتَلُ صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة، قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»** فيرمي تمراتٍ كان يأكلها ويقول: **«لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة»** ثم يقتحم المعركة ويقاتل حتى يحقق أمنيته.

وهذا عبد الله بن جحش يرفع يديه إلى السماء يبتهل إلى سميع الدعاء قبيل معركة أُحد ويقول: **«اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو غداً فيقتلوني ثم يبقروا بطني ويجدعوا أنفي وأذني ثم تسألني: فيم ذلك؟ فأقول: فيك»**.

ويقاتل عبد الله في أُحَدٍ ويظفر بالشهادة، ويفعل به الأعداء كما تمنّى

---

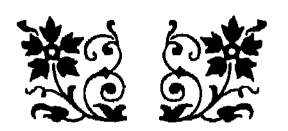
(1) سورة التوبة: 24.

على الله ليلقاه بأوسمة العز والفخار، وعلامات البذل والفداء، وأمارات الحب والتضحية.

أيها الأحباب:

إن الله يحب المحسنين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب المتقين، ويحب المقسطين، ويحب الصابرين، ويحب المتوكلين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص، ويحب الذين يقرنون القولَ بالعمل، والإيمانَ بالطاعة، والمحبةَ بالعبادة، فكونوا من هؤلاء تظفروا بالنعيم المقيم:

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].



(1) سورة البقرة: 25.

﴿.. وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾*

الحمد لله الذي لا تحصى نعمه، ولا تعدُّ آلاؤه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يجزي الشاكرين، وينجي الحامدين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كان شاكراً لأنعم الله في كل حال، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه وآله وسلم.

عباد الله:

يقول الله الحق تبارك وتعالى:

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ * ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ * وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ * وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(1).

(1) سورة إبراهيم: 31 ـ 34.

نعم ـ إخوة الإسلام ـ ما أعظمَ نعم الله، وما أكثر عطايا الله، وما أوسع فضل الله، انظروا في أنفسكم، وانظروا ما حولكم تجدوا النعم باطنةً وظاهرة، كافيةً ووافرة، واسعة وساترة. يغدقها اللّهُ علينا في الليل والنهار، واليقظة والمنام، والحضر والسفر برغم غفلة القلوب، وكثرة الذنوب، وقلة الحمد والذكر، والعبادة والشكر.

اللهم أنت ربُنا لا إلّه إلا أنت، خلقتنا ونحن عبيدك، ونحن على عهدك ووعدك ما استطعنا، نعوذ بك من شر ما صنعنا، نبوء لك بنعمتك علينا، ونبوء بذنوبنا فاغفر لنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

أحباب الله:

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، هل جزاء النعم إلا الشكر، هل جزاء الهداية والرحمة والمغفرة إلا الطاعة والعبادة؟

أليس من الظلم لأنفسنا أن نقابل الإحسان بالإساءة، والنعمة بالكفران، والفضل بالنكران؟

هل يرضى أحدنا أن يُنكر معروفه، أو يجحدَ جميله، أو يَلقى الشرَّ ممن أحسن إليه؟ إذاً كيف نقابل نعمَ الله بالجحود، وكيف نقابل فضلَ الله بالمعاصي، وكيف ننسى أنَّ اللّهَ أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً، ولا نستطيع شيئاً، ولا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً؟

يقول الرسول الأعظم ﷺ: يقول الله تعالى: «**إني والجن والإنس في نبإٍ عظيم، أخلق ويُعبَد غيري، وأرزق ويُشكَر سواي. خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد. أتحبّب إليهم بنعمي وأنا الغنيُ عنهم فيتعرضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إليّ**».

فلنعدْ إلى الله ـ عبادَ الله ـ ولنشكره على نعمه، ولنحمدْهُ على مَنّه وكرمه:

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1].

واعلموا أحباب الله أننا بهذه النعم مبتلون، وعنها مسؤولون، وعليها محاسبون: معذَّبون أو منعَّمون:

﴿...قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[2].

إخوة الإيمان:

إنَّ شكرنا لله لا يزيدُ في ملكه شيئاً وكفرنا بنعمه لا ينقص من ملكه شيئاً: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً**».

ولكنَّ الشكر فيه رضوان الله، وفيه طمأنينةُ النفس، وفيه راحةُ الضمير، وفيه أنسُ الصلةِ بالله، وفيه أُنسُ اليقين بزيادة النعم واستمرار الرعاية الإلّهية: يقولُ الله عَزَّ وعلا:

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[3].

ويقولُ الرسول ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد يأكلُ الأكلةَ فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**».

فلنشكر الله، ولنمجد الله لنعيش في رحاب رضوانه، وننقذَ أنفسنا من قلق الجحود، وجحيم الكفران:

---

(1) سورة النحل: 114.

(2) سورة النمل: 40.

(3) سورة البقرة: 152.

﴿...وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1].

لنشكر الله، ولنحمد الله حتى ننجوَ من المهالك والنوائب، ونخلصَ من المحن والمصائب، ولا ريب أن لنا في الغابرين عبرة، ولنا في الحاضرين موعظة:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ * إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ * نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾[2].

لنشكر، الله، ولنسبح الله، حتى ننجوَ من عذاب الدنيا والآخرة، ونفوزَ برحمته ومغفرته:

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[3].

لنشكر الله - أحبابَ الله - حتى يضاعفَ لنا الخيرات، ويفتح علينا البركات كما وعد في كتابه الكريم والله لا يخلف الميعاد:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[4].

ولنحذر - إخوة الإسلام - كفران النعم فهو يمحق العطايا، ويزهق الخيرات، ويهلك الأرزاق، يقولُ اللّهُ تعالى:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا

---

(1) سورة لقمان: 12.
(2) سورة القمر: 33 - 35.
(3) سورة النساء: 147.
(4) سورة إبراهيم: 7.

﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾(1).

ولقد قصَّ اللّهُ علينا في كتابٍ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه كيف عاقبَ أهل سبإ بكفرهم بنعمته وإعراضهم عن أمره، فأرسل عليهم طوفاناً خرب أرضهم، وأهلك زرعهم، وبَدَّلَ حالهم، بعد أن كانوا في نعمة ويسار وفاكهةٍ وثمار، عَلَّ الناسَ يتعظون، وعَلَّ الناسَ يشكرون، ومن غفلتهم ينتبهون قبل أن تأتِيَهُمْ غاشيةٌ من عذاب الله أو تأتيَهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾(2).

إخوة الإسلام:

إن كفرَ النعمة يكون بجحودها أو إنكار أن الله واهبها ونسبتها إلى العلم والخبرة والبراعة والحنكة والسعي والنشاط أو بعدم شكرها، أو عدم أداءِ حقِّ الله فيها، أو التصرف فيها في المعاصي والموبقات، والفواحش والمحرمات، والظلم والطغيان. وكافر النعمة لا بدّ من أن يلقى جزاءه، وينال عقابه بحرمانه من هذه النعم، أو تحويلها إلى نقم لا يجد معها الإنسان طعم الراحة ولا لذة الطمأنينة، أو عذاب مؤجل في الدنيا أو الآخرة.

هذا قارون آتاه الله ملكاً واسعاً وثروة طائلة ولكنه بدَّل نعمة الله

---

(1) سورة النحل: 112.

(2) سورة سبأ: 15 ـ 17.

كفراً، وأحَلَّ نفسه دار البوار، وأنكر أن الله مصدر غناه، وسر بحبوحته، وادَّعى أنه حصل الأموال والكنوز بعلمه وخبرته وكده وسعيه، وأنكر فضل الله عليه، ومنع المسكينَ حقَّه. فخسف الله به وبداره الأرض، وهذا جزاء الخائنين لنعمة الله والجاحدين لفضل الله:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ۞ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

حقًّا ما أبأس الذين يطغيهم الغنى وينسيهم اليسار أنهم كانوا ضعفاء فقواهم الله، وكانوا صغاراً فرباهم الله، وكانوا فقراء فأغناهم الله، وكانوا أذلة فأعزهم الله، وكانوا خائفين فأمَّنهم الله.

ما أبأس الذين يدَّعون أنهم أغنياء بسواعدهم وعقولهم أو غنى آبائهم وأجدادهم ولا يقولون: الحمد لله، هذا فضل الله وما كنا أغنياء إلا بكرم الله.

ولقد أنبأنا رسول الله ﷺ ماذا يحل بجاحدي النعمة وماذا يصيب شاكريها حين أخبرنا **أن ثلاثة من السابقين؛ أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليَهم فبعث إليهم مَلَكاً، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه قذره وأُعطِيَ لوناً حسناً فقال: وأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل. فأُعطِيَ ناقة عُشَرَاءَ فقال: بارك الله لك فيها.**

ثم أتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس: فمسحه، فذهب عنه وأُعطِيَ شعراً حسناً. قال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأُعطِيَ بقرة حاملاً. قال: بارك

(1) سورة القصص: 81 ـ 83.

الله لك فيها. فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله عليَّ بصري فأبصر الناس. فمسحه، فرد الله إليه بصره: قال: فأي المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم. فأُعطِيَ شاة والداً. فأنتج هذان، وولد هذا، فكان للأبرص واد من الإبل، وللأقرع واد من البقر، وللأعمى واد من الغنم. ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال: كأني أعرفك: ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيرّك الله إلى ما كنت، فعاد أبرص فقيراً.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا وردَّ عليه مثل ما ردَّ هذا فقال: إن كنت كاذباً فصيرَك الله إلى ما كنت، فعاد أقرع فقيراً. وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاة أتبلَّغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فردَّ الله إليّ بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عزّ وجلّ.

فقال: أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك.

أيها الأحباب:

قد يسأل سائل: إذا كان كفر النعم يمحقها فما بال الله عزّ وجلّ قد وسّع على الكفار وأمدهم بأسباب القوة والمنعة والرفاهية؟ وما بالنا نعيش في ضنك وتخلف؟

أما التمكين للأمم الكافرة فهو ابتلاء من الله لها وإمهال علَّها تعود إلى الحق والصواب، وزيادة التمكين إنما هي استدراج من الله حتى يزداد إثمهم وعذابهم:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1].

فإذا جاء أجلهم أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر:

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۞ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

أما ما نحن فيه فبسبب تخلفنا عن الأخذ بالأسباب، وبسبب تخلفنا عن الأخذ بالكتاب، وتقاعسنا عن العمل والكفاح، والله لا يغيِّر ما يقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم، وشكر الله لا يعني أن نقول الحمد لله فحسب بل لا بدّ من توظيف النعمة حسب أمر الله، وهنا تكمن الأزمة التي يعيشها عالم الإسلام حيث نحسن القول ولا نحسن العمل:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[3].

عباد الله:

إن رسولنا محمداً ﷺ كان يحمدُ الله في كلِّ حال وفي كلِّ حين فإذا أصبح الصبح قال: «**اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر**».

وإذا أكل قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم من لا كافي ولا مؤوي**».

(1) سورة آل عمران: 178.

(2) سورة الأنعام: 44 ـ 45.

(3) سورة الشورى: 30.

وإذا لبس لباساً جديداً قال: «**الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة**».

وإذا تمّ له أمرٌ قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**».

وإذا أصابه مكروه قال: «**الحمد لله على كلِّ حال**».

فلنحمد الله **أحباب الله**، ولنشكره على نعمه وعطاياه ونستخدم نعم الله في طاعة الله، ولنقل مع القائل:

﴿... رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].



(1) سورة النمل: 19.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ. . .﴾

الحمد لله الذي وسعت رحمته العالمين، وفتح باب التوبة للمذنبين، ووعد بالمغفرة عباده المستغفرين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحب التوابين العائدين إلى حماه، ويحب المتطهرين الظامئين إلى رضاه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نهى عن اليأس من رحمة الله، وحثَّ على التوبة قبل فوات فرصة النجاة. اللهم صل وسلم وبارك على حبيبنا محمد ومن اهتدى بهداه.

إخوة الإيمان:

يقول الحقُّ جلَّ وعلا:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[1].

الإنسان مخلوق ضعيف، كثيراً ما يرتكب الأخطاء ويقترف المعاصي، بدافع شهوة تستبد به، أو طمع يسيطر عليه، أو هوى يتحكم فيه، أو أنانية تستولي على قلبه، أو غفلةٍ تحجب بصيرته، أو غضب يفقده صوابه، أو جهلٍ يغلق أمامه سبل الهداية، أو شيطان يزيِّن له طرق الغواية.

---

(1) سورة النساء: 27 ـ 28.

ومهما بلغ الإنسان من التقوى، وارتقى في سُلَّم الطاعة والعبادة لا يسلمُ من الخطايا، ولا ينجو من الذنوب، ولا يُعصَم من المخالفات: يقول سيدنا محمد ﷺ: **«كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»**.

والله عزّ وجلّ رحمن رحيم وسعت رحمته كل شيء، وشملت المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، واستوعبت الدنيا والآخرة. اسمعوا ـ أيها الإخوة ـ مناجاة الملائكة السفرة الكرام البررة لله الغفور الودود:

﴿...رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

وحدث مرةً ـ أحبابَ الله ـ أن رأى رسولُ الله ﷺ أمًّا تضم طفلها إلى صدرها بكل عطف وحنان فقال لأصحابه رضوان الله عليهم: **«أتَرَوْنَ هذه طارحةً ولدَها في النار؟ قالوا: لا والله. قال: لَلّهُ أرحم بعباده من هذه بولدها»**.

ومن رحمة الله بعباده، أنه فتحب بابَ الأمل أمام المخطئين، وفتح بابَ التوبة أمامَ المذنبين، وفتح بابَ المغفرة أمام المستغفرين. فالخطيئة لا تعني النهاية، والذنب ليس مدعاةً للقنوط، وليس مبرراً للتمادي في الآثام. باب الخلاص مفتوح. باب النجاة مفتوح، وباب الله مفتوح والله ينادي المذنبين: تعالوا إليّ تجدوا المغفرة، تعالوا إليّ تجدوا الرضوان، تعالوا إليّ تجدوا الطمأنينة، تعالوا إليّ تجدوا الراحة، وعودوا إليّ تجدوا السعادة في الدنيا والآخرة: يقول الرحمٰنُ الرحيم:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ

(1) سورة غافر: 7 ـ 9.

يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[1].

ويقول التوابُ الرحيم:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[2].

ويقول خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: **«إنّ اللّهَ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوبَ مسيءُ الليل»**.

إخوةَ الإسلام:

إنَّ التوبةَ التي يريدها اللّهُ منا، ويقبلها عنا، ويغفر بها لنا إنما هي التوبة النصوح، التوبة الصادقة المخلصة، التوبةُ التي تترافق مع الندم والأسى على التفريط في حق الله، وتتزامنُ مع العزم الأكيد على تجنب الخطايا، التوبة التي يصحبها العمل الصالح، وترافقها الاستقامة على الطاعة، التوبة التي تصنع انقلاباً في حياة المسلم وتغييراً في سلوكه ومعاملاته، التوبة التي تفتح صفحة جديدة في علاقة الإنسان بربه، علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، التوبة التي تَرُدُّ للمظلوم حَقَّه، ولِلْمُهَانِ كرامتَه. والتوبة التي تؤدِّي حقوق العباد، وتؤدِّي حقوقَ رَبِّ العباد.

يقول الحقُّ جَلَّ وعلا:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا

(1) سورة الزمر: 53 ـ 54.

(2) سورة الشورى: 25.

يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]. ويقول اللّهُ تبارك وتعالى:

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[2].

والتوبةُ النصوح ـ أحبابَ الله ـ تمحو الذنوب، وتكفّر الخطايا حتى لو بلغت عَنَانَ السماء. فلا يحقُّ لأحدٍ أن يقنط من مغفرة الله مهما عظمت ذنوبه وكثرت خطاياه لأن عفوَ الله أعظم، وكرمَهُ أوسع، وفضلَه أكبر، ولأن الله يغفر الذنوب جميعاً، ولأنه وعد بمغفرة ذنوب التائبين والاستجابة للمستغفرين والله لا يخلف الميعاد ولا يريد ظلماً للعباد:

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾[3].

عبادَ الله:

إنَّ المعصية في حياة المسلم أمرٌ عارض سرعان ما يمضي، واستثناء وشذوذ سرعان ما يزول. فالمسلم إذا أخطأ سرعان ما يحاسبُ نفسه، ويدرك خطأه، ويندمُ على فعله، ويعزم على استئناف مسيرة الطاعة والعبادة، ويسارع إلى الاستغفار والتوبة: يقول الحقُّ جَلَّ وعلا في وصف المؤمنين المتقين المستحقين لجنات النعيم:

---

(1) سورة التحريم: 8.

(2) سورة طه: 82.

(3) سورة الفرقان: 70 ـ 71.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾[1].

والمذنبون الذين يسارعون إلى التوبة، ويُهرَعون إلى الطاعة، ويعجلون بطلب المغفرة، يتوبُ الله عليهم، ويبدِّل سيئاتهم حسنات، ويغفر لهم، ويرضى عنهم. أما المذنبون المسرفون الذين يسوِّفون في التوبة ويؤجلون، وينغمسون في الآثام، ويتمادون في المعاصي حتى يداهمهم من الموت المحتم فيتظاهروا بالتوبة، ويتظاهروا بالندم والأسف فلا يقبل الله توبتهم لأنها تفتقر إلى الإخلاص، وتفتقر إلى الصدق، وتفتقر إلى الإرادة الحرة، ولأنها توبة العاجز المضطر الذي لا يملك الخيار:

يقول الحقُّ سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا * وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾[2].

---

(1) سورة آل عمران: 133 ـ 136.

(2) سورة النساء: 17 ـ 18.

والقرآن يخبرنا أن الله عزّ وجلّ لم يقبل توبة فرعون التي أعلنها في آخر لحظة حينما بدأت تبتلعه الأمواج ويداهمه الغرق لأنه تاب توبةَ المقهور المجبور ولم يتب توبة الطائع المختار ولأنه ضيّع فرصة التوبة القريبة، وتمادى في الطغيان والعصيان والظلم والعدوان: يقول الحقُّ جل وعلا:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ * ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ * فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾[1].

إن الكيِّسَ العاقل هو الذين يدين نفسه، ويحسبُ حساب الموت، ويسارع إلى التوبة، ويستعد للقاء الله بالقلب السليم والعمل الصالح قبل أن يداهمه الموت في أي لحظة، ويحول بينه وبين التوبة.

إن الشباب الذين يغترون بفتوتهم وصحتهم، وقوتهم ونشاطهم، ويتمادون في المعاصي، ويسرفون في الخطايا، ويقولون: لنتمتع بالشباب والقوة، وغداً حينما نشيخ نتوب إلى الله، ونلزم جادة الحق، هؤلاء الشباب مخطئون في ظنهم، وواهمون في تقديراتهم، وغافلون عن حقيقة الموت والحياة. مَنْ يضمن لهؤلاء الشباب أن يعيشوا حتى يشيخوا، بل مَنْ يضمن لهم أن يعشوا بعد سنة، بعد شهر، بعد أسبوع، بعد يوم، بعد ساعة، بعد دقيقة، بل بعد ثانية؟

ومن يضمن لهم إذا عاشوا حتى بلغوا الشيخوخة أن يكونوا قادرين على التوبة، وقادرين على ترك المعاصي التي أدمنوا عليها، وقادرين على تطهير قلوبهم التي استحوذت عليها القسوة، وغشيها السواد، ومات فيها الحِسُّ، واستبدت بها الآثام والشهوات.

(1) سورة يونس: 90 ـ 92.

ولنفرض جدلاً أن هؤلاء الشباب العصاة عاشوا حتى شاخوا، وتمكنوا من التوبة والاستقامة، فمن يضمن لهم راحة الضمير؟! ومن يطرد عنهم أشباح خطايا الأمس القريب، وكوابيس موبقات الماضي الرهيب؟!

حريٌّ بهؤلاء الشباب ألاَّ يغتروا بفتوتهم وصحتهم فالموت لا يفرق بين صغير وكبير، ومريض وصحيح، فقد يموت الصغير ويعمر الكبير، وقد يموت الصحيح ويعيش المريض.

حريٌّ بهؤلاء الشباب أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسَبوا ويزنوا أعمالهم قبل أن توزَنَ عليهم فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

حريٌّ بهؤلاء الشباب أن يسارعوا إلى التوبة قبل الموت، ويعجلوا بالصلاة قبل الفوت، حتى يظفروا بسعادة الدنيا والآخرة.

أحبابَ الله:

إن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويفرح بتوبة المؤمنين، ويفتح أبوابه لاستقبال العائدين إلى رحابه، المتطلِّعين إلى رضوانه، والظامئين إلى مغفرته، والمتشوِّقين إلى نعيمه وجنانه.

يقول رسولنا محمد ﷺ: «**لَلَّهُ أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرضٍ فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيِسَ منها فأتى شجرة واضطجع في ظلها، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**».

فلنعد ـ أيها الأحباب ـ إلى الله، ولنتب إليه توبة نصوحاً من سائر الذنوب حتى نفوز برضوانه وجناته:

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

---

(1) سورة النور: 31.

﴿... فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ...﴾

الحمد لله الذي سَخَّر لنا الليل والنهار، وأنعمَ علينا بالأرزاق والأعمار.

وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له الرحيمُ الغفار.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ المتقين الأبرار.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأخيار.

أيها المؤمنون:

يقولُ رسولنا ﷺ: **«لن تزولَ قدمَا عبد يومَ القيامة حتى يُسألَ عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»**.

نعم ـ **إخوة الإسلام** ـ نحنُ مسؤولون بين يدي الله تعالى عن أوقاتنا كيف أمضيناها، وعن أعمارنا كيف قضيناها، فالأعمار منحةٌ مِنَ الله وهبنا إياها لطاعته وعبادته، ومنحنا إياها للدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس، ومَنَّ علينا بها لحمل رسالة الإسلام لسائر الخلق والأنام:

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[1]. وهذه الأعمارُ التي نتمتع بها آجالٌ محددة لا تزيد ولا تنقص:

(1) سورة الزخرف: 44.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

وهذه الأوقات التي نعيشها هي رأس مالنا، فيا هناءة من استثمرها في طاعة الله، ويا خسارة من ضيّعها في معصيته.

وكُلُّ مفقود ربما نسترجعه، وكُلُّ خسارةٍ يمكن أن نعوِّضها إلا الوقت فهو إن فات لا يعود، وإن ضاع لا يعود، يقولُ الحسن البصري رحمه الله: «**ما من يوم ينشق فجرُه، إلا نادى منادٍ: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فاعمل فيّ عملاً صالحاً فإني لا أعود إليك أبداً**».

عبادَ الله:

إن الموتَ سُنَّةُ الله في خلقه، والنهاية المحتمة لعباده مهما طالت الأعمار، وأبطأت الآجال، وكثرت الأولاد والأموال، وعظم الجاه والسلطان:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[2].

والإنسان لا يدري متى يفارقُ هذه الدنيا:

﴿...وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3].

والأجل أقصرُ من الأمل، و «**الكيّس من دانَ نفسه وعمل لما بعدَ الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**».

---

(1) سورة الأعراف: 34.

(2) سورة آل عمران: 185.

(3) سورة لقمان: 34.

إن الموت يترصد الإنسان في كلّ لحظة، والعاقل من استعدَّ للقاء الله بالعمل الصالح، وليس من الحكمة أن يغترَّ الإنسان بالشباب والصحة والمال، ويغرق في الشهوات، ويلهيَهُ الأمل، ويظن أن في العمر سعةً للتوبة والعمل الصالح بينما الموت أقرب إليه من حبل الوريد، وليس هناك عمرٌ ثان، ولا فرصة أخرى لتعويض ما فات من البرّ وعمل الصالحات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ * وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

أيها الأحباب:

إن العمر مهما طال قصير، والواجباتُ أكثر من الأوقات، ونحن في سباقٍ مع الزمن فعلينا أن نستغل فرصة الحياة أحسن استغلال، وعلينا أن نستثمر الأعمار أفضل استثمار، فنوظفها في طاعة الله، ونشغلها بالعمل الصالح، ونتسابق فيها إلى الخيرات، ونتنافس فيها على الحسنات:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[3].

---

(1) سورة المنافقون: 9 ـ 11.

(2) سورة البقرة: 148.

(3) سورة المطففين: 22 ـ 26.

يقول الرسول ﷺ: **«اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، . وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»**.

وما أكثر أبواب الخير أمام طُلابِ الحسنات، وما أكثر أصناف المعروف أمام طلاب الجنات، يقول الرسول ﷺ: **«كلُّ سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكلِّ خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»**.

إن الزمنَ لا يرحمُ القاعدين، وإن الوقت لا ينتظر المسوِّفين، فلنعجل بالصلاة قبلَ الفوت، وبالتوبة قبل الموت. ولنعجل بالصدقة والحج، وأعمال البر، فإنا لا ندري ماذا يعرض لنا. صحيح أن الواجبات كثيرة، وأبواب الخير وفيرة، ولكن هذا لا يعني أن نحمّل أنفسنا فوق ما نطيق، أو نغلّب جانباً من النشاط على آخر، بل حسبنا أن نقوم بالواجبات الأساسية في كلِّ مجال من مجالات الحياة، وحسبنا أن نداوم على هذه الواجبات، وحسبنا أن نحقق التوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد، بين حقوق النفس وحقوق الآخرين، بين حقوق الله وحقوق الخلق.

يقولُ الله عز وجلّ:

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ . . .﴾[1].

ويقول الرسول ﷺ: **«يا أيها الناس خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يَمَلُّ حتى تملُّوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قلَّ»**.

(1) سورة القصص: 77.

إخوة الإيمان:

إن الإسلام هو دين النظام وقد جعل لكلّ عبادة وقتاً محدّداً حتى نتعلمَ النظام والانضباط، والمحافظة على الأوقات، والشعور بقيمة الزمن.

وحذر ديننا الحنيف من إضاعة الأوقات في لغو العمل، ولغو القول، ولغو التفكير:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[1].

وشرع الإسلام صلاة الفجر حتى يستقيظ المؤمن مبكراً وينتفع بسائر يومه، وينشطَ في عمله، وينتجَ لأمته.

يقول الرسول ﷺ: **«بورك لأمتي في بكورها»**.

ودينٌ هذه شريعته، وهذه مقاصده لا يليق بأتباعه أن يضيعوا أوقاتهم في القيل والقال، واللهو واللعب، والسفاسف والشهوات، والسطو على أوقات الناس العاملين، وتعطيل أوقات المفكرين والمنتجين، في الوقت الذي يحدق الأعداء بأمتنا من كلّ جانب ويتربصون بها الدوائر، وفي الوقت الذي يستغل فيه العدو الصّهيوني المغتصب كلّ لحظة لارتكاب مزيد من العدوان، وابتلاع مزيد من الأرض، وتحقيق مزيد من التوسع، واقتراف مزيد من جرائم القتل والتدمير والتشريد.

أيها الأخوة:

إن مسؤولياتنا كثيرة، وإن هناك الكثير من العمل الذي ينتظرنا، وما لم نحسن الانتفاع بأوقاتنا فلن يكون لنا دور فاعل في العالم، ولن تكون لنا عزة ولا كرامة، ولن يكون لنا حرية ولا استقلال، ولن نكون شهداء على الناس ولا خيرَ أمة أخرجت للناس.

---

(1) سورة المؤمنون: 1 ـ 3.

إن لعن الأزمان لا يفيد، وسبُّ الأيام لا يجدي، والأقدار تجري بمشيئة الله، والواقع من صنع أيدينا، واللّهُ لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم.

فلندع الكسل، ولنترك التسويف والتأجيل، ولنهجر القعود، ولنتصالح مع الزمان فهو مخلوق من أجلنا، ولنتناغم مع الأوقات فهي مسخرة لنا، ولنتحمَّل مسؤولياتنا التي أنيطت بنا واللّهُ مع العاملين ومع المجاهدين:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

إخوةَ الإسلام:

عام مضى من أعمارنا ينبغي أن نحاسب فيه أنفسنا قبل أن نحاسَب، ونزن فيه أعمالنا قبل أن توزن علينا، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

عام مضى نسأل الله أن يغفر فيه ذنوبنا ويتجاوز عن سيئاتنا، وعام أتى نسأل الله فيه أن يجمع كلمتنا، ويوحد صفوفنا، ويصلح أحوالنا، وينصرنا على أعدائنا.

﴿... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].



(1) سورة العنكبوت: 69.

(2) سورة البقرة: 286.


باب التعبئة والجهاد

﴿.. وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ..﴾

الحمد لله غافر الذنوب، ومفرج الهموم والكروب، وكاشف السوء والخطوب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعين العبد إذا ابتلاه، ويجيب المضطر إذا دعاه، جعل مع العسر يسراً، ومع الصبر نصراً، ومع الكرب فرجاً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله دعا إلى الأمل والتفاؤل، ونهى عن الطيرة والتشاؤم، بشّر ويسّر، وصبر فظفر. اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أيها المسلمون:

ما زال بعض الناس يتشاءمون بأشخاص معينين أو أشياء أو أحداث أو تواريخ خاصة ويظنون أنها تجلب لهم النحس والمصائب، وتسبب لهم الكوارث والمتاعب، وما أكثر ما تقعدهم عن السعي، وتصدهم عن العمل، اتقاءً لشرها، وتفادياً لعواقبها.

والإسلام دين الحق والتوحيد، والعقل والمنطق، يرفض هذا الاعتقاد، ويعارض ذلك السلوك، لأنه قائم على الظنون والخرافات، والأوهام والتخيلات، ولا سند له من العقل، ولا برهان له في النقل. بل إن رسول الله ﷺ يَعُدُّ الطيرة نوعاً من الشرك لأن المتطيِّرَ يعتقد أن الخلق هم الذين يسببون له الضر، ويبعدون عنه النفع، وينسى أن الله هو الذي يتصرف في هذا الكون، وهو الذي يسيِّرُ الأقدار، وهو الذي يحدِّد الأرزاق والأعمار، وهو الذي بيده النفع والضر، والغنى والفقر. وفي كلِّ فعل له حكمة، وفي كلِّ شيء له خبرة:

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1].

وقد كان كفار مكة يتشاءمون بمحمد ﷺ فإذا أصابتهم مصيبة قالوا: هذا بسبب محمد. فرد الله عليهم مبيِّناً فسادَ اعتقادهم وتفاهةَ تفكيرهم، ومؤكداً أن النعم كلَّها من الله وتقع وفق حكمة جليلة وخطة سديدة:

﴿. . . وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[2].

ثم يبيِّن الحق جلَّ وعلا أن المصائب إنما تصيب الإنسان بسبب ذنوبه ومعاصيه:

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[3]

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾[4].

وهذه المحن التي يتعرض لها المؤمنون إنما هي لتطهيرهم من ذنوبهم وتخليصهم من خطاياهم. وهذه المصائب التي تصيب المسلمين إنما هي لإشعارهم بضعفهم وحاجتهم إلى خالقهم حتى لا يحملهم دوام النعم على الكبر والظلم.

---

(1) سورة الأنعام: 17 ـ 18.

(2) سورة النساء: 78.

(3) سورة النساء: 79.

(4) سورة الشورى: 30.

هذه المصاعب تربية لنفوس المؤمنين، تعلمهم الصبرَ والتواضعَ وتعيدهم إلى ربهم، وتؤهلهم للفوز بجنات النعيم:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[1].

وعلى المؤمنين حين تنزل بهم المحنُ والشدائدُ أن يحاسبوا أنفسهم ويمحِّصوا أعمالَهم قبل أن ينحوا باللائمة على أي مخلوق.

ولقد بيَّن رسولُ الله ﷺ أن المسلم قد يرى ما يكره ولكن هذا ينبغي ألاَّ يقعدَه عن السعي ويدفعَه إلى القنوط، بل عليه أن يتابعَ سعيه وكفاحه ويكلَ أمرَه إلى الله ويقول: «**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك**».

ورسولنا ﷺ يدعو إلى التفاؤل والاستبشار حيث يقول: «**لا طيرة وأحب الفأل الصالح**» يقول: «**يسروا ولا تعسروا وبشِّروا ولا تنفِّروا**».

أيها المؤمنون:

هناك كثير من المسلمين في هذه الأيام ملأ التشاؤم قلوبَهم واسودت الدنيا أمامهم، وضاقت عليهم الأرضُ بما رحُبَتْ، فهم لا يأملون خيراً، ولا يتوقعون نصراً، ولا ينتظرون فرجاً. وهذا القنوط دفعهم إلى السلبية والاستسلام، وصدَّهم عن السعي والكفاح.

والحق أن هذا الشعور سوءُ ظنٍّ بالله، ويأسٌ من رحمة الله، وجهلٌ بسنن الله الكونية، وغفلةٌ عن حقائق التاريخ الإنساني، وتداولِ الأيام بين الناس.

---

(1) سورة البقرة: 155 ـ 157.

والمؤمن الحقيقيُّ: هو الذي يحسن الظنّ بالله ولا يفارقه الأملُ برحمتِه وفرجِه ولا تفارقه الثقةُ بنصره وتأييده لأنه يعلم أن اللّهَ رحيمٌ كريمٌ يكشف السوءَ ويجيب المضطرَّ إذا دعاه، ولأنه يعلم أن اليسرَ مع العسر، وأن النصرَ مع الصبر، وأن الفرجَ مع الكرب، وأن الأيامَ دُوَلٌ، وأن الخيرَ يكمن في جوف ما نظنه شرًّا.

إن المؤمن إذا حارب كان آملاً في النصر لأن الله يقول:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[1].

وإذا مرض لم ييأس من الشفاء حتى لو عجز الطبُّ عن ذلك لأن الله هو الشافي، ولأنه على كلِّ شيء قدير، ولأنه القائل على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[2].

وإذا افتقر لم ييأس من الغنى والكفاية لأن الله هو الرزّاق ذو القوة المتين، ولأن الله يملك خزائن السماوات والأرض ولأن الله يقول:

﴿. . . إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

وإذا أذنب لم ييأس من المغفرة مهما بلغت ذنوبُه لأن عفوَ الله أعظم، وكرمَهُ أكبر، وحلمَه أوسع، ولأنه القائل:

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4].

وإذا تعرَّض لمحنة أو فتنة لم ييأس من الخلاص والنجاة لأن الله يقول:

---

(1) سورة الصافات: 171 ـ 173.

(2) سورة الشعراء: 80.

(3) سورة النور: 32.

(4) سورة الزمر: 53.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وإذا أخفق في امتحان أو مسعى لم ييأس من النجاح لأن الله يقول:

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[2].

وإذا رأى أهلَ الباطل يسيطرون ويستبدون، ويعتدون ويظلمون لم ييأس من انتصار الحق مهما كانت قوةُ الباطل ومهما طال عمرُه وتباطأ أجلُه لأن الله يقول:

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ * مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[3].

إن المؤمن الحقيقيّ لا يقنط ويكفر عند المصيبة، ولا يفرح ويتكبر ويتغطرس عند النعمة، بل و الصابرُ عند الضراء، الشاكرُ عند السراء، المواظبُ على الطاعة والعمل الصالح في الشدة والرخاء.

ولقد ذم القرآنُ أولئك الذين يقنطون عند الضراء، وينسون اللّهَ عند السرّاء، وامتدح الصابرين في الشدة، الشاكرين للنعمة، ووعدهم بالمغفرة والأجر الكبير:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[4].

---

(1) سورة يونس: 103.
(2) سورة الشرح: 5 ـ 6.
(3) سورة آل عمران: 196 ـ 197.
(4) سورة هود: 9 ـ 11.

وبيّن القرآن أن الكفر هو الذي يقود إلى الجزع عند المصائب، واليأس من الفرج، والاستسلام أمام المحن، حيث ينعدم الإيمانُ بالله الدافعُ إلى الأمل والاعتقاد باليوم الآخر، الدافعُ إلى الصبر:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

إخوة الإسلام:

إن أنبياء الله ما فازوا وما أفلحوا إلا بالأمل الذي كان يعمر صدورهم، والثقة برحمة الله التي كانت تملأ قلوبهم، والصبر الذي واكب دعوتهم، وزين أخلاقهم.

هذا يعقوب عليه السلام فقد ولده يوسف عليه السلام وغاب عنه سنواتٍ طويلةً ثم فقد ولده الآخر لكنه لم ييأس من لقائهما بل قال:

﴿... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[2].

ودعا بقية أبنائه للبحث عن أخويهم مدفوعاً بالأمل في فرج الله، والثقة في رحمة الله:

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[3] وبفضل الله ثم الأمل والصبر التقى الوالد بولده يوسف عليه السلام بعد السنين الطوال وبعد أن أصبح ولده أمينَ خزائن مصر والمتصرف في أقواتها وخيراتها.

---

(1) سورة العنكبوت: 23.

(2) سورة يوسف: 83.

(3) سورة يوسف: 87.

وهذا زكريا عليه السلام كانت امرأته عاقراً وبلغ من الكبر عتيًّا، وعاش محروماً من نعمة الولد لكنه لم يفقد الأمل برغم كلِّ ذلك من رحمة الله تبارك وتعالى، ورفع يديه إلى السماء يناجي العليّ القدير الذي يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور:

﴿...رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[1].

وبفضل الله ثم الأمل جاءه الجواب من السماء:

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[2].

وهذا موسى عليه السلام حينما خرج بقومه من مصر ليخلصهم من الظلم والاضطهاد وتبعه فرعون وجنوده، ظن أتباع موسى أنهم هالكون لا محالة، والعدوُّ وراءهم، والبحر أمامهم وقالوا: ﴿... إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ لكن موسى الذي كان مع الله والذي امتلأ قلبه بالأمل والثقة في الله لم يجزع ولم يستسلم بل قال:

﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ فماذا كانت النتيجة ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝

(1) سورة مريم: 4 ـ 6.

(2) سورة مريم: 7.

وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ * فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

وهذا أيوب عليه السلام يقع في مرض عضال يلازمه السنين الطوال ويصرف عنه الأهل والولدَ والقريبَ والبعيدَ لكنه لا ييأس من الشفاء بل ينادي الشافي الرحيم:

﴿. . .أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[2] فماذا كانت النتيجة؟:

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[3].

وهذا يونس عليه السلام يبتلعه الحوت فلا ييأس من النجاة فينادي في الظلمات:

﴿. . .أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]
فماذا كانت النتيجة؟:

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

فاقتدوا ـ إخوة الإسلام ـ بأنبياء الله، وتزودوا بالأمل والتفاؤل، وتسلحوا بالثقة برحمة الله، وبفرج الله:

---

(1) سورة الشعراء: 62 ـ 68.
(2) سورة الأنبياء: 83.
(3) سورة الأنبياء: 84.
(4) سورة الأنبياء: 87.
(5) سورة الأنبياء: 88.

﴿. . . وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[1].

إخوةَ الإيمان:

إن الرسالات والدعوات وقضايا الشعوب لا تنتصر إلا بالأمل والصبر والمثابرة. هذا رسول الله ﷺ قضى ثلاثة عشر عاماً في مكةَ يدعو إلى التوحيد والعدل والحرية والمساواة وقوبل بالتكذيب والإعراض، والاستهزاء والاضطهاد، لكنه لم ييأس، ولم يستسلم، ولم يتراجع، بل كان يقول: «**أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً**».

وهؤلاء أصحابُه رضوان الله عنهم قوبلوا بالاضطهاد والتعذيب والسجن والمطاردة حتى جاء أحدهم: «خباب بن الأرت» يقول لرسول الله ﷺ: «ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟» فبيَّن له رسول الله ﷺ أن طريق الدعوات شاقة طويلة ولا سبيل إلى الخلاص إلا بالصبر والأمل وقال: «**إن الرجل قبلكم كان يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظم من لحم وعصب وينشر بالمنشار فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه والذي نفسي بيده لَيُظْهِرَنَّ اللّهُ هذا الأمرَ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللّهَ والذئبَ على غنمه ولكنكم تستعجلون**».

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[2].

---

(1) سورة الطلاق: 2 ـ 3.

(2) سورة البقرة: 214.

فماذا حدث إخوة الإسلام؟:

لقد انتصر رسول الله ﷺ وحرر مكةَ من الشرك، وأصبح أعداءُ الأمس أصدقاءَ اليوم، أصبح أعداءُ الإسلام جنودَه كما تنبأ القرآن من قبلُ وهو يزرع الأملَ في النفوس:

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

من كان يصدق أن يعود الطريدُ الذي كان يتخفَّى في الكهوف ليفتح مكةَ ويحطمَ الأصنام؟!.

من كان يتوقع أن يعودَ بلالٌ الذي كان يعذَّب فوق بطحاء مكة ليؤذِّنَ من فوق ظهر الكعبة؟.

من كان يتوقع أن يصبح خالدُ بنُ الوليد سيفَ الله المسلول؟! ومن كان يتوقع أن يغنَمَ المسلمون تاجَ كسرى وسواريه، وأن يهزم المسلمون أعظمَ امبراطوريتين في ذلك الحين فارس والروم؟!.

واليوم نحن نخوض معركةً ضاريةً مع أعداء الإسلام والصّهيونية، للحفاظ على وجودنا وهويتنا الإسلامية، واسترداد حقنا المغتصب، ما أحوجنا إلى شعاع الأمل الذي يبدِّد ظلماتِ اليأس والاستسلام، وينير لنا طريقَ العزةِ والكرامة.

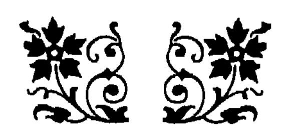
وإذا كنا فشلنا في الماضي في بعض المعارك فليس معنى ذلك أن العدو على حق وأننا على باطل، بل إن ذلك يعني أن هناك خللاً في علاقتنا بخالقنا وخللاً في علاقتنا مع مجتمعاتنا والمطلوب هو التصالح مع الله، ووضع تعاليم الدين موضعَ التطبيق، والتصالح مع إخواننا المؤمنين وتحقيق وحدة الصف، والثبات على المبدأ، والتمسك بالحق برغم كلِّ

---

(1) سورة الممتحنة: 7.

الإحباطات والتسلح بالثقة والأمل برغم كلّ العثرات حتى نكون من الربيين الذين قال فيهم رب العزة جل وعلا:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۞ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۞ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].



(1) سورة آل عمران: 146 ـ 148.

﴿... إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ...﴾

الحمد لله الذي جعل لكل شيء سبباً، ووعد بالنصر عباده الذين يدعونه رغباً ورهباً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. أمر بالكفاح والجهاد، وإعداد الرجال والعتاد، والثبات في مواطن القتال والجلاد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قائد المجاهدين الصابرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى من سار على نهجه إلى يوم الدين.

أيها المسلمون:

يتساءل كثير من الناس: لماذا لا ينتصر المسلمون اليوم وأعدادهم غفيرة، وعدتهم كثيرة، وأموالهم وفيرة؟

ولماذا يسود الأشرار والطغاة ويذل الأخيار والتقاة؟.

ولماذا لا تتدخل السماء حتى تضع حدًّا للفساد والظلم في الأرض؟.

وينسى هؤلاء أن الله عزّ وجلّ جعل في الأرض سنناً، وجعل للنصر أسباباً وشروطاً. وما استطاع أعداء الإسلام هزيمة المسلمين إلا بعد أن أعدوا للنصر عُدَّته، وهيؤوا أسبابه، وسلكوا طريقه. وما فشل المسلمون إلا لأنهم تخلفوا عن تهيئة أسباب النصر وعوامل الظفر.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ

عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وينسى هؤلاء المتسائلون أيضاً أن الله عزّ وجلّ قادر على تدمير الأشرار المفسدين، ونصر الأخيار الصالحين، ولكن إرادة الله شاءت أن يتصارع الحق والباطل، ويبتليَ الأخيارَ بالأشرار، ليميز الخبيثَ من الطيب، والصادقَ من الكاذب، والمؤمنَ من المنافق، وصاحبَ المبدإ من صاحب المصلحة، وطلابَ الآخرة من طلاب الدنيا.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾[3].

﴿. . . وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ . . .﴾[4].

أيها المؤمنون:

إن النصر لا يتحقق بالأماني والأحلام، ولا بالتغني بالأمجاد والبطولات، وإنما يتحقق بالإخلاص والكفاح والصبر والثبات، والدماء والتضحيات.

واعلموا ـ عباد الله»أن أول شروط النصر وأسباب الظفر إنما هو طاعة الله تبارك وتعالى والالتزام بأمره والانتهاء عن نهيه. فالحق جل وعلا يقول:

---

(1) سورة آل عمران: 137 ـ 138.

(2) سورة آل عمران: 140 ـ 141.

(3) سورة محمد: 31.

(4) سورة محمد: 4.

﴿... وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

من هم الذين ينصرون الله ومن الذين يستحقون نصر الله؟

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[2].

ولقد وعد الله جل وعلا عباده المؤمنين المخلصين الموحِّدين بالنصر والأمن والتمكين في الأرض والله يخلف الميعاد:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ...﴾[3].

إخوة الإسلام:

إن الإعداد الماديّ والمعنويّ لا بد منه للفوز والظفر، فالحق لا بد من أن يتسلح ليقاوم الباطل، وفي علم اليوم لا يسود إلا الأقوياء، ولأمرٍ ما ذكر الله الحديد بعد الكتاب والقسط:

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾[4].

---

(1) سورة الحج: 40.
(2) سورة الحج: 41.
(3) سورة النور: 55.
(4) سورة الحديد: 25.

فالقسط لا يقوم إلا بالكتاب والحديد، بالحق والقوة.

ولذلك أمر الله جل وعلا بإعداد كلِّ القوى وحشد كلِّ الإمكانات لانتزاع النصر والظفر بالفوز:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

وإلى جانب إعداد الجيوش يتوجب إعداد النفوس وتسليحها بالإيمان، وتربيتها على حب الله، وطلب الشهادة في سبيل الله وإيثار الآخرة على الدنيا، والشوق إلى جنات النعيم، حتى تسترخص كلَّ غال ونفيس في سبيل مرضاة الله، وتضحي بكل ما تملك في سبيل إعلاء كلمة الله.

إن الإعداد المعنويَّ له دور حاسم في تحقيق النصر، وما هُزمنا مع الصهاينة إلا لأننا دخلنا المعركة بلا عقيدة وبلا إيمان وبلا ثقة بالله.

فما نفع البنادق في أيدي الجبناء؟! وما تجدي الصواريخ في أيدي المهزومين داخليًا؟! وما تفعل الدبابات في أيدي طلاب الدنيا؟!

وما تنفع الخيلُ الكرامُ ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرامِ كرامُ

إن المسلمين الأوائل ما انتصروا بالكثرة ولا فتحوا الدنيا بالعُدَّة، وإنما بالعقيدة الصلبة، والإيمان الراسخ، والثقة المطلقة بالله. والسلاحُ الذي حقق النصر للمسلمين بالأمس قادرٌ على تحقيقه اليوم. ولقد رأى العالَمُ بأسره كيف استطاع رجال المقاومة اللبنانية والفلسطينية طرد القوى الصليبية والصِّهيونية من لبنان حينما تسلحوا بسلاح العقيدة وباعوا أنفسهم لله طمعاً في جنات تجري من تحتها الأنهار.

---

(1) سورة الأنفال: 60.

﴿. . . وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[1].

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ. . .﴾[2].

إن الإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي جعل المسلم يحب الموت كما يحب الأعداءُ الحياةَ، ويصرخ حينما يطعن: فزتُ وربِّ الكعبة.

وهو الذي جعل خبيبَ بنَ عديٍّ ينشد حينما أُخِذَ ليُصْلَبَ ويقتل:

ولستُ أبالي حين أُقتَلُ مُسلماً ... على أيِّ جنبٍ كان في الله مصرعِي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإن يشأْ ... يبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

إخوة الإيمان:

ولا بد لتحقيق النصر من الصبر على الشدائد وعلى المكاره وعلى الحصار:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]. يقول الرسول الله ﷺ: **«احفظ الله تجده أمامك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»**.

وللظفر بالنصر لا بد من الثبات في ميدان المعركة في مواجهة الأعداء، فالله عزّ وجلّ حرّم التولّي يوم الزحف، وهدّد الجبناءَ المهزومين بأبشع العذاب:

---

(1) سورة محمد: 4 ـ 6.
(2) سورة النساء: 104.
(3) سورة آل عمران: 200.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

عباد الله:

إذا أردنا أن ننعم بالنصر، ونستعيد عزتنا وأمجادنا، فلا بد من أن نوحِّد صفوفنا، ونجمع كلمتنا، ونؤلف قلوبنا، ونصلح ذات بيننا. فالفُرْقَةُ ضَعْفٌ وهزيمةٌ، والوحدة قوةٌ وانتصار.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ . . .﴾[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[4].

إخوة العقيدة:

إذا أردنا أن ننتزع النصر فلا بد من أن نقاتل في سبيل الله.. في سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل.. في سبيل العدل والحرية والمساواة.. في سبيل المستضعفين والمضطهدين والمحرومين.. في سبيل استعادة الحق المهدور والوطن المسلوب. وبقدر إيمان المرء بعدالة القضية التي يقاتل من أجلها يكون إقدامه وتضحياته.

(1) سورة الأنفال: 15 ـ 16.
(2) سورة الأنفال: 46.
(3) سورة آل عمران: 103.
(4) سورة الصف: 4.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1].

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[2].

وما أروع الكلمة التي قالها ربعيُ بنُ عامر لرستم قائد الفرس في معركة القادسية حينما سأله عن سبب خروج المسلمين من جزيرة العرب: ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جَوْرِ الأديان إلى عدل الإسلام.

أحباب الله:

كيف نرجو نصر الله ونحن نبارز الله بالمعاصي؟ كيف نرجو نصر الله وقد عدنا يضرب بعضنا أعناق بعض؟

كيف نرجو نصر الله وبعضنا يوالي أعداء الله ويحارب أولياء الله؟ وبعضنا رحماء على الكفار أشداء بينهم؟

كيف نرجو نصرَ الله ونحن نقتل الحرية ونغتال العدالة؟.

كيف نرجو نصرَ الله ونحن نعتمد في مأكلنا وملبسنا وحياتنا على أعداء الإسلام؟.

كيف نرجو نصرَ الله وقلوبنا أعماها حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت؟

كيف نرجو نصرَ الله وقلوبنا شتَّى، وأمتنا دويلات وممالك، كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون؟

(1) سورة النساء: 76.

(2) سورة النساء: 75.

إخوة الإسلام:

لن نذوق طعم النصر إلا إذا عدنا لله، واعتصمنا بحبل الله جميعاً، وبعنا أنفسنا لله، وصدقنا ما عاهدنا الله عليه، ووجهنا كل البنادق نحو العدو، وبنينا حياتنا على نهج القرآن الكريم، وعلى سنة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

﴿. . . إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].



(1) سورة محمد: 7.

﴿.. بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

الحمد لله الذي اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الشهداء أحياءً عند ربهم يرزقون.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين وقائد المجاهدين. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى من سار على درب التضحية والفداء إلى يوم الدين.

أيها المسلمون: يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] هذه الآية الكريمة كثيراً ما يساء فهمها، ويُسْتَشْهَدُ بها في غير موضعها. فكلما قام فدائي بطل بمهاجة الصهاينة وقتل جنودهم الذين ارتكبوا أبشع أنواع الجرائم في حق العرب المسلمين، ثم استشهد مضحياً بروحه ودمه في سبيل إعلاء كلمة الله، صاح بعض الناس في محاولة لتبرير تقصيرهم: ﴿... وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ..﴾ وكلما قام مسلم شجاع بقيادة سيارة مليئة بالمتفجرات، وقتل المئات من جنود الاحتلال والاستكبار، بائعاً نفسه لله في سبيل تحرير المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، صاح بعض الناس في محاولة لتغطية جبنهم وقعودهم عن الجهاد: ﴿... وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ...﴾.

---

(1) سورة البقرة: 195.

وكلما قامت امرأة مسلمة فدائية، تعيد أمجاد خولة ونسيبة وأم سليم والخنساء، تقتل جنود الأعداء، وتدمر معسكراتهم، مضحيةً بدمها في سبيل إرضاء الله، ومن أجل إرهاب الأعداء، وزرع الأمل في قلوب المسلمين، صاح بعض الناس في محاولة لستر خجلهم وشعورهم بالإثم والعار: ﴿... وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ...﴾.

ترى ما مفهوم هذه الآية؟ وهل تعني ما يعنيه الناس حينما يعترضون بها على الأعمال البطولية الفدائية التي تتوَّج بشرف الاستشهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته.

تعالوا نسأل أبا أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ: تروي كتب التاريخ أنه حينما حاصر المسلمون القسطنطينية خرج في وجه المسلمين صف عظيم من الروم فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس إنكم تتأوَّلون هذه الآية على هذا التأويل، وإنما زلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار، إنا لما أعز الله دينه وكثَّر ناصريه، قال بعضنا لبعض: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله أعزَّ الإسلام، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله في كتابه يرد علينا ما هممنا به: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ..﴾ فكانت التهلكة الإقامة في الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو. فما زال أبو أيوب غازياً في سبيل الله حتى قبضه الله ودفن بالقسطنطينية.

فمعنى الآية إذاً: إنكم إذا تركتم الإنفاق في سبيل الله والجهاد في سبيل الحق فإنكم تلقون بأيديكم إلى التهلكة، إلى الذل والهوان، إلى غضب الله وعذاب الجحيم:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: **«إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»**.

أيها المؤمنون:

إن أولئك الفدائيين الأبطال الذين يهاجمون الأعداء وهم يعلمون أنهم لاحقون بالرفيق الأعلى لا محالة لَيُمَثِّلُونَ غايةَ البطولة وغايةَ الفداء والتضحية لأنهم جادوا بالحياة أغلى ما يملك البشر ـ طواعية واختياراً ـ في سبيل إرضاء ربهم وتحرير أرضهم وتحقيق عزة أواطنهم. **«والجود بالنفس أقصى غاية الجود»**.

والذين يفجرون الألغام في أجسادهم من أجل قتل جنود العدو، ونسف آلياته ومعسكراته، أو من أجل فتح ثغرة في تحصيناته يعبر منها رفاق السلاح، ليسوا منتحرين وإنما هم شهداء عند ربهم يرزقون.

فالانتحار جبن وخوف وهروب من مواجهة المحن والشدائد، والاستشهاد بطولة وشجاعة وإقدام وتضحية.

والانتحار يأس وقنوط من رحمة الله، والاستشهاد طمع في مغفرة الله، وأمل في رحمته ورضوانه، وأمل في نعيمه وجنته، وأمل في مستقبل أفضل للأمة الإسلامية.

والانتحار إعدام للحياة، وعدوان على النفس، وتعدٍّ على حق الله الذي يحيي ويميت والاستشهاد طلبٌ للحياة الحقيقية والفوز العظيم.

والانتحار جريمة تؤدّي إلى جهنم وبئس المصير: يقول الرسول الله ﷺ: **«من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردّى**

(1) سورة التوبة: 38 ـ 39.

فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسّى سمًّا فقتل نفسه فسُمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً».

أما الشهادة فهي فضيلة وشرف يقود إلى النعيم المقيم:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

والانتحار خواء روحي، وفقدان للهدف، وشعور بعبثية الحياة.

أما الشهادة فهي إيمانٌ عميقٌ صادقٌ بالله والخلود تضحيةٌ بالروح في سبيل غاية مثالية. إن هؤلاء الفدائيين الشهداء يمثلون النخبة المحظوظة التي تسامت فوق شهوات الأرض، وتعالت على متع الدنيا، واستشرفت صحبة الأنبياء والمرسلين في جنات النعيم التي أعدَّ الله فيها لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر:

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2].

والذين يتوقون إلى هذه المكانة السامية ما عليهم إلا أن يسلكوا نفس السبيل، سبيل الفداء والشهادة:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

---

(1) سورة آل عمران: 169.

(2) سورة آل عمران: 157.

(3) سورة التوبة: 111.

إخوة الإيمان:

إن الله عزّ وجلّ قد شرع الجهاد، وحضّ عليه في كثير من الآيات، وأعظم للمجاهدين الأجر والمثوبة. ولا سبيل إلى العزة والكرامة والشرف والرفعة والمغفرة والرحمة إلا بالجهاد:

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

فالجهاد هو التجارة الرابحة والفوز العظيم والفتح والنصر المبين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

ومهما اجتهد القاعد في العبادة فلا يمكن أن يبلغ أجر المجاهد: **«قيل: يا رسولَ الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه. ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد».**

وأولئك الشهداء الذين يقضون في ميادين القتال ينتظرهم نعيم دائم لا يتخيله أحد وهم أحياء وليسوا أمواتاً:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[3].

---

(1) سورة التوبة: 41.

(2) سورة الصف: 10 ـ 13.

(3) سورة البقرة: 154.

إن سعة النعيم الذي أُعِدَّ للشهيد تجعله يتمنّى أن يعود إلى الدنيا ويقتل عشر مرات في سبيل الله. يقول نبينا محمد ﷺ: **«يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك في الجنة؟ فيقول: أي رب خير منزل، فيقول: سل وتمنَّه. فيقول: وما أسألك وأتمنى؟ أسألك أن تردَّني إلى الدنيا فأُقتل في سبيلك عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة»**.

أما أولئك الذين يجرحون في المعارك فثوابهم عند الله عظيم وفضلهم كبير، وهذه الجراح أوسمة عز وشرف يحملونها يوم القيامة شهادةَ تضحيةٍ وفداء، ودليلَ شجاعةٍ وبطولة: يقول المصطفى ﷺ: **«تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي، وتصديق برسلي، فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة. والذي نفس محمد بيده ما كَلْمٌ يُكْلَمُ في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِم. لونُه لونُ دم، وريحُه ريحُ مسك. والذي نفس محمد بيده لولا أن أشقَّ على المسلمين ما قعدتُ خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً. والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزوَ في سبيل الله فأُقْتَلَ، ثم أغزوَ فأقتل، ثم أغزوَ فأقتل»**.

ومن أجل نعيم الآخرة ورضوان الله ورفع راية الحق ورفع الظلم عن المستضعفين والمضطهدين كان الصحابة يتسابقون إلى الموت وإلى الظفر بشرف الشهادة ويدعون الله بإلحاح وإخلاص أن يرزقهم بنعمة الشهادة:

جاء خيثمة أحد الصحابة إلى رسول الله ﷺ وكان ابنه قد استشهد يوم بدر وقال: لقد أخطأتني وقعة بدر وكنت والله عليها حريصاً حتى ساهمتُ ابني في الخروج فرج سهمه، فرزق الشهادة، وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها ويقول: اَلْحَقْ بنا ترافقنا في الجنة فقد وجدتُ ما وعدني ربّي حقًّا، وقد والله يا رسول الله أصبحتُ مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة، ولقد كبرتْ سنّي ورقَّ عظمي وأحببتُ لقاء ربّي فادع الله يا رسول الله أن يرزقَني الشهادة ومرافقةَ سعدٍ في الجنة فدعا له رسول الله ﷺ بذلك فقتل بأحد شهيداً.

وهذا عبد الله بن جحش يرفع يديه إلى السماء قُبَيْلَ أُحُدٍ، ويدعو بحرارة وصدق: اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدوَّ غداً فيقتلوني، ثم يبقروا بطني، ويجدعوا أنفي وأذني، ثم تسألني: فيم ذلك؟ فأقول في سبيلك.

وبعد أن دارت الدائرة على المسلمين في أُحُدٍ مرَّ أنس بن النضر بنفر من المسلمين قاعدين فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتِلَ رسولُ الله.

قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه. ثم استقبل المشركين وقال لسعد بن معاذ: يا سعد واها لريح الجنة إني أجدها من دون أُحُد فقاتل حتى قُتِلَ ووُجِدَ به بضعٌ وسبعون ضربة ولم تعرفه أختُه إلا ببنانه.

إخوة الإسلام:

إننا نواجه اليوم عدوًّا باغياً توسعيًّا، احتل أرضنا، وطرد شعبنا، وانتهك حرمات مقدساتنا. وهو في كل يوم يتوسع على حساب حقوقنا، ويهدد ما بقي من بلادنا. وليس أمامنا سبيل للخلاص، واستعادة الحقوق، واستعادة الكرامة والشرف، واستعادة المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى خاتم الأنبياء والمرسلين، إلا بالجهاد والكفاح. والقرآن يعلمنا أن نخشى الله وحده ولا نخشى الأعداء المجرمين:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

صحيح أن الأعداء أقوياء ولكن الله أقوى، والحق أقوى، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، والحق منتصر مهما طال الزمان ومهما اشتد الطغيان:

---

(1) سورة آل عمران: 175.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[1].

صحيح أن أولئك الفدائيين الذين باعوا أنفسهم لله قلة، والأعداء كثرة، ولكن:

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2].

صحيح أن أولئك الفدائيين الأبطال ربما لا يحققون نصراً حاسماً سريعاً ولكن حسبهم أنهم يقومون بواجبهم تجاه أوطانهم، ويعذرون إلى ربهم، ويبثون الرعب في قلوب الأعداء ويزعزعون شعورهم بالأمن والاستقرار، ويجعلون حياتهم جحيماً لا يطاق، ويحيون الأمل في نفوس هذه الأمة، ويذكّرون العالم بقضية الشعب الفلسطيني المشرّد، ويكسبون تأييد الشعوب المحبة للعدالة والسلام، يوقظون الغيرة والحمية والشهامة في نفوس المسلمين الذين طال سباتهم، ونسوا واجباتهم ومسؤولياتهم.

إن طريق التحرير شاق وطويل ولا بد من أن يستشهد على الطريق آلاف الأبطال ولا بد من أن يُعَبَّدَ الطريق بالدماء، ولا بدّ من أن تُعَبَّدَ الطريق بالآلام والعرق والدموع.

فإلى الجهاد، إلى الجهاد، وإلى الاستشهاد، إلى الاستشهاد، إلى العزة والكرامة إلى المغفرة والجنة:

﴿...فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

(1) سورة الأنبياء: 18.

(2) سورة البقرة: 249.

ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ * لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ * مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾[1].



(1) سورة آل عمران: 195 ـ 197.

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ . .﴾

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بالصبر والثبات، ونهى عن الهوان والاستكانة للطغاة، ووعد بالنصر عباده المجاهدين، وهدّد بالعذاب المستسلمين القاعدين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صبر على الشدة، وثبت عند المحنة. واستمسك بالحق لم يثنه عنه الترهيب، أو المساومة أو الترغيب.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى أتباعه الثابتين على العقيدة والمبدإ إلى يوم الدين.

إخوة الإيمان:

إن الإسلام ثورة على الباطل، ثورة على الظلم والطاغوت، ثورة على الشر والمنكر، ثورة على الاستعمار والاحتلال، ثورة على الاستغلال والاستعباد. وأتباع الإسلام المعتصمون بحبل الله، المتمسكون بتعاليم الدين والثابتون على الحق والمبدإ لا بدّ من أن يتعرضوا للمحن والشدائد، لأنهم يدعون إلى الحق فيقاومهم أنصار الباطل، ويدعون إلى الله فيحاربهم دعاة الطاغوت، ويهدون إلى الخير فيعاديهم أنصار الشر، ويأمرون بالمعروف فيخاصمهم أهل المنكر، وينادون بالحرية فيجابههم المحتلون والمستعمرون، ويطالبون بالعدل والمساواة والشورى فيحاربهم الطغاة والمستبدون. وبذلك يعيشون سلسلة من المحن والشدائد والكروب.

هكذا قضت سنة الله أن يكون الحق في صراع أبديٍّ مع الباطل:

﴿. . . كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ. . .﴾[1].

والصراع بين الخير والشر، والحقّ والباطل، قائم منذ الخليقة الأولى، وسوف يستمر إلى يوم يبعثون، ولكن الحقيقة التي لا ريب فيها أن الحق هو المنتصر في نهاية المطاف مهما طال الزمان ومهما اشتدت شوكة الباطل:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[2].

ولكن لماذا هذه المحن؟ وما الغاية من تلك الشدائد؟.

وهل يريد الله أن يعذب العباد؟.

معاذ الله ـ إخوة الإسلام»كيف يكون ذلك والله عز وجلّ يقول:

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[3] . ويقول: ﴿. . . يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ. . .﴾[4] ويقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ. . .﴾[5].

إن المحن والشدائد تصنع الرجال، وتقوّي العزائم، وتكسب الإنسان قوة ومناعة، وتمنحه ثقة وخبرة، وتكون له عظةً وعبرة.

والمحن والشدائد اختبار للإيمان، وامتحان للإخلاص، وغربلة

(1) سورة الرعد: 17.
(2) سورة الصافات: 171 ـ 173.
(3) سورة غافر: 31.
(4) سورة البقرة: 185.
(5) سورة النساء: 28.

للصف، وتمييز للناس، بها يُعرَف المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، والخبيث من الطيب، وصاحب المبدإ من صاحب المصلحة، وطلاب الدنيا من طلاب الآخر:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾(1).

والمحن والشدائد فرصة للجهاد والكفاح، فرصة للصبر والثبات، فرصة لتكفير السيئات وزيادة الحسنات، فرصة لنيل رضوان الله والفوز بجنات النعيم:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ * فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(2).

أيها المسلمون

لقد تعرض معسكر الإيمان وما يزال للمحن والنائبات منذ خلق الله آدم وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾(3).

ولكن المؤمنين الحقيقيين كانوا دائماً يصمدون في وجه المحن، ويثبتون في مواجهة الشدائد ويصبرون على الأذى والكروب، ويثبتون على العقيدة والمبدإ مهما كانت ضراوة الباطل، ومهما كانت قوة التحديات وضخامة التضحيات:

هذا إبراهيم عليه السلام يواجه وحده أباً وثنيًا متعصباً ومجتمعاً وثنيًا

(1) سورة العنكبوت: 2 ـ 3.

(2) سورة آل عمران: 146 ـ 148.

(3) سورة الفتح: 23.

منحرفاً مشركاً، ولكنه يرفض مجاراة التيار والانسياق مع الرأي العام، والتسليم بالأمر الواقع، ويصمم على مقاومة الوثنية والتصدي له بمفرده، ويعلن على الملإ إيمانه بالله الواحد وكفره بالأوثان والطواغيت:

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(1)

وحينما أضرم الكفار النار لإلقائه فيها لم تخفه ألسِنَةُ اللهب، ولم ينحن للباطل، ولم يتراجع عن مبدئه، ولم يتخلَّ عن عقيدته. فماذا كانت عاقبة الثبات:

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾(2).

وهذا موسى عليه السلام يدعو فرعون إلى الإيمان والتوحيد ويطالبه بتحرير بني إسرائيل من الأسر والاضطهاد والسخرة غير عابىء ببطش فرعون ولا هيَّاب من سحرته وزبانيته، ويقود بني إسرائيل لتخليصهم من الظلم، وحينما تبعهم فرعون وجنوده بكثرته وسلاحهم وعُدَّتهم لم يستسلم موسى، ولم يتراجع، ولم يخش الجيوش والجنود، بل سلَّم أمره لله وتوكل على الله، فماذا كانت نتيجة الصمود؟:

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾(3).

(1) سورة الشعراء: 75 ـ 77.
(2) سورة الأنبياء: 69 ـ 71.
(3) سورة الشعراء: 61 ـ 66.

وهذا محمد ﷺ يواجه مشركي قريش ويدعوهم إلى التوحيد فيقابلونه بالتكذيب والاستهزاء والاضطهاد والحصار فلا يتبدَّل ولا يتغيَّر، ولا يستسلم ولا يستكين، ثم يلجؤون إلى سلاح الترغيب، ويغرونه بالمال والسلطان والنساء، فلا يضعف ولا يلين، ولا يهادن ولا يساوم، بل يقول متمرداً على الترهيب، ومتعالياً على الترغيب: **«والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه»**.

هذا رسول الله ﷺ يخسر معركة أُحد فلا ييأس، ولا يجزع، ولا يستسلم، ولا يركع، بل سرعان ما يجمع الصفوف وينطلق مع أصحابه لمواجهة قريش برغم الآلام، وبرغم الجراح، وبرغم الهزيمة، لأنه كان يعلم أن خسارة معركة لا تعني خسارة الحرب، وأن هزيمة اليوم درس لنصر الغد، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

وأقام رسول الله وأصحابه ثلاثة أيام في حمراء الأسد يترصَّدون قريشاً، لم يخفهم تهديد، ولم يفزعهم وعيد.

اسمعوا معي كيف يشيد القرآن بصمود الصحابة وثباتهم، وصبرهم وتضحياتهم، وانظروا عاقبة الثبات والالتزام، وصلابة العقيدة والإيمان:

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ * ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

---

(1) سورة آل عمران: 172 ـ 175.

نعم - إخوة الإسلام - إنه الشيطان الذي يضخم شأن أوليائه من المستبدِّين والمحتلين والظالمين، ويوقع في القلوب أنهم يملكون النفع والضر، وأنهم ذوو حول وطول، وأن هزيمتهم مستحيلة حتى تنهار العزائم، وتنكسر القلوب، ويسيطر اليأس، وتخضع للأعداء الرقاب، وتفتح لهم البلاد والأبواب.

والمؤمنون الواعون اليقظون لا تنطلي عليهم حيل الشيطان، ولا يتبعون خطوات الشيطان، ولا يهابون أولياء الشيطان:

﴿. . . فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1].

أيها المسلمون:

ألم يحاصَرْ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه في الخندق؟ أما زاغ الأبصار وبلغت القلوب الحناجر؟ أما ٱبْتُلِيَ المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديداً؟ ألم يتخل عنهم المنافقون؟ ألم يتنكر لهم اليهود وينقضوا معهم العهد والميثاق؟ ألم تتكالب عليهم قوى الشرك في الجزيرة العربية؟ ولكن هل ركعوا؟ هل استسلموا؟ هل غيَّروا وبدَّلوا؟ هل ضعفوا أو استكانوا؟ معاذ الله، ما كان منهم إلا الثبات، ما كان منهم إلا الصمود والمرابطة، والصبر والمصابرة. فكيف كانت الخاتمة؟ اسمعوا معي قول الحق جلَّ وعلا:

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا * مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا * لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا * وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا *

---

(1) سورة النساء: 76.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾[1].

وحينما عرض رسول الله على أصحابه في أثناء حصار الخندق أن يصالح غطفان بإعطائهم ثلث ثمار المدينة، وما كان إلا مختبراً صلابتهم وعزيمتهم، أتذكرون ماذا قال له سعد بن معاذ معبراً عن موقف المؤمنين جميعاً: «**يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرًى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وأعزّنا بك وبه نعطيهم أموالنا والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم**».

أيها المؤمنون:

هذه هي مواقف الرسل، وهذه هي مواقف أتباع الرسل، هذه هي مواقف الحق، وهذه هي مواقف الإسلام، فأين نحن اليوم من الإسلام ومواقف الإسلام؟ يا للذل والعار، ويا للخيبة والخسار. إن «أصحاب القرار» الذين يملكون الصواريخ والدبابات والمدافع والطيارات وأحدث العتاد والملايين من الجنود، ويملكون النفط والثروات، يتوسلون إلى «إسرائيل» التي اغتصبت أرضنا، وشردت شعبنا، وقتلت رجالنا ونساءنا وأطفالنا، وما زالت تطاردنا في مهاجرنا ومنافينا، أن تتكرم علينا بالسلام، ويبتهلون لأمريكا وسادة أوروبا ليضغطوا على ربيبتهم حتى ترأف بحالنا وتتصدق علينا بالجلوس إلى جانبنا على مائدة المفاوضات، ويستعدُّ هؤلاء للتخلي عن أرض فلسطين وحقوق فلسطين كما يستعدون لتطبيع العلاقات مع العدو الصّهيوني وإنهاء حالة الحرب معه إلى الأبد.

ومع الأسف فإن هذا الموقف الذليل ليس موقف أصحاب القرار فحسب، بل يشاركهم في هذا العار والخسار بعض أصحاب القضية الذين

(1) سورة الأحزاب: 22 ـ 27.

خانوا الأمانة، وباعوا ضمائرهم ووطنيتهم للشيطان، وباعوا دماء الشهداء والأبرياء بأبخس الأثمان.

وبالإضافة إلى كلِّ هذا الذل والهوان، والعار والشنار، والخيانة والتفريط، يقوم نفر ممّن يُدْعوْنَ رجال الدين المحترفين الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً بمباركة الحلول السلمية، والمعاهدات الاستسلامية، والمؤتمرات الخيانية، ومهرها بختم الإسلام، والإسلام منها براء. والذي يعرف الإسلام، ويقرأ القرآن، يعلم أن معاهدات الاستسلام خروج على تعاليم الدين ومباديء القرآن. فهذه المعاهدات قائمة على الباطل والظلم، قائمة على الاعتراف بشرعية سلب معظم أرض فلسطين مقابل إعادة جزء صغير منها لأصحاب الأرض والحق. وهذا ظلم واضح، وغبن فاحش، والإسلام يرفض الظلم والجور، ويدعو إلى العدل والإنصاف:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ . . .﴾[1].

إن حالنا مع المؤتمران الدولية التي تعقد لحل القضية الفلسطينية كحال رجل اغتصبت دارَهُ لصٌّ ورفع أمرَه للقضاء، وبدل أن تحكم المحكمة بطرد اللص ومعاقبته وإعادة الدار لصاحبها فرضت على صاحب الدار أن يتخلّى عن معظمها للص ليعيد له غرفة واحدة فقط.

ومعاهدات الاستسلام تعارض القرآن لأن القرآن يأمر بمقاتلة المعتدين لا بمسالمتهم والخضوع لهم:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ . . .﴾[2] ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ . . .﴾[3]

---

(1) سورة النساء: 58.

(2) سورة البقرة: 190.

(3) سورة البقرة: 191.

والقرآن يمنح إذناً بالقتال وحمل السلاح لكلّ مضطهد ومظلوم ومطرود حتى يستردَّ حقه:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ...﴾[1].

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

والقرآن يحرم اللجوء إلى مسالمة الأعداء طالما أن المسلمين لم يحصلوا على حقوقهم:

﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[3].

والقرآن يحرم أية معاهدة تؤدّي إلى إضعاف المسلمين وزرع الفُرْقة والانفصال بينهم، أو تؤدّي إلى إتاحة الفرصة للعدو للاعتداء على فريق آخر من المسلمين:

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ...﴾[4] والقرآن يرفض أن يتخلّى المسلمون عن إخواهم المظلومين الواقعين تحت الاحتلال:

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ...﴾[5].

---

(1) سورة الحج: 39.
(2) سورة الشورى: 41 ـ 42.
(3) سورة محمد: 35.
(4) سورة الأنفال: 39.
(5) سورة الأنفال: 72.

والقرآن ينهى عن موالاة اليهود والثقة بهم والركون إليهم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[3].

ومعاهدات الاستسلام قائمة على يأسنا من النصر، وقنوطنا من رحمة الله، والقرآن ينهى عن اليأس والقنوط:

﴿...وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4].

ومعاهدات الاستسلام قبولٌ بالذل والمهانة، والإسلام يرفض الذل والمهانة:

﴿...وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

ومعاهدات الاستسلام تعارض سنّة رسول الله ﷺ.

فالرسول حارب اليهود الناقضين للعهود المتآمرين على الإسلام، وحينما نزل بنو قريظة الناكثون للعهد على حكم سعد بن معاذ وحَكَمَ أن

---

(1) سورة المائدة: 51.

(2) سورة البقرة: 100.

(3) سورة هود: 113.

(4) سورة يوسف: 82.

(5) سورة المنافقون: 8.

تُقْتَلَ مقاتلتُهم وتُقْسَمَ أموالُهم وتُسْبَى ذريتُهم قال له رسول الله ﷺ: **«لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات»**.

هذا هو حكم رسول الله، والذين يسالمون اليهود مخالفون لحكم رسول الله، وسنّة رسول الله، ومائلون إلى حكم الباطل والجاهلية.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[1].

وما كان أجدر بأصحاب الصولة والصولجان أن يكون موقفهم مع القضية ومع علماء السوء وتجار الدين كموقف صلاح الدين، وما أدراك ما موقف صلاح الدين! تحكي كتب التاريخ أنه بعد انتصار صلاح الدين في حطين جاء وفد من سكان بيت المقدس يعرض عليه السلم على أن تبقى القدس في أيدي الصليبيين فقال أحد أصحاب صلاح الدين:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[2].

فأجابه صلاح الدين: «صهٍ.. ابنُ أيوبَ أفقهُ منك». إنه يحفظ قوله تعالى:

﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ...﴾[3] ويحفظ قوله تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[4]. وانصرف عنه بوجهه وهو يردد قوله تعالى:

---

(1) سورة النساء: 115.
(2) سورة الأنفال: 61.
(3) سورة محمد: 35.
(4) سورة البقرة: 216.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1].

وطلب صلاح الدين من الوفد أن يسلّموا القدس مقابل الأمان لمن فيها. فقال الوفد لا نسلم المدينة التي صلب فيها المسيح من أجلنا. فقال صلاح الدين: **«إذاً أقسم أن أنالها بالسيف عنوة»**.

«وسار باتجاه القدس وقاتل الصليبيين حتى استسلموا وطلبوا الصلح والأمان فقال لهم: «لكم الأمان على أموالكم وأنفسكم تخرجون من أبواب المدينة تحت سيفي فقد أقسمت أن أفتح المدينة عنوة بالسيف».

إخوة الإسلام:

هذا هو موقف الحق، هذا هو موقف العدل، هذا هو موقف الإسلام وهذا هو طريق العزة والكرامة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ * تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ * يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ * وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

(1) سورة المائدة: 51 ـ 52.

(2) سورة الصف: 10 ـ 13.

﴿.. وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ..﴾

الحمد لله الذي شرع القتال لكلِّ مظلوم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وعد بنصر كلِّ مستضعف محروم. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جاهد لتحرير كلِّ مضطهد ومهضوم. اللهم صل وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

أيها المسلمون:

لقد أسهب القرآن الكريم في الحديث عن بني إسرائيل وصفاتهم الذميمة، وأخلاقهم الوضيعة، ونزعتهم العدوانية الشريرة، حتى تعرف الأمة الإسلامية حقيقتهم، وتتقيَ شرَّهم وعدوانهم، وتستعدَّ لمواجهتهم وردِّ كيدهم.

علمنا القرآن الكريم أن اليهود خصوم الحق، وأعداء الرسالات، وقتلة الأنبياء. أليسوا هم الذين سفكوا دم النبي يحيى عليه السلام؟

أليسوا هم الذين حاولوا صلب المسيح عليه السلام؟

أليسوا هم الذين حاولوا مراراً قتل نبيِّنا محمد ﷺ؟

أليس الله يقول في محكم التنزيل مخاطباً بني إسرائيل:

﴿... أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[1].

---

(1) سورة البقرة: 87.

علمنا القرآن أن اليهود قوم مجرمون، منحرفون، معتدون، ملعونون على لسان الأنبياء، مغضوب عليهم من السماء:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[1].

علمنا القرآن أن اليهود لا يرعَوْنَ عهداً، ولا يحفظون ميثاقاً، ولا يرقُبُونَ في مؤمن إلاً ولا ذمة، ولا تلامس قلوبَهم رقةٌ ولا رحمة:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ...﴾[2]

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3].

علمنا القرآن أن اليهود أشد الناس حقداً على المسلمين، وأكثر الناس كراهية للمؤمنين. وهذه العداوة ليست وليدة اليوم بل تعود إلى أول يوم جلجل فيه المصطفى ﷺ بـ: لا إله إلا الله. أليس الحق جلَّ وعلا يقول:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ...﴾[4].

وعلمنا القرآن أن اليهود يعتقدون أن الأغيار لا حرمة لهم وأن من حقِّ بني إسرائيل أن يفعلوا بهم ما يشاؤون:

﴿...ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ...﴾[5].

(1) سورة المائدة: 78 ـ 79.
(2) سورة المائدة: 13.
(3) سورة البقرة: 100.
(4) سورة المائدة: 82.
(5) سورة آل عمران: 75.

وحينما غفلت أمة الإسلام عن هذا التحذير، ونسيت أو تناست ذلك النذير، استطاع أعداء الله الصهاينة احتلال أرض فلسطين المقدسة وطردوا شعبها من أرض الآباء والأجداد ليعيش حياة التشرد والعذاب في شتَّى أصقاع العالم. برغم أن هذا الشعب هو نفسه الذي آواهم وحماهم من الفناء وعاملهم أكرم معاملة. ولم يكتف اليهود بهذا بل أخذوا يشنون العدوان تلو العدوان، ويقترفون الجريمة تلو الجريمة حتى احتلوا الضفة الغربية. وضموا القدس إلى كيانهم المصطنع، وجعلوها عاصمة لهم، وانتهكوا حرمة المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين.

وما يزال العدو الصّهيوني جاثماً على أرض فلسطين المقدسة. وما يزال الصهاينة يرفضون التزحزح عن أي شبر منها. وما يزالون يصرون على حرمان أصحاب الأرض اللاجئين من العودة إلى أرضهم وبيوتهم. وما يزالون يطاردون الفلسطينيين في المنافي ويقصفون مخيماتهم ويدمرون بيوتهم ويقتلون الأطفال والنساء والشيوخ. وما يزالون يُذيقون أهل فلسطين المرابطين الصامدين في الأرض المحتلة أبشع ألوان الظلم والتمييز العنصري والإذلال، وما يزالون يهدمون بيوتهم، ويصادرون أرضهم، ويحاربونهم في لقمة عيشهم، ويفرضون عليهم الضرائب الباهظة، ويوقعون عليهم العقوبات الجماعية ومنع التجول، ويطردونهم من أرض آبائهم وأجدادهم، ويشعرونهم أنهم أجانب غرباء غير مرغوب فيهم عليهم أن يهاجروا إلى البلاد العربية المجاورة ويندمجوا فيها وينسوا فلسطين إلى الأبد.

أيها المؤمنون:

أليس من حق هذا الشعب المظلوم أن يحمل السلاح ليستردَّ أرضَه ويستعيد عزتَّه وكرامتَه، ويتمتع بحق المواطنة والهوية كسائر خلق الله؟ أليس من حقِّ هذا الشعب المحروم أن يحمل السلاح دفاعاً عن مقدساته ومقدسات المسلمين في العالم؟ أليس من حقِّ هذا الشعب أن يشهر السلاح انتقاماً لدم الشهداء ولوضع حدٍّ للعدوان وانتهاك حقوق الإنسان؟.

وكيف لا يكون له الحق وقد أذن له سيد الكون ورب العالمين أن يقاتل لردِّ الظالمين المعتدين ودفع المحتلين الباغين:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾(1).

وما أُخرِجَ الفلسطينيون من ديارهم إلا لأنهم مسلمون يؤمنون بالله ربًّا وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيًا، وبالقرآن كتاباً ودستوراً. وأولئك الذين أُخرِجُوا من ديارهم وقاتلوا من أجل استرداد حقِّهم وقُتِلُوا في سبيل استرداد أرضهم وكرامتهم لهم فضل عظيم وأجر كبير ومغفرة واسعة وجنات تجري من تحتها الأنهار، وما عند الله خير للأبرار:

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾(2).

أيها الإخوة:

إن الفلسطينيين حينما يثورون ضد أعداء الله الصهاينة، وحينما يتظاهرون رفضاً للاحتلال، وحينما يقذفون المغضوب عليهم بالحجارة، وحينما يطعنون جلاديهم بالسكاكين، وحينما يعلنون الإضراب، وحينما يعلنون العصيان المدني، وحينما يقومون بالعمليات الفدائية البطولية ويزرعون الرعب في قلوب أبناء الحيات والأفاعي، حينما يقومون بذلك

(1) سورة الحج: 39 ـ 40.

(2) سورة آل عمران: 195.

فإنهم لا يمارسون حقَّهم فحسب بل يؤدون واجبهم أيضا، فمن واجب المسلمين أن يقاتلوا المعتدين الظالمين:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ...﴾[1] ومن واجب المسلمين أن يواجهوا عدوان الباطل بقوة الحق الرادعة:

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ...﴾[2] ومن واجب المسلمين طرد المحتلين المغتصبين وتحرير أرض الإسلام:

﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ...﴾[3] ومن واجب المسلمين أن يقاتلوا الظالمين حتى يتحرر الإنسان من الخوف، ومن الفتنة، ومن الإرهاب والقمع والاضطهاد:

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ...﴾[4].

أيها المسلمون:

إن الصّهيونية حركة عدوانية توسعية تستهدف بناء «إسرائيل الكبرى» التي تمتد من الفرات إلى النيل على أنقاض العالم العربي وتستهدف بناء حضارة عبرية على أنقاض الحضارة الإسلامية، وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى.

إن وجود «إسرائيل» يهدِّد الوجودَ العربيَّ والإسلاميَّ فلا سلام للعرب في ظل الوجود الصّهيوني، ولا أحد بمأمن من العدوان «الإسرائيلي» مهما كان بعيداً عن فلسطين. ألم يحتل اليهود الجولان ويضموها إلى دويلتهم؟

(1) سورة البقرة: 190.
(2) سورة البقرة: 194.
(3) سورة البقرة: 191.
(4) سورة البقرة: 193.

ألم يحتلوا سيناء ؟ ألم يحتلوا مناطق من جنوب لبنان؟ ألم يحتلوا بيروت؟ ألم يدمروا المفاعل الذري العراقي؟ ألم يقصفوا مقر منظمة التحرير في تونس؟ ألا تذكرون ما قاله بن جوريون حينما أعلن قيام دولة الباطل في 5 من شهر الماء «مايو» 1948 م: «ليست هذه نهاية كفاحنا بل إننا اليوم قد بدأنا، وعلينا أن نمضيَ حتى نحقق قيام الدولة التي كافحنا من أجلها من النيل إلى الفرات؟». ألا تذكرون ما قاله موشي ديان يوم دخل القدس في السادس من شهر الصيف «يونيو» عام 1967: لقد أصبح الطريق مفتوحاً إلى بابل والمدينة.

ولا عجب أن يمارس اليهود العدوان وكتابهم المقدس الذي كتبوه بأيديهم يأمرهم بإبادة الشعوب واحتلال أرضهم: «أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً (تبيدها) كما أمرك الرب إلهُكَ»، «كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيتُه من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات».

﴿... فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1].

إن اليهود حينما يحتلون الأراضي ويبيدون الشعوب لا يشعرون أنهم يرتكبون جريمةً وإنما يظنون أنهم يمارسن عبادة. وينالون مغفرة، ويشترون جنات النعيم.

لذلك كلِّه ينبغي أن يستيقظ العرب والمسلمون قبل فوات الأوان، ويوحِّدوا صفوفهم، ويدافعوا عن أنفسهم، ويضعوا نهاية للتهديد الصِّهيونيِّ وخطره الداهم.

أيها المؤمنون:

إن فلسطين ليست مجرد وطن بل هي أرض مقدسة باركها الله وربطها بالعقيدة الإسلامية فيها المسجد الأقصى مسرى رسول الله ومهبط الوحي وأولى القبلتين وثالث الحرمين. ولذلك فهي لا تخص الفلسطينيين وحدهم ولا يخص العرب وحدهم بل تخص المسلمين جميعاً أينما كانوا.

---

(1) سورة البقرة: 79.

والعلم على تحريرها فريضة إسمية في عنق كل مسلم وعلى الأخص زعماء المسلمين الذين سيحاسبون بين يدي الله على تقصيرهم وتفريطهم.

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[1].

إن إخوانكم في الأرض المحتلة قد ثاروا ضد الصهاينة وضربوا أروع الأمثلة في الفداء والتضحية والبطولة، وقدموا العشرات من الشهداء خلال انتفاضتهم المباركة، وأسقطوا خرافة الديمقراطية الصّهيونية، وخرافة البطولة الصّهيونية، وأفهموا العالم أنه لا سلام إلا بعودة الحق إلى نصابه والمرد إلى أرضه.

وواجب المسلمين جميعاً أن يهبُّوا لنصرة الشعب الفلسطيني الذي قدر الله أن يكون الضحية الأولى لأطماع الصّهيونية وأن يكون في خندق الدفاع الأول عن الأمة العربية والإسلامية. فالله عزّ وجل يحضُّ المسلمين جميعاً ويستنهض هممهم ليقاتلوا في سبيل تحرير المستضعفين والمضطهدين:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[2].

والله عز وعلا جعل مناصرة المسلمين المعذبين فريضة على إخوانهم القادرين الأقوياء:

﴿... وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ...﴾[3]. والله تبارك وتعالى يأمر بمقاتلة المشركين المعتدين صفًّا واحداً كما يفعلون:

---

(1) سورة الصافات: 24.

(2) سورة النساء: 75.

(3) سورة الأنفال: 72.

﴿. . . وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً. . .﴾[1] ورسولنا ﷺ يقول: **«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»**ويقول: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى»**.

وإنه لعارٌ كبيرٌ أن تنطلق الحجارة في أيدي الأطفال الصغار في الأرض المحتلة وتخرس المدافع في أيدي الجيوش المدربة!!

وإنه لعار أن تواجه النساء جنود الاحتلال وتجبن الجيوش المدججة بالسلاح!!

وإنه لعار أن نترك شذاذ الآفاق وحثالة البشر، يذلون الرجال ويقتلون الأطفال، وجيوشنا التي تملك الصواريخ والطيارات والدبابات والمدافع تتفرج على ما يحدث!!

وإنه لعارٌ أن نترك الصهاينة الأنجاس يدنسون الأقصى وينتهكون حرمات المساجد وهم ثلاثة ملايين أو أربعة ونحن نُعَدُّ بمئات الملايين!!.

وإنه لعارٌ أن تطبع العلاقات مع الصهاينة بينما هم يذبحون شعب فلسطين!!.

أيها الأخوة:

لقد عَلَّمَنا القرآن أن اليهود جبناء لا يقاتلون إلا في قرى محصنة أو من وراء جُدُر. وهل يقتل الأطفالَ والنساءَ إلا الجبناء! وهل يضرب الرجالَ العزّلَ إلا الجنودُ الجبناء!

وعلَّمَنا القرآن أن نعتصم بالله ونتوكل عليه ونثق بنصره ولا نخشى الأعداء لأنهم نمورٌ من ورق حينما يكون الله في صف المؤمنين:

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ. . .﴾[2].

---

(1) سورة التوبة: 36.

(2) سورة محمد: 35.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾(1).

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾(2).

أيها الإخوة:

ينبغي ألا نيأس لأن اليأس شعبة من شعب الكفر والعياذ بالله:

﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(3) وينبغي ألاَّ نغترَّ بالواقع، ولا ننخدع بالظروف الحالية، فمآل الحق إلى الانتصار مهما طال الزمان، ومآل الباطل إلى الاندحار مهما تغطرس واستطال:

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(4).

ودولة الباطل والعدوان لا بد من أن تنتهي في يوم من الأيام تحقيقاً لوعد الله الذي لا يخلف الميعاد.

﴿...فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾(5).

---

(1) سورة آل عمران: 173.
(2) سورة التوبة: 13 ـ 14.
(3) سورة يوسف: 87.
(4) سورة الإسراء: 81.
(5) سورة الإسراء: 7.

﴿... مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا...﴾

الحمد لله الذي يقول للشيء كن فيكون، خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده كرم محمداً بالإسراء، وأعزه في الأرض وفي السماء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام الرسل وخاتم الأنبياء، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه الأصفياء.

إخوةَ الإسلام:

يقولُ الحقُّ جلَّ وعلا في سورة الإسراء:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

سبحانه ما أعظمه! سبحانه ما أقدره! سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء! سبحانه على كلِّ شيء قديرا.

فلا عجب أن يسريَ بعبده وحبيبه، وصفيه وخليله، ونبيه ورسوله محمد ﷺ من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس، ثم يعيده إلى مهده في مكة في ليلة أو بعض ليلة.

---

(1) سورة الإسراء: 1.

إن الذي خلق الكون من العدم، ونفخ في قبضة الطين فصارت بشراً سوياً، وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وشق البحر لموسى، وأنطق في المهد عيسى، وأحيا الأرض بعد موتها وأنبت فيها من كلّ زوج بهيج، ومرج الأنهار والبحار، وجعل الليل يخلف النهار لا يعجزه إسراءٌ بنبيه المختار، ولا يشق عليه طيُّ الصحارى والقفار.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1].

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ..﴾! إن محمداً كان عبداً لله، بلغ رسالته، وأطاعَ أمرَه، واجتنب نهيه، ونفذ مشيئته، فبلغ أشرف المنازل وأعلى المقامات، ونال أعظمَ تكريم وتشريف:

﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ...﴾[2].

لقد اخْتُصَّ محمد ﷺ برحلة الإسراء لأنه بلغ القمة في سلم العبودية، وبلغ الغاية في مقام الطاعة، والله يُعِزُّ من يعظمه، ويرفعُ من يعبده، ويكرم من يطيعه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[3].

إن الجباهَ المضمخة بعطر الصلاة، والبطونَ الطاويةَ على مِسْكِ الصيام، والألسنةَ اللاهجة بحلاوة التسبيح، والأيدي المطهرة بطيب الصدقة، والقلوب العامرة بمحبة الله، والمتدفقة بالرحمة والرأفة بعباد الله، والعقول المتدبرة لآيات الله لتستشرف أعلى منازل التكريم وأرقى مقامات الرضوان، وأدنى مراتب القرب من الرحمن. سبحان الذي أسرى بعبده من المسجد الحرام أول بيت وضع للناس مباركاً وهدىً للعالمين فيه آيات

(1) سورة يّس: 82 ـ 83.

(2) سورة الحجرات: 13.

(3) سورة النحل: 128.

بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله واختاره بنفسه لعبادته وشكره، وتسبيحه وذكره.

إخوة الإيمان:

لقد ختم الله تعالى آية الإسراء بقوله: ﴿... إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لماذا أسرى الله بعبده؟ وماذا رأى؟ وماذا سمع؟!

لقد رأى الله عزّ وجلّ نبيه وحبيبه محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام يفقد في السنة العاشرة للبعثة عمّه الذي كان يحميه من كيد المشركين، ويفقد زوجه خديجة التي كانت تقفُ إلى جانبه، وتشدُّ أزره، وتخفف آلامه. رأى الكفار يتجرؤون عليه، ويهينونه ويضربونه، ويلقون على ظهره الأوساخ وهو ساجد في أشرف مكان في المعمورة، وسمعهم يكذبونه، ويعاندونه، ويشتمونه، ويهزؤون به، ويتآمرون عليه. رآه سُدَّت في وجهه الأبواب، وتجهمت له الوجوه، وضاقت به السبل، فأراد اللّهُ عَزَّ وجل أن يعوِّضه عن تجهم الأرض بحفاوة السماء، وعن هوان الأرض بعزة السماء. أراد اللّهُ عزَّ وجلَّ أن يخفف آلام الرسول ويمسح جراحه، أراد أن يواسيَ قلبه الكسير، وشعوره الجريح، أراد اللّهُ عَزَّ وجلَّ أن يطمئنه إلى أنه معه يحفظه ويرعاه، وسوف ينصره ويظهر دينه مهما طال الزمان واشتدت المعاناة. أراد الله أن يقويَ إيمانه ويقينه، ويشحذ همته، ويقويَ عزيمته. أراد الله عز وعلا أن يكرم نبيه ويكافئه على صبره وكفاحه وجهاده وتضحياته. أراد الله تبارك وتعالى أن يرفع مقامه ويبين له رفعة مكانته عنده. أراد الله عزّ وجلّ أن يضيف إلى معجزات الرسول معجزة جديدة تكون حجةً على المشركين، ونوراً للباحثين عن الحق، وزيادة لإيمان المؤمنين تتمثل في قولة أبي بكر رضي الله عنه عند سماعه خبر الإسراء: إن كان قاله فقد صدق:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1].

---

(1) سورة النجم: 3 ـ 4.

عبادَ الله:

ماذا يعين إسراء الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؟ ولماذا كان الإسراء إلى الأقصى بالذات؟.

لقد كان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى **إعلاناً بانتقال النبوة من بني إسرائيل الذين نقضوا العهد وفشلوا في حمل أمانة الرسالة إلى بني إسماعيل الذين اختارهم الله ليكونوا حملة الرسالة الخاتمة إلى البشرية جمعاء.**

لقد كان الإسراء إعلاناً **بأن المسلمين هم ورثة الرسالات السماوية السابقة، وورثة المسجد الحرام، وورثة المسجد الأقصى.**

لقد كان الإسراء **إعلاناً بارتباط أرض فلسطين بالإسلام وإعلاناً بقداسة أرض فلسطين.**

لقد كان الإسراء إعلاناً **بوحدة المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وارتباط مكة بالقدس.**

ولقد فهم أصحاب رسول الله ﷺ **الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه رسالة الإسراء، ومغزى الإسراء فسروا إلى فلسطين، وخَفُّوا إلى تحرير القدس في أول فرصة سانحة، ووحدوا أرض الإسراء تحت راية الإسلام، وأَمّنُوا طريق القدس وأولى القبلتين وثالث الحرمين للركع السجود. وفهم صلاح الدين روح الإسراء فَطَهَّرَ القدس من رجس الصليبيين في السابع والعشرين من رجب ذكرى الإسراء.**

أيها المؤمنون:

لقد وقعت أرض فلسطين المقدسة تحت الاحتلال الصّهيوني، ووقع المسجد الأقصى مسرى رسول الله في قبضة أعداء الله وقتلة الأنبياء وأبناء الأبالسة. وكلكم تعلمون أن اليهود لا يحترمون المقدسات، ولا يؤمنون بالتسامح.

وكلكم تعلمون أن اليهود يزعمون أن الهيكل يقع تحت الأقصى **ويخططون لهدم ثالث الحرمين لإعادة بناء الهيكل.**

وكلكم تعلمون أن اليهود لم ينفكوا يعتدون على الأقصى ويدنسونه ويحاولون تدميره كلٍّ يوم.

وكلكم تعلمون أنهم حاولوا وما زالوا يحاولون وضع حجر الأساس لهيكلهم المزعوم.

وكلكم تعلمون أن قوى الصليبية الحاقدة تدفع الأموال، وتبذل الجهود لدفع اليهود لتدمير الأقصى وإقامة الهيكل من أجل عودة المسيح كما يزعمون.

وكلكم تعلمون أن الصهاينة قد أعدوا المخططات ومواد البناء، وأعدوا المباخر، وأعدوا ملابس الحاخامات، وأعدوا التحف التي ستوضع في الهيكل. بل إن هناك معهداً خاصًا يدرب الحاخامات على طقوس تقديم القرابين في الهيكل المنشود.

إن الأمر جد، وإن الوضع خطير،

والكارثة قد تقع في أية لحظة.

فالمسجد الأقصى شوكة في حلوق.

الصهاينة ونارٌ في أعينهم،

وهم يسعون لتدميره بكل الوسائل. فالبدارَ البدارَ والجهادَ الجهادَ قبل فوات الأوان.

أيها المسلمون:

إن آية واحدة فقط في سورة الإسراء هي التي تتحدث عن تلك المعجزة، أما بقية الآيات فتتحدث عن اليهود وكفرهم وعدوانهم وفسادهم في الأرض، وهذا يعني أن المقصود من ذكرى الإسراء ليس الجدل، وليس الاستغراق في التفاصيل، إنما المقصود هو تذكيرنا بخطر اليهود على الإسلام وعلى الإنسانية ووجوب التصدي لهم، والضرب على أيديهم، ورد كيدهم، وتخليص العالم من شرورهم، وتطهير مسرى رسول الله ومهبط الوحي من دنسهم وأرجاسهم.

إن المسجد الأقصى هو خط الدفاع الأول عن الحرم المكي والمدني والمقدسات الإسلامية، وإذا لم نصمد هناك، ونضع حدًّا للعدوان أصبح الطريق سالكاً إلى بقية أوطاننا ومقدساتنا.

فالبدارَ البدارَ، والجهادَ الجهادَ قبل فوات الآوان.

أيها الأحباب:

إن معجزة الإسراء لتملأ قلوبنا بالأمل في انتصار الحق المضطهد. وإن ذكرى انتصار صلاح الدين وتحرير القدس تحيي في صدورنا الأمل في التحرير الجديد.

وإن آيات سورة الإسراء لتبشرنا بالنصر القريب والعودة المرتقبة:

﴿...فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـٔۥاْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾[1].



(1) سورة الإسراء: 7.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ . . ﴾

الحمد لله الذي أَلَّفَ بينَ قلوبنا بالإيمان، وجمعَ صفوفَنا على كلمة الإسلام، وصان وحدتنا بتعاليم القرآن.

وأشهد أن لا إله إلا الله أمرنا بموالاة المسلمين، ونصرة المظلومين، وردع الظالمين.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله آخى بين المؤمنين، وجعلهم متوادِّين متحابين، متكافلين متعاونين. اللهم صَلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم يقومُ الناسُ لرب العالمين.

أيها الإخوة:

إننا نجتمع في المسجد على اختلاف ألسنتنا وألواننا وأعراقنا وجنسياتنا، ونقف جنباً إلى جنب على قدم المساواة بين يدي الله عز وجل في صلاتنا، ونتوجه إلى ربٍّ واحد، ونتلو كتاباً واحداً، ونستقبل قبلةً واحدة، ونكدح من أجل غايةٍ واحدة وهي رضوانُ اللّهِ تبارك وتعالى، أفراحنا واحدة، وهمومنا واحدة، وأتراحنا واحدة، وأتراحنا واحدة.

فما الذي جمعنا، وما الذي أَلَّفَ بيننا، وما الذي وحدنا؟ إنها أُخُوَّةُ العقيدة، أُخُوَّةُ الإيمان، أُخُوَّةُ الإسلام:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1].

---

(1) سورة الحجرات: 10.

فنحن - المؤمنين - إخوة تربطنا العقيدة الواحدة، وتجمعنا المبادىء الواحدة، وتوحدنا طاعةُ الله، وعبادة الله، وتقوى الله، وإخلاص الوجه لله، والتطلع إلى مغفرة الله:

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾(1).

ونحن - المؤمنين - إخوة تجمعنا محبة الله، الذي أغدق علينا نعمَه، وغمرَنا بآلائه، وعمَّنا بفضله، وأكرمنا بالإيمان، وشرفنا بالإسلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وأنقذنا من الجهل والضل، وألَّف بينَ قلوبنا فأصبحنا بنعمته إخواناً:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(2).

ونحن - المؤمنين - إخوة يجمعنا الولاء لله، يجمعنا الولاء لرسول الله، يجمعنا الولاء لإخواننا المؤمنين، تجمعنا صفوف الصلاة، يجمعنا روح الزكاة، يجمعنا روح الخضوع لجلال الله وعظمة الله:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(3).

ونحن - المؤمنين - إخوة تجمعنا رسالة الخير، رسالةُ الإصلاح، رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رسالة العدل والمساواة، رسالة الحرية والكرامة الإنسانية:

(1) سورة الكهف: 28.
(2) سورة آل عمران: 103.
(3) سورة المائدة: 55.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

ونحن ـ المؤمنين ـ إخوة يجمعنا روح التضامن والتناصر وروح التضحية في سبيل الله، في سبيل إحقاقِ الحق وإبطال الباطل، في سبيل إنصاف المظلومين، وتحرير المضطهدين، وإنقاذ المستضعفين:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ. . .﴾[2].

أيها المؤمنون:

إن الأُخُوَّة الإسلامية ليست بالتحلي ولا بالتمني، وليست بالأقوال والادعاءات، وليست بالخطب ولا بالشعارات، وليست فكرة مثالية تموت في بطون الكتب، وتنهزم في عالم الواقع، وليست أحلاماً وخيالات وإنما هي واجبات والتزامات، ومواقف وتضحيات، ومسؤولية وتكليفات.

فمن حق إخواننا علينا أن نحبهم ونتعاطفَ معهم. ولقد بيّن رسول الله ﷺ أن إيماننا لا يكمل إلا إذا امتلأت قلوبنا بالمحبة لإخواننا: قال الحبيب المصطفى ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لاَ أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**.

ولقد امتدح الله عز وجلَّ الأنصار لأنهم قابلوا إخوانهم المهاجرين بقلوبٍ عامرة بالمحبة، وصدور عامرة بالمودة، ونفوسٍ عامرة بالمروءة والإيثار، وأيدٍ تتدفق بالبذل والعطاء:

---

(1) سورة التوبة: 71.

(2) سورة الأنفال: 72.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

والله عَزَّ وجل يعلمنا في القرآن الكريم أن نسأله المغفرة لإخواننا جميعاً، وأن نرجوَه أن يطهر قلوبنا من الضغينة لأي منهم:

﴿... رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

يقول الرسول ﷺ: «**لا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تحاسدوا، وكونوا عبادَ الله إخواناً**».

ومحبةُ إخواننا تقتضي أن نحبَّ لهم كُلَّ ما نحب لأنفسنا، ونكره لهم كلَّ ما نكره لها، ولقد بيَّن المصطفى ﷺ أن هذا الشعور شرط كمال إيماننا؛ يقول صلوات الله عليه وسلامه: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**».

ومحبة إخواننا تقتضي أن نفرح لفرحهم، ونحزن لحزنهم، ونهتم بأمرهم، ونكون كما وصفنا الحبيب المصطفى حين قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

ومحبة إخواننا تقتضي أن نتواضعَ لهم، ونخفضَ جناحنا لهم، ونتجاوزَ عن هفواتهم، ونقيلَ عثراتهم، ونعفوَ عن زلاتهم.

يقول الحق تبارك وتعالى في وصف الرسول ﷺ ووصف أصحابه رضوان الله عليهم:

---

(1) سورة الحشر: 9.

(2) سورة الحشر: 10.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[1].

ويقول الله جلّ وعلا في وصف المؤمنين الذين يحبهم ويحبونه والنخبة التي يريدها أن تتولى الخلافة في الأرض، وتتولى تحقيق العبودية له في العالم، وتتولى تقديم النموذج والمثل للمؤمنين الحقيقيين كما يريدهم ربُّهم، وكما تريدهم رسالتهم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

ولا ريب أن هذا التعاطف والتراحم، وهذا العفو والتسامح هو الذي يؤلّف القلوب، ويجمع الكلمة، ويوحّد الصفوف، ويطرد شبح النزاع والفُرْقَةِ، والتناحر والهزيمة:

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾[3].

---

(1) سورة الفتح: 29.

(2) سورة المائدة: 54.

(3) سورة آل عمران: 159.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(1).

أيها الأحباب:

من حق إخواننا علينا أن نواليَهم، ونناصرَهم، ونقفَ في صفهم، ونقفَ إلى جانبهم ضدَّ عدوِّهم، ونقاتلَ معهم ضد الظالمين، وضد المعتدين، وضدَّ المغتصبين. فأمتنا أمة واحدة والعدوان على جزءٍ منها عدوان على الكلِّ، يستلزم إعلانَ الجهاد، واستنفار كلِّ إمكانات الأمة لرد العدوان، وسحق الظلم، وتحقيق الأمن والعدل. يقولُ الله تبارك وتعالى حاضًا على إنصاف المظلومين وردع الظالمين:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(2).

ويقول تبارك وتعالى:

﴿. . . وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ. . .﴾(3).

يقول الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وسلامه: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعض بعضاً»**.

---

(1) سورة فصلت: 34 ـ 35.

(2) سورة النساء: 75 ـ 76.

(3) سورة الأنفال: 72.

ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام: «**المؤمنون تتكافى دماؤهم، وهم يدٌ على مَنْ سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم**».

ويقول ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله، كلُّ المسلم على المسلم حرام؛ عرضُه، وماله، ودمه**».

والتناصر بين المسلمين ليس تناصر العصبيات والهوى، وليس تناصر الجاهلية العمياء، وليس تناصر الباطل والعدوان، بل هو التناصر لإحقاق الحق وإبطال الباطل، التناصرُ لتحقيق العدل وهدم الجور، التناصرُ لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

يقولُ الرسول ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، إن يك ظالماً فاردده عن ظلمه، وإن يك مظلوماً فانصره**».

وخذلان المسلمين المظلومين المضطهدين لا يقود إلاَّ إلى الهزيمة والاستسلام، والذل والعار في الحياة الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

إنَّ حسَّ التضامن، وحسَّ التكافل، وحسَّ الجسد الواحد، وحسَّ الأمة الواحدة، وحسَّ المصير المشترك هو الذي بنى مجدَ الإسلام وحقق انتصاراته وسيادته، وهو القادر اليوم على بعث أمجاد الإسلام، وتحقيق النصر والعزة والكرامة للمسلمين إذا أعدناه إلى مكانه في قلوبنا، وفي عقولنا، وفي مشاعرنا، وفي أعمالنا وسياساتنا.

---

(1) سورة التوبة: 38 ـ 39.

وغياب هذا الحس، وسيطرة الأنانية والأثرة، وطغيان حب الدنيا، وهيمنة المصالح الإقليمية والفردية، هو الذي مكّن أعداءنا من الانفراد بالأقطار الإسلامية قطراً بعدَ قطر، واغتصاب أرضنا، وانتهاك حرمة مقدساتنا، ونهب خيراتنا، وحرماننا من أسباب القوة والمنعة، وأسباب التحرر والتقدم.

عبادَ الله:

من حق إخواننا علينا أن نتكافلَ معهم، ونسدَّ حاجتهم، ونتقاسمَ معهم مائدةَ السماء التي أنزلها الله للجميع، ونتقاسمَ معهم ثرواتِ الأرض وكنوزَها ومباهجَها التي خلقها الله للجميع، ونؤمِّنَ للمسلمين كافة حياة الكفاية والرفاهية وحياة العزة والكرامة، ونصونَهم عن ذلِّ السؤال والاستجداء، ونحميَهم من الوقوع تحت هيمنة الأعداء.

يقول الحق تبارك وتعالى في وصف أهل الجنة:

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[1].

ويقول عزّ وجلّ:

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ. . .﴾[2].

وكُلُّ ما زاد على حاجتنا ينبغي أن ننفقه طالما أن هناك محتاجين وطالما أن هناك محرومين، وطالما أن هناك مجاعة وفاقة: يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿. . . وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ. . .﴾[3].

---

(1) سورة المعارج: 24 ـ 25.
(2) سورة الحشر: 7.
(3) سورة البقرة: 219.

ويقول الحبيب المصطفى ﷺ: **«من كان معه فضل ظهر فليعد به على مَنْ لا ظهر له، ومن كان له فضلٌ من زادٍ فليعد به على مَنْ لا زاد له»**.

ويقول صلوات الله عليه وسلامه: **«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»**.

ويقول ﷺ: **«من نَفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يَسَّر على معسر، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه»**.

والشحُّ والبخل، والأثرة والأنانية، والطمع، والجشع لن تؤدِّيَ إلاَّ إلى الحقد والكراهية، والشعور بالقهر والمرارة، ولن تثمرَ إلاَّ الظلم والعدوان، وسفك الدماء والصراع والقلاقل. وبذلك تصبح الحياة جحيماً للأغنياء والفقراء على حدٍّ سواء.

يقول الرسول ﷺ: **«اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، واتقوا الشح، فإنَّ الشحَّ أهلكَ من كان قبلك، وحملهم على أن سفكوا دماءَهم واستحلُّوا محارمَهم»**.

وليست الصدقة السبيلَ الوحيد لتحقيق الكفاية للمسلمين بل هناك تأمين فرص العمل للعمال المسلمين، والتبادل التجاري مع المسلمين، واستثمار الأموال في بلاد المسلمين.

إخوةَ الإيمان:

من حقِّ إخواننا علينا أن نشاورَهم ونستنصحَهم فالشورى أمان من الخطأ، وأمان من التهور، وأمان من سوءِ العواقب، وما ندم من استشار، ولا خاب من استخار.

يقول تعالى:

﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ...﴾[1].

ومن حقّ إخواننا علينا أن نسديَ إليهم النصيحة، ونُخلِصَ لهم الرأي: قال الرسول ﷺ: **«الدين النصيحة»**.

ومن حقّ إخواننا علينا أن ندعوَهم للمعروف، وننهاهم عن المنكر، ونحذِّرَهم من عواقب الشر، يقول تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

ومن حقّ إخواننا علينا أن نصلحَ بينهم، ونقضيَ على أسباب النزع، ونجتث جذور الفتنة، ونحقق السلام بين الأشقاء:

يقول الحقُّ جَلَّ وعلا:

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

أيها الأحبة:

إننا إذا نظرنا في أحوال بلادنا ومجتمعاتنا نجد هوة واسعة بين تعاليم الإسلام والواقع، نجد صلات الأُخُوَّةِ قد ضعفت أو انقطعت، نجد البغضَ يحل محلَّ الحب، والحسدَ محلَّ الغبطة، والشدةَ محلَّ الرحمة،

---

(1) سورة الشورى: 28.

(2) سورة آل عمران: 104.

(3) سورة الحجرات: 9 ـ 10.

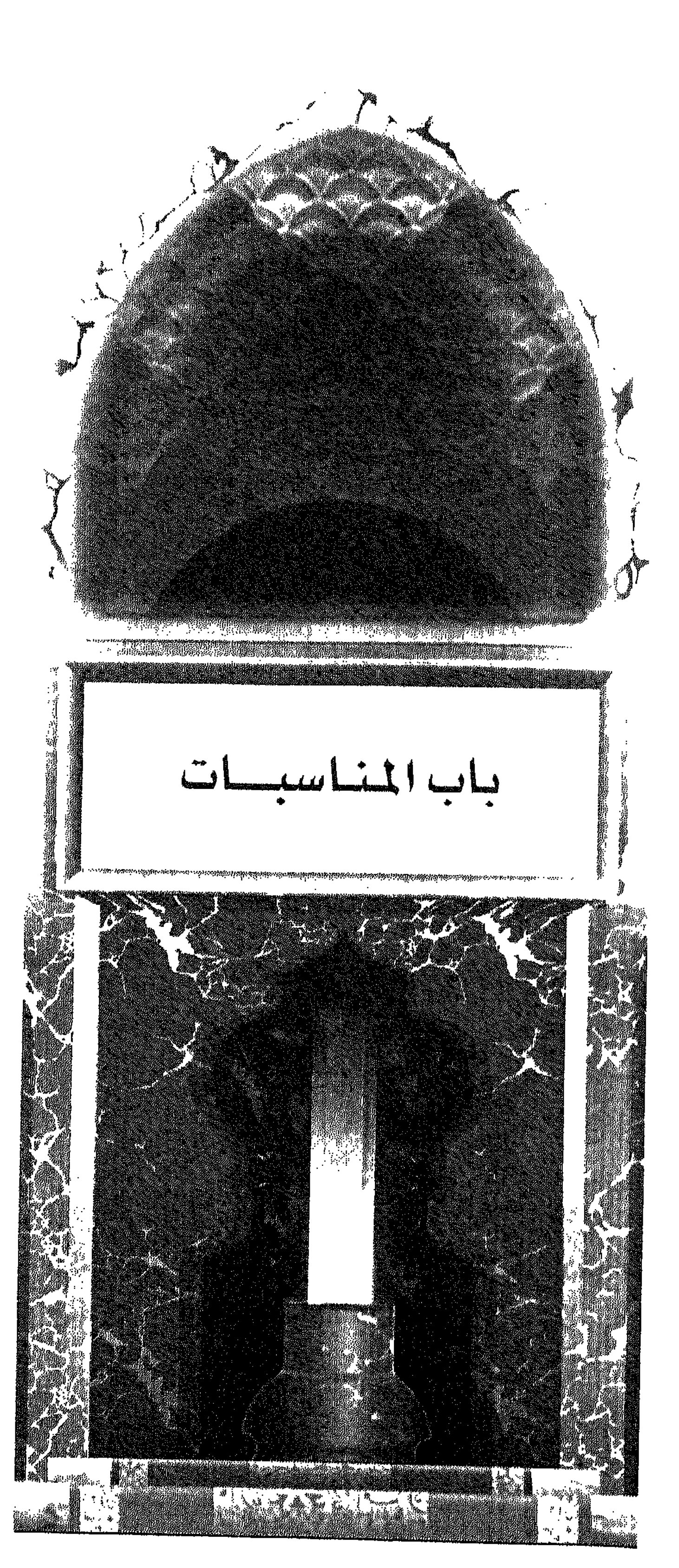
والشحّ محلّ السخاء. وهذا يعكس مرضَ القلوب، واضطراب المعايير، وضعف الإيمان.

إنّ الله يعلم أن المسلمين قد يتنازعون ولكنه دَلّنا على السبيل الذي نقاوم به الشقاق ألا وهو الاحتكام لكتابه وسُنّة نبيّه وهو سبيل السعادة والخلاص:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1].



(1) سورة النساء: 59.


باب المناسبات

﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الحمد لله الذي مَنَّ على المؤمنين فبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل محمداً خاتم النبيين، وأرسله رحمة للعالمين، وزينه بالخُلُقِ العظيم، وجعله قدوة للناس أجمعين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كان خُلُقُهُ القرآن، وهَمُّهُ البرُّ والإحسان، اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى سائر أتباعه إلى يوم لقاء الواحد الديان.

إخوةَ الإيمان:

إن الله بعث محمداً ليتمم مكارم الأخلاق، ويرسخ دعائم القيم والفضائل، ويبنيَ مجتمعاً يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر ويقيم أركان العدل والمساواة في الأرض، ويقدم للعالَم نموذجاً للإنسان كما أراده خالقه الذي جعله خليفةً في الأرض، وفضَّله على خلقه وباهى به ملائكته.

ونشهد ـ يا سيدي يا رسولَ الله ـ أنك بلغتَ الرسالة، وأديتَ الأمانة، ونصحتَ الأمة، وأخرجتَ الناسَ من الظلمات إلى النور، وجعلتَ القلوبَ القاسية التي كان تستمريء وَأْدَ البنات، وقطيعةَ الرحم، وأكلَ مال اليتيم، تتفجَّر بالرحمة، وتتدفق بالشفقة. وجعلت النفوس التي كانت تنزع إلى القتل وسفك الدماء، تهفو إلى السلام والحضارة والبناء.

وجعلت الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة ويعاقرون الخمر،

ويستحلون الزنا، ملائكةً في الحياء والطهارة والاستقامة. وجعلت الذين كانوا يأكلون الربا، ويتقاتلون من أجل حفنة من تمر، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

وجعلت الذين كانوا يظلمون المسكين، ويقطعون الطريق، حراساً للأمن والعدالة.

وجعلت رعاة الإبل الذين كانوا يعيشون على هامش الحياة أبطالَ التاريخِ، وصناعَ الحضارة.

وجعلت الأعداءَ إخوة، والقبائلَ المتناحرةَ أمة، بل خيرَ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناس.

إخوةُ الإسلام:

أليس محمد ﷺ هو الذي علمنا الصدق والأمانة؟.

أليس هو القائل: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتى يُكْتَبَ عند الله صديقاً، وإياكم والكذبَ فإن الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإن الفجورَ يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذبَ حتى يكتب عند الله كذاباً**»؟

أليس هو القائل: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لاعهد له**»؟

أليس هو الذي سماه أعداؤه الصادق الأمين وكانوا يودعون عنده أماناتهم!؟

أليس هو الذي لم يسجل له التاريخ كذبةً أو إخلافَ وعد أو نقضَ عهد؟

أحبابَ الله:

مَنْ غَيْرُ محمدٍ علَّمنا الرحمةَ والشفقة؟

أليس هو الذي وصفه ربُّ العالمين فقال:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

أليس هو الذي قال فيه أصدق القائلين:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

أليس محمدٌ هو الذي يقول: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماء. الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله**»؟

أليس هو الذي كان يتقطع ألماً وحسرةً وهو يرى الكفار يعاندون ويجحدون ويكذِّبون ويوردون أنفسَهُم مواردَ الهلاك حتى قال له رب العزة جل وعلا:

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[3].

أليس هو الذي وقف حياته وعمره من أجل إنقاذ البشرية من الحيرة والضلال، والظلم والاستغلال؟

مَنِ الذي كان يمسح رأسع اليتيم، ويمسح دموعَ المسكين، ويجبر القلبَ الكسير؟ مَنِ الذي كان يخفف الصلاة إذا سمع بكاءَ طفل يتردد في جنبات المسجد شفقةً على الطفل وعطفاً على الأم الحنون؟

أليس محمد هو القائل: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار**»؟.

---

(1) سورة التوبة: 128.

(2) سورة الأنبياء: 107.

(3) سورة فاطر: 8.

عبادَ الله:

أليس محمد هو الذي علمنا العدلَ والمساواة؟

أليس هو القائل: **«ليس لعربي فضلٌ على أعجمي، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى، كلُّكم من آدم وآدم من تراب»**؟

ألم يكن رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ينصف الناس من نفسه ويقول لهم: **«أيها الناس من كنت جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فَلْيَسْتَقِدْ منه، ومن كنتُ شتمتُ له عرضاً فهذا عرضي فَلْيَسْتَقِدْ منه، ومن أخذتُ منه مالاً فهذا مالي فَلْيأخُذْ منه ولا يخش الشحناء فإنها ليست من شأني ألا إن أحبَّكم إليّ من أخذ مني حقًّا إن كان له أو حلَّلني فلقيتُ ربِّي وأنا طيبُ النفس»**؟

لقد ضرب في بدر سواداً رضي الله عنه بالقِدْح ليستقيم في الصف، فقال سواد: لقد أوجعتني يا رسولَ الله. فناوله رسول الله ﷺ القِدْحَ ليضربه كما ضربه وكشف له عن بطنه، ولكن سواداً عانق رسول الله وقبَّله من بطنه، وعندما سأله عن السبب قال: لقد حضر يا رسولَ الله ما ترى وأحب أن يكون آخر عهدي بالدنيا أن يمسَّ جلدي جلدَك.

أليس رسول الله هو الذي قال لأسامة حينما شفع لديه حتى لا يقيم الحدَّ على السارقة ذات الحسب والنسب:

«إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمةَ بنتَ محمد سرقت لقطعتُ يدها»؟.

أيها المؤمنون:

مَنْ غيرُ محمدٍ علَّمنا الجودَ والكرم؟

أليس هو الذي ما قال لا لسائل قط؟

أليس هو الذي كان يعطي عطاء مَنْ لا يخشى الفقر؟.

أليس هو الذي كان أجودَ بالخير من الريح المرسَلَة؟

ألم يقل لبلالٍ رضي الله عنه: يا بلالُ أنْفِقْ ولا تخش من ذي العرش أقلالاً؟

وقال لأبي ذر رضي الله عنه: يا أبا ذر ما يسرني أن عندي مثلَ أُحُدٍ هذا ذهباً تمضي عليَّ ثلاثة أيام وعندي منه دينار واحد.

وما علمنا العفو والتسامح أحدٌ سوى محمد ﷺ حين قال لكفار مكة الذين عذبوه وكذبوه وتآمروا عليه وقتلوا أهله وأصحابه: **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»**.

وحينما ذهب إلى الطائف يدعو أهلها للإسلام فكذبوه وسلطوا عليه سفهاءهم وصبيانهم يضربونه بالحجارة حتى شجوا رأسه وأدموا قدميه، وعرض عليه مَلَكُ الجبال ـ بأمر الله ـ أن يطبق عليهم الأخشبين فقال: لا ولكن أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله ولا يشرك به شيئاً. اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون.

أيها المسلمون:

ومَنْ علَّمنا الصبر والثبات سوى رسول الله ﷺ؟ أليس هو القائل: **الصبر ضياء؟ والقائل: «إن النصر مع الصبر وإن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسراً».**

أليس هو الذي صبر على التكذيب والأذى، والتعذيب والسخرية، وسياسة التجويع والحصار ثلاثة عشر عاماً في مكة وهو يقول: **«والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».**

أليس هو الذي عُرِضَ عليه المالُ والجاهُ والشرفُ والملكُ شريطةَ أن يتخلّى عن الإسلام ويعودَ إلى عبادة الأصنام فأبى قائلاً لقومه:

«ما جئتُ بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرفَ فيكم، ولا الملكَ عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتاباً، وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلغتُكم رسالاتِ ربي ونصحتُ لكم، فإن تقبلوا مني

ما جئتُكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليَّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكمَ الله بيني وبينكم».

أحبابَ الله:

مَنْ غيرُ محمدٍ ﷺ علَّمنا الزهد والتواضع؟

أليس هو القائل: «**اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني مع المساكين**».

ألم يكن ينهى أصحابه عن القيام له قائلاً: «**لا تقوموا كما يقوم الأعاجمُ يعظِّم بعضُهم بعضاً**؟ ألم يكن يمشي خلف أصحابه ويقول: «**خلُّوا ظهري للملائكة؟**».

ألم يقل: «**إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد؟**».

وقال لذلك الرجل الذي هابه حين رآه: «**هوّن عليك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**».

مَنْ الذي كان يمرُّ عليه الهلال ثم الهلال ولا يوقد في بيته نار؟.

مَنْ الذي كان يتلوَّى من الجوع ولا يجد من رديء التمر ما يملأ به بطنه؟.

مَنْ الذي عاش حياة الفقر والحرمان وكان بوسعه أن يعيش كالملوك والأباطرة؟.

لقد دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فإذا بالحصير الخشن قد أثر في جنبه ولم يجد في خزانته إلا قبضة من شعير فبكى عمر، فقال له رسول الله ﷺ: **ما الذي يبكيك يا ابنَ الخطاب؟ فقال: وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وخزانتك ليس فيها إلا قبضة من شعير، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبيُّ الله وصفوتُهُ؟ فأجاب رسولُ الله عليه أفضل الصلاة والسلام: يا ابنَ الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟**.

وحين مات رسولُ الله ﷺ لم يخلِّف قصوراً ولا عبيداً وجواريَ ولا درهماً ولا ديناراً إلا بغلتَه وسلاحَه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة.

ومَنْ علمنا الأُخُوَّةَ والتكافل سوى محمد بن عبد الله ﷺ؟.

أليس هو القائل: **«لا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً»، «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يُسْلِمُه».**

أليس هو القائل: **«من فرَّج عن مؤمن كربة فرَّج الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»؟.**

أليس هو القائل: **«من كان عنده فضلُ زاد فلْيَعُدْ به على مَنْ لا زاد له ومَنْ كان عنده فضلُ ظهر فَلْيَعُدْ به على من لا ظهرَ له، وذكر من أصناف المال حتى قال الصحابة إنه لا حق لأحد في فضل»؟.**

أليس هو القائل: **«والله لا يؤمن والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، من بات شبعانَ وجارُه جائعٌ إلى جنبه وهو يعلم به»؟.**

عبادَ الله:

مَنْ غيرُ محمدٍ ﷺ علَّمنا الشجاعةَ والإقدامَ والعزةَ والكرامة؟.

أليس هو القائل: **«من أعطى الذلةَ من نفسه طائعاً غيرَ مكرهٍ فليس منا»؟.**

وجاء رجل يسأله: أرأيت إن جاء رجلٌ يريد أخذَ مالي؟.

فقال: **لا تعطه مالك. قال: أرأيتَ إن قاتلني؟ فقال: قاتِلْه. فقال: أرأيتَ إن قتلني؟ فقال: فأنت شهيد. فقال: أرأيتَ إن قتلتُه؟ قال: هو في النار.**

ولو عمل المسلمون بهذا التوجيه المحمدي ما ضاعت المقدسات وما

انتُهِكَت الحرماتُ وما كان هناك يهوديٌّ يدنس المسجد الأقصى وأرض النبوات والرسالات.

ألم يقف محمد ﷺ وحدَه يدعو إلى عبادة الله الواحد القهار في وسط مجتمع أَلِفَ عبادةَ الأصنام وديانةَ الآباء والأجداد؟.

ألم يكن دائماً في الصف الأول في مواجهة الأعداء في أثناء القتال؟.

ألم يصمد على رأس القلة المؤمنة في أحد؟.

ألم يبق صامداً كالطود حين فرَّ المسلمون في حنين؟.

أليس هو الذي كان يحلم بالشهادة في سبيل الله ويقول: **«والذي نفس محمدٍ بيده ما كَلْمٌ يُكْلَمُ في سبيل الله إلا جاء يومَ القيامة كهيئته يومَ كُلِمَ لونُه لونُ دم وريحُهُ ريحُ مسكٍ والذي نفس محمد بيده لولا أن أشقَّ على المسلمين مَا قعدتُ خلافَ سريةٍ تغزو في سبيل الله أبداً. والذي نفسُ محمدٍ بيده لوددتُ أن أغزوَ في سبيل الله فأُقْتَلَ ثم أغزُوَ فأُقْتَلَ ثم أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ»**؟.

أحبابَ الله:

إذا كنا أتباعَ محمدٍ حقًّا فحريٌّ بنا أن نتأسّى بسيرته، ونتخلَّق بأخلاقِه، ونحييَ سنتَه، ونلتزمَ بتعاليمه، ونسيرَ على خطاه في طريق الجهاد والكفاح من أجل فجر جديد يشرق على البشرية بالحق والحرية والعدالة والمساواة:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

(1) سورة آل عمران: 31.

﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾

الحمد لله ﴿... ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بعث محمداً رحمة للعالمين، وخاتماً للأنبياء والمرسلين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أيّدَه بمعجزة القرآن الخالدة على مَرّ الأزمان، وجعل أتباعَهُ من أهل النعيم والرضوان اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه يا حنان يا منان.

أيها المسلمون:

ها قد هَلَّ علينا شهر ربيع الأول، شهر ميلاد المصطفى محمد ﷺ، شهر ميلاد الرحمة، وميلاد الهدى، شهر ميلاد الحق والعدالة، شهر ميلاد الحرية والكرامة، شهر ميلاد الحضارة العربية الإسلامية وميلادِ القيم الإنسانية. وبرغم أن الأنبياء جميعاً هم صفوة الخلق، وخير البشر، وقدوة الناس في الأخلاق والسلوك والعبادة والتقوى فإنَّ اللَّهَ تعالى فضل بعضهم على بعض في القدر والمقام نظراً لتمايزهم في الصبر والثبات، والجهاد والكفاح، لأن البشرَ بطبعهم متمايزون، وببذلهم متباينون. يقول الحقُّ تبارك وتعالى:

---

(1) سورة الجمعة: 2.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ. . .﴾[1].

ولقد أكرَمَ الله عزَّ وعلا نبينا محمداً ﷺ بجملة من الخصائص والمزايا، والمحامد والمناقب جعلته يتبوأ مكان الصدارة بين الأنبياء، ومكان الإمامة بين الرسل، يقول الرسولُ ﷺ وهو يبيّن بعض ما مَنَّ به عليهِ الرحمَنُ من النعم والعطايا والخصائص والمزايا: «**أُعطيتُ خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحِلَّت لي الغنائم، ولم تَحلَّ لأحدٍ قبلي، وأعطيتُ الشفاعة، وكان النبيُّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**».

ويقول صلوات الله عليه وسلامه: «**فضلت على الأنبياء بست: أُعْطيتُ جوامع الكلم، ونُصرتُ بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجُعلتْ لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأُرسلتُ إلى الخلق كافة، وخُتِمَ بِيَ النبيون**».

أيها المؤمنون:

مِمَّا مَيَّزَ الله به محمداً ﷺ أنه جعلَه خاتم الأنبياء والمرسلين، وجعل رسالته خاتمة الرسالات، وجعل كتابه خاتم الكتب، فلا نبي بعده، ولا رسالة بعد رسالته، ولا كتاب بعد كتابه.

يقولُ اللّهُ جلَّ وعلا:

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[2].

ويقولُ صلواتُ الله عليه وسلامه: «**إنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأنبياء من قبلي كَمَثَلِ رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضعَ لَبِنَةٍ مِنْ زاوية، فجعلَ الناس**

(1) سورة البقرة: 253.

(2) سورة الأحزاب: 40.

يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هَلاّ وُضِعَتْ هذه اللبنة! فأنا اللبنة، وأنا خاتمُ النبيين».

لقد جاء محمدٌ ليتممَ مكارمَ الأخلاق بأكرمها، ويكمل النبواتِ بأعظمها، ويختمَ الشرائع بأعدلها، ويختم الكتب بأوثقها، ويختم القدوة بأكملها. ولأنه ﷺ خاتم النبيين، ولأن البشر جميعاً مطالبون بالإيمان برسالته، والدخول في دينه، والاقتداء بسنته فإن اللّهَ بحكمته قَدَّرَ أن تُدَوَّنَ سيرته وحده بأدق تفاصيلها، من مولده إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى حتى يكون معروفاً لجميع الناس فيؤمنوا به، ويتبعوا هديه.

أيها الأحباب:

ومما مَيَّزَ اللّهُ به محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام أنه بعثه لسائر الأمم وللشعوب كافةً، عربهم وعجمهم أسودهم وأبيضهم، أحمرهم وأصفرهم. وجعل رسالته دائمة مستمرة إلى يوم القيامة، بينما كان الرسلُ قبله يبعثون إلى أقوامهم خاصة في عهود تاريخية محددة. ولم تكن هذه العمومية نتيجة لانتصار الإسلام وانتشاره كما يدَّعي أعداءُ هذا الدين، بل كانت مبدأً ثابتاً من مبادىء الدعوة الإسلامية منذ انطلاقتها ومنذ كان المؤمنون قلة مستضعفة في مكة تعذب وتضطهد، وتطارد وتحاصر، وكفى بالله شهيداً، فكلُّ الآيات التي تحدثت عن عالمية دعوة الإسلام آيات مكية: يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف المكية:

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾[1] ويقول عزَّ وعلا في سورة الأنبياء المكية:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

ويقول جلَّ جلاله في سورة سبأ وهي مكية أيضاً:

---

(1) سورة الأعراف: 158.

(2) سورة الأنبياء: 107.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1].

إخوة الإيمان:

إن ختم النبوة بمحمد ﷺ، وختم الرسالات بالإسلام، وديمومة هذه الرسالة إلى نهاية الأزمان، اقتضى خلودَ المعجزة المحمدية حتى تكون حجة على الناس، ودليلاً على نبوته ﷺ. لقد كانت معجزات الأنبياء ظرفية انتهت بانتقالهم إلى الرفيق الأعلى لأن رسالاتهم كانت مؤقتة.

أما معجزة محمد ﷺ فهي معجزة دائمة خالدة لأن رسالته مستمرة. وليست هذه المعجزة إلا معجزة الوحي، معجزة القرآن، الكتاب المعجز الذي لا يقبل المعارضة:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[2]، الكتاب الشامل الذي لا يعرف النقص:

﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾[3].

الكتاب المعصوم الذي لا يقبل التناقض:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[4]، والكتاب الموثوق الذي لا يقبل التبديل:

---

(1) سورة سبأ: 28.
(2) سورة الإسراء: 88.
(3) سورة النحل: 89.
(4) سورة النساء: 82.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]. إنه الكتاب الذي تكفل الله بحفظه ولم يتكفل بحفظ سواه من كتبه السماوية.

وحينما كان المشركون يطالبون رسول الله ﷺ بالآيات والمعجزات كان الله تعالى يسترعي انتباههم إلى أن معجزة الرسول بين أيديهم وتتلى عليهم صباح مساء:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

ويقول ﷺ: **«ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يومَ القيامة»**.

إخوةُ الإسلام:

من فضل الله على محمد ﷺ أنه أخذ لَهُ العهدَ على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بالإيمان به ﷺ واتباعه ونصرته إن بعث وهم أحياء، وهذا يستلزم التبشير بمجيئه وأمر اتباعهم بالإيمان برسالته واتباع هديه. يقولُ الحقُّ جلَّ وعلا:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ

(1) سورة الحجر: 9.

(2) سورة العنكبوت: 50 ـ 51.

﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1].

ويقول الرسولُ ﷺ: **«أنا دعوة أبي إبراهيم الذي قال:**

﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2].

وبشارة عيسى حيث قال:

﴿. . . يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾[3].

ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نورٌ ساطع أضاءت منه قصور الشام».

إن كتب اليهود والنصارى الموجودة بين أيديهم اليوم لا يذكر فيها اسم محمد ﷺ صراحة لأن هذه الكتب عبثت بها يد التحريف والتبديل ومع ذلك فلا يزال فيها بشارات بظهور نبي وأوصاف له تنطبق على رسول الله ﷺ. ولقد أكد القرآن هذه الحقيقة حين قال عزَّ وعلا:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ. . .﴾[4].

ولو أن اليهود والنصارى وضعوا التعصب جانباً وأعادوا قراءة كتبهم بروح النزاهة والإنصاف لوجدوا رسول الله ﷺ وآمنوا بنبوته ورسالته.

---

(1) سورة آل عمران: 81.

(2) سورة البقرة: 129.

(3) سورة الصف: 6.

(4) سورة الأعراف: 157.

أحباب الله:

مما اختص به محمد ﷺ أن الله تعالى تولى حمايته وتكفل بحفظه من الذين يتآمرون عليه ويدبرون قتله، وما ذاك إلا من أجل أن يكمل الدين، وتتم النعمة، وتسلم القدوة، حتى تتم المهمة التي بعث من أجلها خاتم الأنبياء والمرسلين: يقول تبارك وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

وبرغم أن الرسول تعرض لمحاولات اغتيال كثيرة دبرها اليهود والمشركون، وبرغم المعارك الكثيرة التي خاضعها مقاتلاً في الصف الأول، وبرغم أنه كان دائماً هدفاً للأعداء فإنه ظل سالماً لأن مَنْ بيده الحياة والموت أراد له أن يحيا ويسلم حتى يعز الإسلام ويذل الشرك والطغيان.

عبادَ الله:

إن الله قرن ذكرَ محمد بذكره في كلمة الشهادة والأذان والتشهد، وقرن طاعته بطاعته حين قال:

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ...﴾[2] وقرن بيعته ببيعته حين قال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ...﴾[3] وقرن رضاه برضاه حين قال:

﴿...وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ...﴾[4]

وقرن إجابته بإجابته حين قال:

---

(1) سورة المائدة: 67.

(2) سورة النساء: 80.

(3) سورة الفتح: 10.

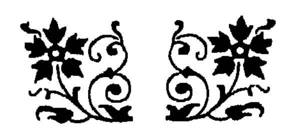
(4) سورة التوبة: 62.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[1]، وقرن محبته ومغفرته باتباعه حين قال:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

فاتبعوا سنّة رسول الله، وسيروا على خطاه، وكونوا نماذج حية لمناقبه ومحامده وأخلاقه، حتى يعرف الناس فضله وسبقه، ولا تشوه صورته وتنتقص عظمته، وانصروا دينه، ووقروا سيرته، واشكروا الله الذين مَنَّ عَليكم بنبوته ورسالته، وأرسل إليكم أعظم أنبيائه ورسله، واتبعوا النور الذي أنزل معه:

﴿... فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].



---

(1) سورة الأنفال: 24.

(2) سورة آل عمران: 31.

(3) سورة الأعراف: 157.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً. . .﴾

الحمد لله الذي لم يشرك في حكمه أحداً، ولم يتخذ صاحبةً ولا ولداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، استقلَّ بالخَلْق والوحدانية، وتفرّد بالألوهية والربوبية، واستحق وحده الطاعة والعبودية.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بَلَّغ رسالة التوحيد للأنام، وحمل لواء الدين بعد عيسى عليه السلام، وذَبَّ عنه بهتان الأعداء، ومغالاة الأتباع.

اللهم صل وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين والمبعوث رحمةً للعالمين ومَنْ تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المؤمنون:

يقول الحقُّ جل وعلا:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

إن الاعتراف بالرسلات السماوية السابقة والإيمان بسائر الرسل وجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله لهداية الناس وإصلاح المجتمعات ركن من أركان الإيمان، وإنكار أيٍّ من الرسل الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم خروج من دائرة الإسلام.

(1) سورة البقرة: 285.

وهؤلاء الرسل هم خيرة الله من خلقه، وصفوته من عباده، فضّلهم الله على العالمين، وزيّنهم بالخلق القويم، وجعلهم قدوةً للناس أجمعين.

يقول الحق جل وعلا في تلك النخبة:

﴿... إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1].

ويقول عزّ وجلّ:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ...﴾[2].

ولقد خصّ الله بني إسرائيل بعددٍ كبير من الأنبياء لقساوة قلوبهم، وانحراف سلوكهم، وكثرة أمراضهم، وفظاعة غدرهم وعدوانهم. ومن هؤلاء الأنبياء الذين بعثهم الله لهداية بني إسرائيل، وردهم إلى جادة الصواب وحظيرة الإيمان نبيٌّ الله عيسى ابن مريم عليه أفضل الصلاة والسلام.

وليس ثمة نبيٌّ تعارضت فيه الآراء وتضاربت بشأنه الأهواء وانقسمت حوله شيع وأحزاب، واشتعلت باسمه حروب، وسفكت باسمه دماء وهو منها براء كالمسيح عليه السلام.

لقد قال قوم: إنه الله، وقال آخرون: إنه نبيٌّ الله.

وقال قوم: إنه ابن الله، وقال آخرون: إنه ابن الزنا.

وقال قوم: إنه المسيح المنتظر، وقال آخرون: إنه المسيح الدجال.

وقال قوم: إن يصنع الخوارق والمعجزات، وقال آخرون: إنه ساحر كذاب.

وقال قوم: إن له طبيعةً إلهيةً واحدة، وقال آخرون: إن له طبيعتين

(1) سورة الأنبياء: 90.

(2) سورة الأنعام: 90.

إلهيةً وبشرية وقال قوم: إنه صلب ثم رفع إلى السماء، وقال آخرون: إنه صُلِبَ ثم سرق تلاميذة جثته.

وقال قوم: إنه سيعود إلى الأرض، وقال آخرون: إنه سيعود إلى الجحيم.

وجاء القرآن - في نهاية المطاف - ليبيِّن للبشرية حقيقة المسيح ويحسم الخلاف بشأنه، ويضع حدًّا للغموض الذي اكتنف سيرته.

وجاء القرآن - ليبطلَ مزاعم أعداء المسيح، ويصحح مغالاة اتباع المسيح، ويقول لهؤلاء وأولئك: على رسلكم فلا يعلم حقيقةَ المسيح إلا ربُّ المسيح.

جاء القرآن ليدافع عن عيسى، ويقرر؛ عراقة نسبه، وطهارة أصله، وكرم مَحْتِدِه.

جاء القرآن ليدافع عن مريم أمّ المسيح، ويقرر أنها صدِّيقة طاهرة تنحدر من أسرة تبقية كريمة، ويقص بشأنها أحسن القصص، ويتفرَّد برواية أجمل الأخبار، فيذكر أن أمها حين حملت بها نذرت ما في بطنها لخدمة بيت الله، وأن العناية الإلهية كانت تحيط بها وترعاها في كل مرحلة من مراحل نشأتها، وأن الله هيأ لها أن تنشأ في بيت النبوة ومهبط الوحي، في رعاية نبيِّ الله زكريا الذي تولَّى تربيتها وتعليمها. ويذكر القرآن أن الله كان يتولَّى مريم برحمته وفضله ويغدق عليها الأرزاق في كلِّ حين، وزكريا عليه السلام يدهش لذلك ويعجب. اسمعوا معي قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۞ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا

قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾[1].

والقرآن الكريم يرفع نسب مريم إلى عمران والد موسى وهارون تارة وينسبها إلى هارون تارة أخرى ليقرر رفعة نسبها وعراقة أصلها.

ويؤكد القرآن عذرية مريم ويشيد بتقواها واستقامتها وطهارتها حتى لا يشك أحد في أخلاقها أو يشتبه في أمرها أو يطعن في عفتها، اسمعوا معي قول الحقّ جلّ وعلا:

﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾[2].

إخوة الإسلام:

لقد كانت النشأة الطاهرة لمريم تمهيداً لأمر جليل اختارها الله تعالى من أجله وفضلها على نساء العالمين بسببه.

لقد اختارها الله عزّ وجلّ لتكون محلاً لمعجزة إلهية خارقة وهي ولادة طفل من غير أب ولا نطفة آدمية.

ولقد تمّ اختيار مريم بالذات، وتولتها الرعاية الإلهية على الخصوص حتى لا يكون هناك مجال للشك في حدوث المعجزة، لأن مريم . بعفتها وتقواها . كانت فوق الشكوك وفوق الشبهات.

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[3].

---

(1) سورة آل عمران: 35 ـ 37.

(2) سورة التحريم: 12.

(3) سورة آل عمران: 42 ـ 43.

لقد جرت سنّة الله أن يلد الإنسان من اجتماع الذكر والأنثى، ونسي الناس حادث الخلق الأول حيث خلق الله آدم من العدم، ونسي الناس أن خالق الأسباب قادر على خرقها، وأن الله على كلّ شيء قدير، فأراد الله عزّ وجلّ أن يخلق عيسى من أنثى فقط حتى يُذَكِّرَ النّاسَ بقدرته المطلقة، وإرادته الخلاّقة المبدعة، وقوته الغيبية التي تسيّر الكون وتصنع الحياة.

ومعظم اليهود قبل ميلاد المسيح كانوا غارقين في شهوات الدنيا، منكرين للروح، جاحدين للآخرة، يظنون أن الإنسان مادة فقط، فأراد الله عزّ وجلّ أن يخلق إنساناً من غير أب حتى يدرك اليهود أن الإنسان يحيا بالروح وأن الروح من أمر ربي:

﴿. . .وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

ويخبرنا القرآن أن الله عزّ وجلّ بعث جبريل إلى مريم على هيئة بشر يزف إليها بشرى الاصطفاء الإلهي، فخافت واضطربت، ولما أخبرها بالبشرى تعجبت وتساءلت: كيف تحمل ولم يمسَسْها بشر؟ فطمأنها جبريل أن ذلك سيتم بمشيئة الله الذي يقول للشيء: كن. فيكون:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[2].

ويعلمنا القرآن أن مريم قد استسلمت لإرادة الله، وحملت بالمسيح

---

(1) سورة الإسراء: 85.

(2) سورة مريم: 16 ـ 21.

عليه السلام، واعتزلت الناس في مكان قصي، وحين جاءها المخاض خافت من الفضيحة، وفضلت أن تكون في عداد الأموات على أن تقف هذا الموقف المريب، ولكن الله ما كان ليتخلّى عنها، وما كان ليدَعَهَا تستسلم لضعفها ومخاوفها، فأنطق الطفل الوليد ليطمئن أمه أن الله سيرعاها، ويدافع عنها، وقد أجرى بجانبها نهراً ترتوي بمائه، وجعل قربها نخلة تأكل من ثمارها. وأخبر عيسى الوليد أمَّه أن تمسك عن الكلام حينما تتناوشها أسئلة المشككين لأنه سيتولى هو الإجابة، وسيدافع عن طهارة أمه، ويثبت براءتها وعفتها.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۞ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۞ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۞ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۞ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[1].

ويقص علينا القرآن أن مريم البتول الطاهرة حملت وليدها، وجاءت إلى قومها فانتابتهم الدهشة واستولى عليهم العجب، وبدأت تتلاعب بهم الشكوك والريب، فأشارت إلى الطفل فانطلق لسانه بإذن القويّ القادر، الحكيم الخبير يعلن أنه وُلِدَ بإرادة الله وأنه عبد الله، ورسول المستقبل، وأنه مأمور بالصلاة والزكاة ومكارم الأخلاق. وبهذه المعجزة أدرك القوم أن الأمر من ترتيب السماء، وأن مريم كانت وظلت آيةً في العفة والطهارة، وقمةً في الاستقامة والفضيلة.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۞ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ

(1) سورة مريم: 22 ـ 26.

﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا * وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا * وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[1].

أحباب الله:

لقد نزل القرآن ليجليَ صورة المسيح الحقيقية ويقول الكلمة الفاصلة بشأنه: فهو في القرآن عبد الله ورسوله:

﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾[2]، ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ...﴾[3]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ...﴾[4].

وهو في القرآن بشر مخلوق كسائر الناس من تراب الأرض ونفخة من روح الله:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[5].

وهو في القرآن كلمة الله وروح منه. وكلمة الله هي كلمة كن التي خلق الله بها المسيح، وروح من الله أي نفخة من روح الله. والبشر جميعاً خلقوا بكلمة كن وبنفخة من روح الله:

(1) سورة مريم: 27 ـ 33.
(2) سورة مريم: 30.
(3) سورة النساء: 172.
(4) سورة الزخرف: 59.
(5) سورة آل عمران: 59.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾(1).

وهو في القرآن مبارك، ووجيه في الدنيا والآخرة، ومن المقربين.

وهو في القرآن آية من آيات قدرة الله ورحمة من عنده.

وهو في القرآن يموت ويُبعث كسائر الناس:

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾(2).

ليس المسيح في القرآن إلهاً لأن طبيعة الله تخالف طبيعة البشر:

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾(3).

ليس المسيح في القرآن ابناً لله، لأن الله متصف بصفات الكمال منزه عن النقص والحاجة، لا يحتاج لابن يعينه في الخلق، أو يهون له أمر المغفرة.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(4).

﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ

---

(1) سورة النساء: 171.

(2) سورة مريم: 33.

(3) سورة الشورى: 11.

(4) سورة مريم: 35.

﴿ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1].

كان المسيح يأكل ويشرب، ويجوع ويظمأ، وينام ويسهو، ويتألم ويمرض، ويجهل وينسى، والله منزه عن ذلك:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ. . .﴾[2].

كان المسيح يصوم ويصلي، فإذا كان إلهاً ـ كما يظن النصارى ـ فلمن كان يصلي ويصوم؟!

إخوة الإسلام:

إن رسالة المسيح في القرآن حلقة في سلسلة الرسالات السماوية التي حملت دين الله الواحد، دين الإسلام إلى الأمم والشعوب.

جاء المسيح عليه السلام ليدعوَ الناس إلى عبادة الله الواحد الذي لم يلد ولم يولد، والذي لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليٌّ من الذل. وجاء المسيح ليدعوَ الناس إلى العمل الصالح والإيمان باليوم الآخر: اسمعوا معي ماذا قال المسيح لقومه:

﴿. . . وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[3].

ويسجل القرآن أن الله عزّ وعلا سوف يحاسب عيسى على رؤوس الخلائق يوم القيامة، ويستجوبه ـ وهو أعلم ـ عما ادَّعاه النصارى من بنوته لله. ويؤكد القرآن أن عيسى عليه السلام سيتبرأ من هذه الدعوى، ويدين القائلين بها، ويعلن عبوديته لله أمام الخلائق:

---

(1) سورة المائدة: 75.

(2) سورة البقرة: 255.

(3) سورة المائدة: 72.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

جاء المسيح لهداية خراف بني إسرائيل الضالة، وتعليمهم مبادىء المحبة والتسامح والرحمة والتواضع، وتبشيرهم ببعثة محمد ﷺ:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[2].

نعم - إخوةَ الإسلام - لقد جاء المسيح لبني إسرائيل بالمعجزات الباهرة والآيات الخارقة التي تؤيد رسالته، وتثبت نبوته: فتكلم في المهد بإذن الله، ونفخ الروح في الجماد بإذن الله، وأحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأخبر قومه بالأمور الغيبية، وأنزل المائدة من السماء بإذن الله، ولكن أنَّى لنفوس اليهود العصية أن تتعظ؟ وأنَّى لقلوبهم القاسية التي أُشرِبَتِ العجل أن تَرِقَّ؟

وأنَّى لعقولهم التي أعماها الكبر والتعصب أن تتدبر؟

وأنَّى لضمائرهم التي أماتها الهوى والطمع أن تستيقظ؟

وأنَّى لعيونهم التي أعماها بريق الذهب أن تبصر؟

---

(1) سورة المائدة: 116 - 117.

(2) سورة الصف: 6.

وأنّى لآذانهم التي أصمّها صريف الدينار أن تسمع؟

لقد أنكر اليهود رسالة المسيح وتآمروا على قتله، ولفقوا له التهم، ووشوا به إلى الرومان الوثنيين، واستدروا منهم قراراً بصلبه، ولكن الله ردَّ كيدَهم إلى نحرهم، وخيّب آمالهم، وأبطل كيدهم، ونجّى عبده المسيح ورفعه إليه:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

إخوة الإيمان:

لقد جاء المسيح ليعلِّمَنا الاستقامة في السر والعلن، والعفو والتسامح، ورحمة الضعفاء، ومواساة الحزانى، وحب القريب والبعيد، واحترام كرامة الإنسان.

جاء المسيح ليعلِّمَنا أن الذين يرثون ملكوت السماوات هم الذين يطعمون الجائع، ويسقون العطشان، ويؤوون الغريب، ويكسون العريان، ويعودون المريض، ويتفقدون المحبوس.

جاء ليعلِّمَنا أن ندَّخر كنوزنا في السماء، ونؤثر الآخرة على الدنيا.

جاء ليعلِّمَنا أن نعمل المعروف لوجه الله ولا ننتظر جزاءً ولا شكوراً.

جاء ليعلِّمَنا أن الإنسان هالك إذا ربح العالَم، وخسر نفسه.

وإن ذكرى مولد المسيح عليه السلام ما جُعِلَتْ من أجل اللهو، وممارسة ألوان الفساد والفاحشة، وما جُعِلَتْ من أجل شرب الخمور،

---

(1) سورة النساء: 157 ـ 158.

وفقدان الوعي، وإنما جُعِلَتْ من أجل الذكرى والعظة، ومحاسبة النفس، ومراجعة الضمير، وجُعِلَتْ كي نستعرض تعاليم المسيح، ونتذكَّرَ أعماله المجيدة، وأخلاقَهُ الرفيعة كي نتأسَّى به ونسير على خطاه.

وما أجدرنا أن نعود إلى هذه التعاليم، ونعمل بتلك الوصايا، وما أجدر إخواننا النصارى بالعودة إلى رسالة المسيح الحقيقية.. رسالة التوحيد، وما أجدرهم بسماع قول الله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].



(1) سورة آل عمران: 64.

﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾

اللّهُ أكبرُ ما كبّرَ المكبرون.

اللّهُ أكبرُ ما ذكرَ الذاكرون.

اللّهُ أكبرُ ما صام الصائمون.

اللّهُ أكبرُ ما قامَ القائمون.

اللّهُ أكبرُ ما زكّى المزكُّون.

اللّهُ أكبرُ ما جاهدَ المجاهدون.

اللّهُ أكبرُ، الله أكبر، ولله الحمد.

الله أكبرُ كبيراً، والحمدُ لله كثيراً، وسبحانَ اللّهِ وبحمدِهِ بُكرةً وأصيلاً.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده وليُّ المتقين، ومجازي المحسنين بأحسنِ الذي كانوا يعملون. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه خاتمُ الأنبياء والمرسلين والمبعوثُ رحمةً للعالمين اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى أتباعه إلى يومِ الدين.

أيها المؤمنون:

ها قد انقضى رمضانُ المبارك، وفارقَنا حاملاً مَعَهُ صحائفَ أعمالِنا التي نرجو أن تكونَ قد حفلت بالطاعات، وازدحمت بالحسنات، وأرضت عنا ربَّ الكائنات.

وها قد أقبلَ علينا عيدُ الفطر المبارك، عيدُ الجائزة، عيدُ الأجر،

عيدُ الثواب، عيدُ المغفرة، عيدُ الرضوان، عيدُ الرحمة، عيدُ النعيم، عيدُ الصائمين، عيدُ القائمين، عيدُ المزكِّين، عيدُ الطائعين.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ * وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[1].

يقولُ الرسولُ ﷺ: **«إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا: اغدوا يا معشرَ المسلمين إلى ربٍّ كريم، يمنُّ بالخير، ثمَّ يثيبُ عليه الجزيل. لقد أُمِرْتُم بصيامِ النهارِ فصمتم، وأُمِرْتُم بقيام الليلِ فقمتم وأطعتم ربَّكم فاقبضوا جوائزكم. فإذا صلوا نادى منادٍ: ألا إن ربَّكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم. فهو يوم الجائزة ويُسمَّى ذلك اليوم في السماء يومَ الجائزة»**.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

هذا يومُ الفرحِ بالقيامِ بالواجب، ويومُ الفرحِ براحة الضمير، ويومُ الفرحِ بالشعور برضوان الله.

هذا يومُ الفرحِ بقوةِ الإِرادة، وشدةِ العزيمة، ومجاهدة الشهوة.

هذا يومُ الفرحِ بانتصارِ الطاعة على المعصية، والحسنة على السيئة، والبرِّ على الخطيئة.

هذا يوم الفرح بانتصار الجود على الشُّح، والعفوِ على حبِّ الانتقام، والصلة على القطيعة، والحبِّ على الكراهية.

هذا يوم الفرح بانتصار النفس على الشيطان، وانتصار الروح على قبضة الطين.

---

(1) سورة الزمر: 73 ـ 74.

هذا يومُ الفرح بحسنِ الجزاءِ الذي يدَّخُره اللّهُ للصائمين الطائعين. يقول الرسولُ ﷺ: **«للصائم فرحتان فرحةٌ عندَ فطره وفرحةٌ عندَ لقاء ربه»**.

فيا هناءه من صام رمضان، ويا سعادة من قام لياليه، ويا هناءة من أكثرَ فيه من تلاوة القرآن وذكرِ الرحمن، ويا سعادة من ضاعف فيه العملَ الصالح، وضاعف فيه الصلة والصدقة، وضاعف فيه البرَّ والإحسان.

يقول الرسولُ ﷺ: **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»**. فهنيئاً لكم ـ أيها المؤمنون ـ مغفرة الله، وهنيئاً لكم رضوان الله.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

هذا يومُ الصلة، يومُ المحبة، يومُ المودة، يومُ التكافل، يومُ التراحم، يوم العفو، يومُ الصلح، يومُ التزاور. وحريٌّ بنا في هذا اليوم أن ننسى أحقادَنا، وننسى خلافاتِنا، ونصفّيَ قلوبَنا، ونتصالحَ مع إخواننا وأقربائنا، ونزورَ جيرانَنا وأرحامَنا، ونتبادلَ معهم التهاني، وندخلَ البهجةَ إلى قلوبِ الناس، وننشرَ الفرحَ في كُلِّ مكان.

وجديرٌ بنا في هذا اليوم أن نتفقدَ الأراملَ، ونغدقَ المحبةَ والعطفَ على الأيتام وأبناءِ الشهداء، ونوسعَ على الفقراء والمساكين حتى يتمتعوا بالعيد ويشعروا بفرحة العيد. وخليقٌ بنا في هذا اليوم أن نمسحَ دموعَ المحزونين، ونواسي المصابين، ونعودَ المرضى، ونزورَ المساجين، ونفرِّج كربةَ المكروبين.

يقول الحبيبُ المصطفى محمد ﷺ: **«مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تَدَاعَى له سائرُ الأعضاء بالسهر والحمَّى»**. ويقول صلواتُ الله عليه وسلامه: **«من نَفَّسَ عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نَفَّسَ الله عنه كربةً من كرب يومِ القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، واللّهُ في عونِ العبد ما دامَ العبدُ في عونِ أخيه»**.

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر.

هذا يومُ الحمد، هذا يومُ الشكر، هذا يومُ الذكر. وجديرٌ بنا في هذا اليوم أن نشكرَالله على نعمه التي لا تُعَدُّ ولا تحصى:

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ . . .﴾[1].

خليقٌ بنا في هذا اليوم أن نحمدَ الله على نعمة الإسلام، ونعمةِ الإيمان، ونعمة بعثة محمدٍ عليه الصلاة والسلام، ونعمة تنزيل القرآن. حريٌّ بنا في هذا اليوم أن نشكر اللّهَ على شرعةِ الصيام التي جعلها فرصةً للتطهر من الذنوب والآثام، والفوز بالمغفرة ودار السلام.

جديرٌ بنا في هذا اليوم أن نحمدَ الله الذي أعاننا على الصيام، وقوّانا على القيام، وأغنانا لنؤدّيَ الزكاة، وأعاننا على الطاعات، ووعدنا عليها أعظم الجزاء، وما كنا نهتدى لولا أن هدانا الله. وما كنا لنصومَ لولا أن أعاننا الله، وما كنا لنزكّيَ لولا أن أغنانا الله.

يقول الله عز وجل بعد أن ذكر الصيام، وأوجبه على أمة الإسلام:

﴿. . . وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2].

اللهم إنا أصبحنا منك في نعمةٍ وعافيةٍ وستر فأَتِمّ نعمتك علينا وعافيتَك وسترَك في الدنيا والآخرة.

اللهم ما أصبح بنا من نعمة أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر.

اللهم أنت ربُنا لا إلَه إلا أنت، خلقتنا ونحن عبيدك ونحن على عهدك ووعدك ما استطعنا، نعوذ بك من شر ما صنعنا، نبوء لك بنعمتك علينا، ونبوء بذنوبنا فاغفر لنا فإنه لا يغفر الذنوب إلاً أنت.

---

(1) سورة إبراهيم: 34.

(2) سورة البقرة: 185.

اللهم ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السماوات والأرض وما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد أهلَ الثناء والمجد، أحق ما قال العبد ـ وكلنا لك عبد ـ: لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذاالجَد منك الجَد.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

هذا يوم التكبير، يومُ التمجيد، يومُ التسبيح.

ملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يهتفون بالنداء الخالد: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ومعهم تكبِّر الملائكة، ومعهم تكبِّر الكائنات، ومعهم يكبِّرُ الوجود:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(1).

ملايين المسلمين أسودهم وأبيضهم، عربهم وعجمهم، أصفرهم وأحمرهم، صغيرهم وكبيرهم يهتفون بنداء الإسلام: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. مؤكدِّين أن أمة الإسلام واحدة: ربُّها واحد، ودينُها واحد، وكتابُها واحد، وقبلتُها واحدة، وغايتُها واحدة:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾(2).

ملايين المسلمين في أرجاء الأرض يهتفون: الله أكبر، الله أكبر، مؤكِّدين أن المؤمنين إخوة، وأن الحدود بينهم مصطنعة وضعها الاستعمار وكرّسها أذنابُ الاستعمار، وسوف تتلاشى طال الزمن أم قصر أمام زحوف الجماهير.

ملايين المسلمين يهتفون: الله أكبر من كلِّ كبير، الله أكبر من المعتدين، الله أكبر من الظالمين، الله أكبر من الطغاة، الله أكبر من أمريكا،

---

(1) سورة الإسراء: 44.

(2) سورة الأنبياء: 92.

الله أكبر من قوى الشر والفساد، الله أكبرُ من الصهاينة. والنصرُ في نهاية المطاف للمظلومين، والنصر للمضطهدين، والنصر للمكافحين، و النصر للمجاهدين:

﴿... فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ * لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ * مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[1].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

لقد انقضى رمضان، وليسَ معنى ذلك أن ننفلّتَ من فرائض الدين وندعَ الصلاة والعبادة، ونعودَ إلى المعاصي والموبقات وكأنَّ اللّهَ حاضرٌ في رمضان غائب فيما سواه. إن ربَّ رمضان هو ربُّ شوال، وربُّ سائر الشهور، ونحن عبيدُ الله في رمضان وغيره. واللّهُ في كلّ حين يستحق أن يطاعَ فلا يُعْصَى، ويستأهل أن يُذْكَرُ فلا يُنْسَى، ويستحق أن يُشكَرَ ولا يُكْفر.

ولا يليق بنا ـ أحبابَ الله ـ أن نطيعَ اللّهَ في رمضان ونعصيَه في بقيةِ الشهور بينما نعمُهُ تتدفقُ علينا آناءَ الليل وأطرافَ النهار:

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2].

لا بشيءٍ من نعمك ربّنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر. إن الهدف من الصيام هو زرع التقوى في القلوب، وإصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق، والتوبة عن المعاصي، والاستقامة على الطاعات، وابتداء عهد جديد في حياة المسلم. ولذلك فإننا ينبغي أن نحافظ على تقوى رمضان، وروحانية رمضان، وعبادة رمضان، وصدقة رمضان، وصلة رمضان، وإحسان رمضان، وأخلاق رمضان.

---

(1) سورة آل عمران: 195 ـ 197.

(2) سورة الرحمن: 60 ـ 61.

واللّهُ عز وجل يريد منا الاستقامة على العبادات، والمداومة على الطاعات، والمسارعة في الخيرات. وبهذه الاستقامة نسعدُ في الدنيا ونفوز في الآخرة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ * نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾[1].

فعاهِدُوا الله على الاستقامة، وعاهِدُوا الله على التوبة عسى ربُّكم أن يكفِّر عنكم سيئاتكم ويدخلَكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

لقد رحلتَ عنا يا شهرَ الصوم، ولكن هل تسامح يا رمضان أقواماً ما يزالون يصرون على استبعادِ شريعةِ الله والحكم بشريعة الطاغوت؟

هل تسامحُ يا رمضان أقواماً ما يزالون يحلُّون الحرام ويحرِّمون الحلال؟

هل تسامحُ يا رمضان أقواماً يستأثرون بالثروات، ويتمتعون بمباهج الحياة بينما يسقط إخوانهم صرعَى الفقر والمرض والجوع؟

هل تسامحُ يا رمضان أقواماً يلتحفون الحرير، ويفترشون الوثير، بينما إخوانهم يفترشون شوك الأرض، ويلتحفون إعصار السماء؟

هل تسامحُ يا رمضان أقواماً يخنقون الحرية، ويغتالون العدالة، ويقتلون المساواة؟

هل تسامحُ يا رمضان أقواماً يوالون أعداء الله ويحاربون أولياءَ الله؟

(1) سورة فصلت: 30 ـ 32.

هل تسامحُ يا رمضان أقواماً يصرون على التجزئة والإقليمية، ويصرون على تقطيع أوصال الأمة وإضعاف شوكتها؟

هل تسامحُ يا رمضان أقواماً قعدوا عن الجهاد في سبيل الله وتركوا أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى خاتم الأنبياء والمرسلين تدنسه حثالات الشعوب، وشذذ الآفاق من قَتَلَةِ الأنبياء وأعداء الرسالات، وأبناء الأفاعي.

هل تسامحُ يا رمضان أقواماً تركوا الجهادَ في سبيل الله وعندهم صواريخُ وعندهم طيارات، وعندهم دبابات، وعندهم جيوش جرارة، بينما يقاتل أطفالُ فلسطين بالحجارة والزجاج والعصيِّ والفؤوس والسكاكين؟

هل تسامحُ يا رمضان أقواماً وقفوا مكتوفي الأيدي يتفرّجون على إخوانهم في الأرض المحتلة وهم يُذْبَحَونَ، ويُضربون، ويُسجنون، ويُقتلون ويُعذَّبون وكأن الأمر لا يعني المسلمين؟!.

هل تسامحُ يا رمضان أقواماً ما يزالون يصرون على إغلاق الحدود أمام المقاتلين الذين يريدون تحرير أرضهم والعودة إلى ديارهم واسترداد حقهم؟

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

تحيةَ إكبار وإجلال لكم يا أهلَنا في الأرض المحتلة، يا من قرنتم الصيام بالكفاح، وأحييتم أمجاد بدر والفتح المبين.

تحيةَ إكبار وإجلال لكم يا أهلَنا في الأرض المحتلة، يا من صمتم عن الخوف، وصمتم عن الذل، وصمتم عن الاستكانة، وصمتم عن الاستسلام.

تحيةَ إكبار وإجلال لكم أيها المرابطون في أرض الإسراء، المتشبثون بالأرض المقدسة المباركة، المدافعون عن طهارة المسجد الأقصى.

كُلُّ عام وجهادكم بخير، كلُّ عام وكفاحكم بخير، كُلُّ عام وحجارتكم بخير. والمجدُ لكم، والشرفُ لكم، والنصرُ حليفكم واللّهُ معكم.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

كل عام وأنتم بخير وتقبّل اللّهُ منا ومنكم.



(1) سورة آل عمران: 139.

﴿... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً.

الله أكبر ما كبر المكبِّرون، الله أكبر ما لبَّى الملبون، الله أكبر ما طاف الطائفون، الله أكبر ما ضحَّى المضحون، الله أكبر ما جاهد المجاهدون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين، والمبعوث رحمة للعالمين. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

إخوة الإسلام:

هذا يوم عظيم من أيام الله يهلُّ علينا بالخير والبركة.

هذا يوم الأضحى يقبل علينا بالفرح والبهجة.

هذا يوم الصلة، يوم المودَّة، يوم التسامح.

هذا يوم تتصافح فيه الأيدي، وتتصافى فيه القلوب، ويتواصل فيه المتقاطعون، ويتصالح فيه المتخاصمون، وتنمحي فيه العداوات، وتزول معه النزاعات، وتلتئم فيه الجراح، وتعم بمقدمه الأفراح.

هذا يوم يستجيب فيه المؤمنون لنداء الحي القيوم:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]

فتسامحوا ـ عباد الله ـ وتصالحوا، وتوادُّوا، وتراحموا لتكونوا كما وصفكم ربكم تبارك وتعالى: ﴿...أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ...﴾[2]، ﴿...أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ...﴾[3]. ولتكونوا كما أرادكم نبيُّكم ﷺ: **«لا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً»**. واذكروا قول ربكم تبارك وتعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[4].

هذا يوم تتجلّى فيه مظاهر الأخوّةِ في الدين، ومظاهر التكافل الاجتماعي بين المؤمنين، ومظاهر البرّ والإحسان بين المسلمين، حيث يتزاور المسلمون ويتبادلون التهاني بهذه المناسبة الكريمة، ويشعرون أنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى، وأنهم كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً.

في هذا اليوم توصل الأرحام، وتكفكف دموع الأيتام، ويعاد المريض، ويزار السجين، ويوسّع على الفقراء، ويفرّج عن البؤساء.

فاتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، وآتوا المال على حبه ذوي

(1) سورة آل عمران: 133 ـ 134.
(2) سورة المائدة: 54.
(3) سورة الفتح: 29.
(4) سورة فصلت: 34 ـ 35.

القربى واليتامى والمساكين، ووسّعوا على الفقراء والمحتاجين، تبتهج بكم الأرض، وتفرح بكم السماء.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

في هذا اليوم العظيم يجتمع المسلمون صغاراً وكباراً، نساءً ورجالاً، في المصلى لأداء صلاة العيد، إحياءً لسُنَّة رسول الله ﷺ التي واظب عليها طيلة حياته، وطاعة لأمر الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ...﴾[1]. فرسولنا ﷺ كان يصلي العيدين في المصلَّى ليتَّسعَ للمسلمين كافة أو أكبر عدد ممكن منهم، وكان يأمر بمشاركة النساء في هذا المهرجان التوحيديِّ الجماهيريِّ العظيم حيث تقول أم عطية: «**أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرج العواتق «الأبكار» والحيَّض في العيدين، يشهدن الخير ودعوة المسلمين، ويعتزل الحُيَّضُ المصلَّى**».

وكان رسول الله ﷺ ذاته ـ وهو الأسوة والقدوة ـ يخرج نساءه وبناته في العيدين. وكان يعظ النساء ويذكِّرهن ويأمرهن بالصدقة.

وفي هذا المؤتمر الشعبي الكبير يجتمع المسلمون على طاعة الله، وعلى عبادة الله، وعلى حمد الله، يهتفون جميعاً بنداء واحد: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. فيشعرون بوحدة العقيدة، ووحدة الصف، ووحدة المشاعر.

ويشعرون بأُخُوَّةِ الإسلام، ووحدة المسلمين.

في هذا المؤتمر الجماهيري الكبير يؤكد المسلمون التزامهم بعقيدة التوحيد، واعتصامهم بكتاب الله، وتمسكهم بالشورى منهجاً في الحياة.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

هذا عيد الذكريات، هذا عيد العبر والعظات.

---

(1) سورة الحشر: 7.

هذا يوم مبارك يأتي كلَّ عام ليعلِّمنا درساً في التضحية والأخلاص، وما أحوجنا إلى التضحية والأخلاص.

هذا يوم يحمل إلينا ذكرى أبينا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، ويقص علينا قصة الوالد الذي أمره الله بذبح ولده الوحيد الذي رُزِقَ به بعد أن أصبح شيخاً كبيراً، ولده الذي رباه حتى أصبح شابًا يافعاً يملأ عليه حياته، ويسلي وحدته، ويبدِّد وحشته.

ومع ذلك يطيع الأبُ النبيُّ الحنيفُ القانتُ الصالحُ المسلمُ أمر الله دون تردُّد، دون لجلجة، دون سؤال، دون نقاش، فالله حكيم لا يصدر أمراً عبثاً، والله كريم لا يريد بعبده شرًا، والله عظيم لا يُسْأَلُ عما يفعل وهم يُسْألون.

يستسلم إبراهيم عليه السلام لأمر الله الواحد الديان، ويبلغ ابنه إسماعيل بهذا الأمر الرباني حتى يشاركه في طاعة الله بكلِّ طواعية واختيار فيقول:

﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ...﴾(1).

فماذا رأى النبيُّ ابنُ النبيِّ؟ وماذا أجاب ووالده يعرض عليه أن يستسلم للذبح؟ قال:

﴿...يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(2).

أخيال هذا أم حقيقة؟ أبشر هؤلاء أم ملائكة؟ لا - إخوة الإسلام - إنه الإيمان يصنع العجائب! ولكن الله لا يريد ظلماً للعباد، بل يريد أن يمحِّص القلوب، يريد استعداداً للتضحية، يريد إخلاصاً وصدقاً، فلما رأى ذلك من عبديه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فدى إسماعيل بذبح عظيم:

(1) سورة الصافات: 102.

(2) سورة الصافات: 102.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ * وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ * قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ * وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾[1].

ما أعظم الدرس، وما أجلّ العبرة: إن المسلم الحقّ هو الذي يستسلم لأمر الله.

إننا لن نكون مخلصين إلا إذا استعددنا للتضحية.

وإن الإسلام ليس مغانم، وليس بالتحلّي ولا بالتمنّي، وإنما هو جهاد وتضحية، صبر وثبات، امتحان وابتلاء.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

في هذا اليوم نذبح الأضاحي لنتذكر هذه المعاني، ونستلهم تلك الدروس، ونحيي ذكرى الفداء والتضحية، ونحيي سُنَّة رسول الله ﷺ التي لم يدعها أبداً.

في هذا اليوم نذبح الأضاحي شكراً لله على نعمة التي لا تُعَدُّ ولا تحصى، وتقرُّباً إلى الله الذي ينبغي أن يطاع ولا يعصى، وتضحيةً بالقليل في سبيل رحمة الله ومغفرته، ومشاركةً لحجاج بيت الله في طاعتهم لله وهم يذبحون الهدْيَ ويؤدُّون شعائر الحج، وتوسعةً على الأهل والأرحام، والأرامل والأيتام، والمساكين وأبناء السبيل. والله هو الغني، ونحن الفقراء المحتاجون إلى رحمته، والظامئون إلى مغفرته، والمتطلعون إلى جنَّاته.

﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ * لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ

(1) سورة الصافات: 103 ـ 107.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] والأضاحي التي نتقرب بها إلى الله ينبغي أن تكون طيبةً خاليةً من العيوب طاعةً لأمر الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ...﴾[2]، وينبغي أن تذبح بعد صلاة العيد، ويصح ذبحُها في أيام التشريق الثلاثة التالية في أي وقت.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[3] ويقول رسولنا محمد ﷺ: «**إن أول ما نبدأ به ويمنا هذا أن نصلّيَ، ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء**».

فضحوا عباد الله لتظفروا برحمة الله ومغفرته، وأطعموا القانع والمعتز لتفوزوا بالنعيم، وتخلدوا في دار السلام.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

هذا يوم عظيم تطهّرت فيه مشاعر الحج من المشركين، وتطهرت مناسكه من تقاليد الوثنيين التي كانت تسيء إلى حرمة أول بيت وُضِعَ للناس مباركاً وهدى للعالمين. في هذا اليوم الذي سمّاه الله في القرآن الكريم يوم الحج الأكبر، في يوم النحر من السنة التاسعة للهجرة أعلن الله براءته من المشركين:

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ...﴾[4].

---

(1) سورة الحج: 36 ـ 37.

(2) سورة البقرة: 267.

(3) سورة الكوثر: 2.

(4) سورة التوبة: 3.

وبعث رسول الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب ليعلن على الناس: لا يقرب البيتَ الحرامَ بعد هذا العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنةَ إلا مسلمٌ، وأن الله بريء من المشركين ورسوله.

وهكذا عاد البيت الحرام كما أراده الله رمزاتٌ للتوحيد ومثابةً للموحّدين. وحُقَّ ليوم تطهر فيه البيت الحرام من مظاهر الشرك والوثنية أن يكون يوم الحج الأكبر، وأن يكون يوم العيد الكبير.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

أيها المسلمون:

إذا كان عيد الفطر احتفالاً ببدء الرسالة المحمدية التي بدأت بنزول القرآن في شهر رمضان، فإن عيد الأضحى هو احتفال بإكمال الرسالة الخاتمة التي تمَّت يوم عرفة في حجة الوداع.. الحجة الأولى والأخيرة لخاتم الأنبياء محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. ففي ذلك اليوم التاريخي خطب رسولُ الله ﷺ خطبة الوداع، وأكد حرمة الدماء والأموال، وأمر بأداء الأمانة، ودعا إلى المفاصلة الحاسمة مع الجاهلية، وإلى التمسك بكتاب الله وسُنَّة النبي ﷺ، وأكد أن فيهما العصمةَ من الضلال، والنجاةَ من الانحراف، وشدد على أُخُوَّةِ الإسلام، ومساواة الإسلام، ووحدة الصف المسلم: **«وستلقون ربَّكم فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. اللهم هل بلغت اللهم فاشهد»**.

وبعد أن أوجز رسول الله لأمته دستور الإسلام نزل قوله تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا. . .﴾[1].

فتذكروا في هذا اليوم أن أحكام الدين قد كملت، وأن نعمة الهداية قد تمت، وأن الرسالات بمحمد ﷺ خُتِمَتْ، وأن الدين تامٌّ لا نقص فيه،

(1) سورة المائدة: 3.

معصومٌ لا خطأ فيه، رضيه الله للمسلمين، وجعل أتباعه من الفائزين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

في هذا اليوم يحتفل المسلمون بإتمام أهم مناسك الحج، وتغمرهم البهجة والسعادة لأن الله وفقهم لأداء هذه الفريضة ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات، ويفوزوا بمغفرة الله ورحمته، ويشاركوا في هذا المؤتمر الدوري الكبير، ويرسِّخوا دعائم وحدتهم وقوتهم، ويعلنوا تمسُّكَهم بعقيدة التوحيد، وإصرارهم على تحقيق العبودية لله في الأرض، هاتفين بكلِّ صدق وإخلاص: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

واليوم الذي يمر على المسلم ولم يعص الله فيه هو يوم عيد.

واليوم الذي يُتِمُّ فيه المسلم ركناً من أركان الإسلام هو يوم عيد.

واليوم الذي يُخْتَمُ رضوان الله وراحة الضمير هو يوم عيد.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

هذا يوم الشكر، هذا يوم الحمد، وما أكثر نعم الله التي تستأهل الشكر، وما أوسع عطايا الله التي تستحق الحمد.

في هذا اليوم يتوجه الحجيج بالشكر إلى الله الذي مكَّنهم من أداء فريضة الحج ليعودوا طاهرين من الذنوب كما ولدتهم أمهاتهم. ويشكره المضحون لأنه أغناهم، وأنعم عليهم، ومكنهم من التقرب إليه، والشعور بالطمأنينة في رحاب رضوانه. ويشكره اليتامى والفقراء والأرامل والمحرومون، لأنه جعل الأعياد مواسم للصلة والبر والإحسان. ويشكره كلُّ مسلم، لأنه جعل الأعياد مواسم للفرح، والسرور، وتجديد النشاط، وتقوية العزائم من أجل الانطلاق في مسيرة الطاعة من جديد، ومن أجل الاستعداد لمزيد من العطاء والبناء.

الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

الله أكبر، ما تضافرت الجهود لمواجهة اليهود.

الله أكبر ما رمى فلسطيني بحجر.

الله أكبر ما صمد المجاهدون في الأرض المقدسة.

الله أكبر، ما ثبت المدافعون عن عروبة الأقصى.

الله أكبر ما تضمخت أرض الإسراء بدماء الشهداء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ المتقين، وأشهد أن محمداً عبد ورسوله خاتمُ الأنبياء والمرسلين، اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى أتباعه إلى يوم الدين.

أيها المؤمنون:

في هذا اليوم يهتف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بالند الخالد الذي اختاره الله: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر من كلِّ كبير، ا أكبر من كلِّ جبار، الله أكبر من كلِّ ظالم، الله أكبر من كلِّ معتد أثيم، ا أكبر من أمريكا، والله أكبر من الصّهيونية، إنه نشيد واحد يتعالى هنا وهنا ليؤكد أن هذه الأمة واحدة، وأن الحدود التي بينها مصطنعة، وضع الاستعمار، وكرسها عملاء الاستعمار، وأنها زائلة في يوم من الأيام مه يطل الزمان، لأن الباطل ما له من قرار.

إنه نشيد العزة والكرامة، ونشيد الشموخ والإباء، ولو فَقُهْنَا معن هذه الكلمة لصغرت فيعيوننا قوى الاستكبار، وتقزّم أمامنا كلُّ متكبر جبار

ولو أن هذه الكلمة خرجت من قلوبنا، وعاشت في وجداننا وخالطت ضمائرنا، لتحولت إلى قوة جبارة تجتث الطغيان، وتده العدوان، وتحطم الحدود، وتكسر القيود:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

---

(1) سورة آل عمران: 139.

في هذا اليوم العظيم، ونحن نذبح الأضاحي، ونذكر كيف فرَّج الله على إبراهيم عليه السلام، وكيف أنقذ وَفَدَى إسماعيل عليه السلام، ينبغي أن تمتلي قلوبنا بالأمل، وينبغي أن نتذكر أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

ينبغي في هذا اليوم أن نطرد أشباح اليأس استجابةً لنداء الحق:

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

صحيح أن مشاكلنا كبيرة، وهزائمنا مريرة، وظروفنا قاسية، ولكن هذه الأمة تعرضت عبر تاريخها لنكبات كبيرة جدًّا، واستطاعت بفضل اعتصامها بدينها، وتمسكها بوحدتها، أن تخرج منها سالمة ظافرة وأن تحافظ على وجودها.

إن الأمة التي قهرت الصليبيين، والمغول، والتتار، وقوى الاستعمار الحديث، لقادرة اليوم أن تهزم العدوّ الصّهيونيّ إذا تمسكت بكتاب ربِّها، وسُنَّة نبيها، ووحدت صفوفها، والله وعدنا بالنصر وما علينا إلا أن نكون أدواتٍ لتحقيق هذا النصر:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2].

وها هم أهل الأرض المحتلة يحيون الأمل في الصدور، ويطردون اليأس الذي عشش في القلوب، ويؤكدون ـ بجهادهم وتضحياتهم

(1) سورة يوسف: 87.

(2) سورة النور: 55.

وحجارتهم وزجاجاتهم الحارقة التي تواجه أعتى الجيوش وأقوى أسلحة الدمار ـ أن الشعوب قد تضعف لكنها لا تستكين، وقد تنهزم ولكنها لا تستسلم، وقد تهدأ ولكنه الهدوء الذي يسبق العاصفة.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

عباد الله:

هذا عيد جديد، ما زال فيه الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين يستصرخ الثوار، وينتظر الأحرار، ليطهّروه من دنس الصهاينة.

هذا عيد جديد، ما زال فيه الشعب الفلسطيني يستصرخ ضمائر المسلمين لنصرته حتى يعود إلى أرضه.

هذا عيد جديد، ما زالت فيه كثير من الشعوب الإسلامية ترزح تحت نير الدكتاتورية والتسلط، وتتطلع فيه إلى اليوم الذي تستردُّ فيه حقَّها وسلطتها وإرادتها.

هذا عيد جديد، يهلُّ على المسلمين، وما زالت هناك شعوب إسلامية يخيمّ عليها شبح المجاعة، ويفتقر مواطنوها المسلمون إلى الغذاء، والكساء، والدواء، والمدرسة، والكتاب، والماء الصالح للشراب، ويتطلعون إلى إخوانهم المسلمين الذين أنعم الله عليهم ليعطوهم حقَّهم في مال الله:

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[1].

عيد يأتي، وأمتنا العربية ما تزال متفرقة، ضعيفة.

وعيدنا الحقيقي يوم تستعيد الشعوب الإسلامية حقوقَها، وتمارس سلطتها، ويوم تحقق الأمة العربية وحدتها، ويوم نستعيد فلسطين، ونرفع راية الإسلام فوق الأقصى من جديد، وما ذلك على الله بعزيز.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، وتقبل الله منا ومنكم وكل عام وأنتم بخير.

---

(1) سورة الإسراء: 26.

﴿. . . إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنا . . .﴾

الحمد لله الذي يتولّى الصالحين، ويدافع عن المؤمنين، ويعلي كلمة الحق والدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عصم رسوله من المشركين، وهيأ للإسلام النصر والتمكين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جاهد في الله حقَّ جهاده حتى بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، وأقام دولة الحق المبين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أتباعه الأنصار والمهاجرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المؤمنون:

لقد مكث رسولنا ﷺ ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو إلى عبادة الله الواحد القهار، يدعو إلى المساواة والعدالة، يدعو إلى الفضيلة والطهارة، يدعو إلى تحرير الإنسان من الخرافة والتقليد الأعمى والخضوع لغير الله، يدعو إلى البر والإحسان وعدم استغلال الإنسان لأخيه الإنسان. وبرغم وضوح الحق، وعظمة الرسالة، وسمو التعاليم، وعظمة الداعية، فإن قومه قابلوه بالتكذيب والإعراض، والهزء والسخرية، والأذى والاضطهاد، ولكنه مضى في طريق الدعوة صابراً محتسباً، ثابتاً صامداً، متوكلاً على الله، واثقاً بنصره، موقناً أن الله أرسله:

﴿. . . بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1].

---

(1) سورة الصف: 9.

وقوبل أصحاب رسول الله ﷺ بالأذى والاضطهاد، وتعرضوا للتعذيب والمطاردة وهم صابرون مصابرون، ثابتون على دين التوحيد، يرفعون أيديهم إلى السماء، يشكون بثهم وحزنهم إلى الله، ويدعون السميع المجيب:

﴿... رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[1].

وكان أحدهم يذهب إلى رسول الله ﷺ يستعجل النصر ويقول: ألا تستنصر لنا؟ فيجيبه الرسول عليه الصلاة والسلام: **«إن من كان قبلكم كان ينشر بالمنشار فلا يردُّه ذلك عن دينه»**.

وكان رسول الله ﷺ يمر بآل ياسر وهم يعذَّبون في بطحاء مكة فيقول: **«صبراً آلَ ياسر فإن موعدكم الجنة»**.

وبعد ثلاثة عشر عاماً من الكفاح والنضال، والآلام والمعاناة، والخوف والقلق، جاء الفرج من الله، وأسلم عشرات من الأوس والخزرج من أهل يثرب، وبايعوا رسول الله عليه الصلاة والسلام بيعة العقبة الثانية، وعاهدوه على حمايته ونصرته، وإيوائه وأصحابه والدفاع عن دعوة الإسلام مهما كانت التكاليف والتضحيات.

وهكذا أصبح لرسول الله ﷺ أعوان وأنصار خارج مكة وأصبح للمسلمين قاعدة آمنة يقيمون فيها دولة الإسلام، وينطلقون منها إلى العالم للتبشير برسالة الإسلام، فأمر رسولُ الله ﷺ أصحابه بالهجرة إلى يثرب ليساهم كلٌّ منهم في بناء الدولة النموذج التي تتطلع إليها البشرية فبدأ الصحابة يهاجرون سرًّا وعلانية، جماعات وفرادى ونزلوا على إخوانهم الأنصار الذين آووهم ونصروهم وشاطروهم أموالهم وبيوتهم. وجاء أبو بكر رضي الله عنه يستأذن رسول الله ﷺ بالهجرة فطلب منه الرسول التمهل قائلاً: **«على رسلك فإني أرجو أن يأذن الله لي»** فانتظر أبو بكر راجياً صحبة رسول الله ﷺ.

---

(1) سورة النساء: 75.

أيها المسلمون:

لما رأى المشركون أنه صار للإسلام قاعدة، وصار لرسول الله جند من الأنصار يقفون إلى جانبه، خافوا أن يخرج رسول الله من مكة وينضم إلى أتباعه وأنصاره ويقودهم لمحاربة قريش والقضاء على الوثنية، فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في الإثم والعدوان ماذا يصنعون بمحمد، فاقترح بعضهم نفيه، واقترح آخرون حبسه، وأجمعوا في نهاية المطاف على أن يأخذوا من كلِّ قبيلة فتى جلداً ويضربوا رسولَ الله ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في بطون قريش فلا يستطيع بنو هاشم أن يأخذوا بثأره ويقبلوا الدية.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[1].

يدبرون في الخفاء، والله يدبر في الخفاء، وتدبير الله يحبط تدبير الظالمين، ويمحق كيد الكافرين.

أطلع الله عبده محمداً ﷺ على مؤامرة قريش، وأمره بالهجرة إلى المدينة. وذهب رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وأبلغه بعزمه على الهجرة، ودعاه إلى صحبته، وأمر رسول الله ﷺ عليًا أن يتخلف بمكة ليعيد الأمانات والودائع لأصحابها من المشركين الذين كانوا يودعون عند رسول الله ﷺ أموالهم ونفائسهم لأنه الصادق الأمين، ويحاربونه بسبب الإسلام، هذا الدين الجديد الذي يخالف عقائد آبائهم وأجدادهم، ويخالف ما درجوا عليه من السلوك والعادات والتقاليد.

وأمر أبو بكر رضي الله عنه ولده عبد الله أن يحضر يوميًا إلى غار ثور مأوى النبي والصدِّيق ليحمل لهما أخبار قريش، وأمر راعيه عامر بن فهيرة أن يحضر كلَّ مساء بغنمه إلى الغار ليشرب الرسول وصاحبه من ألبانها ثم يغدو في الصباح بغنمه ليمحوَ آثار عبد الله.

---

(1) سورة الأنفال: 30.

وأخذ أبو بكر رضي الله عنه ماله كله لينفقه في سبيل الله، في سبيل نصرة دعوة الإسلام، وحينما سأل رسولُ الله ﷺ: **«يا أبا بكر ماذا أبقيتَ لعيالك»**؟ قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله.

وأمر رسول الله ﷺ عليًا أن ينام في فراشه ليوهم الكفار أنه في الدار بينما هو ينطلق بعيداً في طريق الهجرة.

واجتمع الشباب الذين أوكلت إليهم قريش مَهمّة اغتيال النور والحق عند باب رسول الله ﷺ فألقى الله عليهم سِنَةً من النوم، فخرج رسولُ الله ﷺ من بينهم وهو يقرأ قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1].

ورماهم رسول الله ﷺ بحفنة من التراب ليدركوا حين يستيقظون أن اللّهَ مع المؤمنين وأن دعوة الإسلام ماضية إلى النصر المبين.

وانطلق رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر إلى غار ثور. واستيقظ المشركون الذين كانوا يترصَّدون رسول الله بعد أن بلغ الرسول مأمنه، ودهشوا لهذا النوم الذي غشيهم، وهذا التراب الذي يعلو رؤوسهم، ونظروا فإذا رجل ما يزال ملتحفاً ببردة رسول الله، فاطمأنوا، وانتظروا طويلاً، ولما أعياهم الانتظار دفعوا الباب ورفعوا البردة فإذا هو عليٌّ بن أبي طالب فَجُنَّ جنونُهم وانطلقوا يبحثون عن رسول الله ﷺ في كلِّ اتجاه حتى وصلوا إلى فم الغار، ولما سمع أبو بكر رضي الله عنه وقع أقدامهم خاف على رسول الله ﷺ وقال: لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا، فأجابه حبيب الله: **«يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»**.

ويُروَى أن الله أوحى إلى العنكبوت أن يسدَّ باب الغار بخيوطه الدقيقة، وأوحى إلى الحمامة أن تبيض عند الباب، فلما رأى الكفار ذلك

---

(1) سورة يٓس: 9.

أيقنوا أن أحداً ما دخل الغار، وعادوا يجرُّون أذيال الخيبة والخذلان مهزومين بنسيج عنكبوت برغم أن أوهن البيوت بيت العنكبوت.

وأقام رسول الله وصاحبه ثلاثة أيام في الغار كان عبد الله بن أبي بكر يأتيهم خلالها بأخبار قريش، والراعي يأتيهم باللبن ويمحو آثار عبد الله.

وبعد ذلك لحق بهم رجل مشرك خبير بمسالك الصحراء يدعي عبد الله بن أرقط استأجره رسول الله ليدلَّه على طريق خفيٍّ يؤدِّي إلى المدينة، فانطلقوا جميعاً نحو دار الإسلام.

ولما وصل رسول الله ﷺ قباء أقام أول مسجد في الإسلام قال الله فيه:

﴿... لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[1].

وفي الثاني عشر من ربيع الأول وصل رسول الله ﷺ المدينة المنورة، وفرح المؤمنون بنصر الله، وأقاموا دولة الإسلام، وانطلقوا ينشرون الدين في أرجاء المعمورة.

عبادَ الله:

لقد كانت الهجرة منعطفاً كبيراً في تاريخ الدعوة الإسلامية، وانقلاباً عظيماً في أوضاع المسلمين، وانتقالاً من عهد الخوف إلى عهد الطمأنينة، ومن عهد الضعف إلى عهد القوة، ومن عهد الذلة إلى عهد العزة، ومن عهد القلة إلى عهد الكثرة، ومن عهد الضياع إلى عهد الدولة، ومن عهد الحصار في مكة إلى عهد الانفتاح والعالمية في المدينة.

لقد كانت الهجرة انتصاراً حقيقيًّا، بل كانت مفتاحاً لكلِّ الانتصارات التي جاءت بعدها. فلولا الهجرة ما كانت بدر، ولا الخندق، ولا حنين،

(1) سورة التوبة: 108.

ولا تبوك وما كان الفتح المبين. والقرآن ذاته اعتبر الهجرة انتصاراً في قوله تعالى:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(1).

ولم تكن الهجرة فراراً من الجهاد والتضحية، ولا ركوناً إلى القُعُود والدعة، ولا هروباً من التكاليف والمسؤوليات، بل كانت انتقالاً من جهاد إلى جهاد، ومن تضحية إلى تضحية، ومن ميدان معركة خاسرة إلى ميدان معركة منتصرة. وألقت الهجرة على عاتق المسلمين مسؤوليات أكبر، وتكاليف أعظم، إذ أصبح يجب عليهم في المدينة أن يواجهوا اليهود والمنافقين والمشركين، وأن يواجهوا القوى الكبرى في ذلك الحين.

إخوة الإيمان:

إن الهجرة تعلمنا أن العقيدة هي أثمن ما في الوجود، وفوق كلّ شيء ولا قيمة لشيء من متاع الدنيا طالما أن العقيدة مهدَّدة، وطالما يُحرَم الإنسان من ممارسة حقه في الاعتقاد وحقه في ممارسة العبادة.

ولقد أوجب الله علينا أن نضحيَ بكلّ شيء في سبيل أن تسلم لنا العقيدة، ويبقى لنا الدين. فالإسلام لا يرضى لأبنائه حياة الذل والهوان، ولا يرضى لهم الاستسلام للواقع الظالم. ولقد هدّد الله بأشد العذاب أولئك الذين يرضون حياة الذل، ولا يحاولون تغيير الواقع والانتقال إلى مواقع أفضل، ومجالات أرحب، يعيشون من خلالها بالإسلام وللإسلام، ويتحررون من الاستعباد والقهر:

---

(1) سورة التوبة: 40.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1].

لقد ترك المهاجرون في مكة أهلهم وعشيرتهم وأموالهم وهاجروا إلى الله ورسوله، هاجروا كي ينتصر الإسلام، وتعلوَ كلمة الواحد الديان.

وترك رسول الله ﷺ أحبَّ بلد إلى نفسه في سبيل العقيدة، وقد خرج من مكة وهو يقول: «**والله إنكِ خير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، والله لولا أن قومكِ أخرجوني منكِ ما خرجت**».

إخوةُ الإسلام:

حينما نتذكر الهجرة، ونرى رسول الله ﷺ يهاجر سرًا، ويختار دليلاً كفؤاً ماهراً برغم أنه مشرك، ويخطط لرحلته، ويحدد الغار الذي سيبيت فيه سلفاً، ويرسم لكلِّ شخص دوره بدقة، نتعلم كيف نُعِدُّ لكلِّ أمرٍ عُدَّتَه، وكيف نخطط قبل أن نعمل، وكيف نبني حياتنا على النظام، وكيف نحذر الأعداء، وكيف نُعِدُّ القوة لإحراز النصر.

وحينما نذكر موقف الأنصار من إخوانهم المهاجرين، حيث قاسموهم دُورَهم ومتاعهم وأموالهم، وواسوهم ونصروهم، وخففوا عنهم آلام الغربة، وأشعروهم أنهم في أرضهم وبين أهلهم، حينما نذكر موقف المحبة والإيثار والتضحية الذي سجله الله في كتابه العزيز حين قال:

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

---

(1) سورة النساء: 97.

(2) سورة الحشر: 9.

حينما نذكر هذا الموقف نتعلم كيف يقتضي إسلامنا إغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، ومواساة المحروم، وندرك كيف يكون حقًّا تحقيق قول رسول الله ﷺ: **«مثل السملمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»**.

وحينما نتذكر الهجرة ونرى المسلمين ينتصرون بعد كفاح مرير وجهاد طويل دام ثلاثة عشر عاماً نتعلم أن الأمم تنتصر بالكفاح، وأن الشعوب تنتصر بالتضحيات، وأن الفرج مع الكرب، وأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾(1).

وحينما نتذكر انتصار الهجرة ينتعش في قلوبنا الأمل بانتصار أمتنا على العدوّ الصّهيوني طالما أن هناك رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وطالما أن هناك نفوساً تتسابق إلى الاستشهاد، وتهفو إلى رضوان الله وجنات النعيم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾(2).

أيها الأحباب:

إن الهجرة في مفهومها الشامل ليست حركة مادية فحسب، وليست انتقالاً من مكان لآخر، بل هي موقف أخلاقي وعقديٌّ أيضاً. إنها هجرة القلوب إلى الله، وهجرة الجوارح إلى طاعة الله.

(1) سورة البقرة: 214.

(2) سورة الصافات: 171 ـ 173.

إنها هجران المنكرات وهجران المعاصي.

قال رسول الله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**».

إن الهجرة نوع من أنواع الجهاد، والهجرة في القرآن تقترن دائماً بالجهاد، فالمهاجرون لم يهاجروا فراراً من الجهاد بل إلى الجهاد.

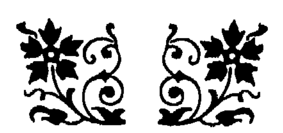
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۞ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[1].

وما أحوجنا اليوم، ونحن نواجه عدوًّا يخطط للاستيلاء على أرضنا والقضاء على عقيدتنا، أن نتشبث بالأرض وندافع عنها بكلّ ما نملك، ونجاهد حتى نرفع راية الإسلام ونعليَ كلمة الإيمان.

وهذا هو توجيه الله في القرآن:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾[2].

وهذا هو توجيه رسول الله ﷺ حين قال: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**».



(1) سورة التوبة: 20 ـ 21.

(2) سورة الأنفال: 15.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ. . .﴾

الحمد لله الذي نصرَ ببدرٍ عباده المؤمنين، وجعلها فرقاناً بين المسلمين والمشركين، وأحق فيها الحق وقطع دابر الكافرين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، نصرَ المسلمين وهم قلة، وأعزهم بعد ذلّة، وجعل لهم سلطاناً ودولة.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قاد أصحابه بالشورى إلى النصر المبين، وجعل لهم شرفاً وذكراً في العالمين. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أتباعه المجاهدين.

أيها المؤمنون:

حينما استقر المسلمون في المدينة، وبدؤوا يبنون دولة التوحيد والإيمان، ودولة العدل والسلام، ودولة التكافل والتراحم، ودولة المساواة والحرية، بدأت أحزاب الكفر والشرك تتربص بهم، وتتآمر عليهم، وتخطط للقضاء على دولتهم، والإجهاز على عقيدتهم التي تمنع العدوان، وتحرّم الاستغلال، وتنهى عن القهر والاستعباد، وترفض الوساطة والكهنوت.

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ * هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1].

---

(1) سورة التوبة: 32 ـ 33.

وهنا أذن الله تبارك وتعالى للمسلمين بالقتال دفعاً للظلم، وردًا للعدوان، وحماية لحرية العقيدة، وحرية الضمير.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

وأمر الله جلَّ وعلا عباده المؤمنين بإعداد العُدَّة، وتهيئة القوة لحماية الدين، وردع المعتدين:

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[2].

وفي العام الثاني للهجرة، وفي شهر رمضان، شهر الصبر والتقوى، شهر الجهاد والتضحيات، شهر القوة والبطولات، علم الرسول ﷺ أن قافلة كبيرة لقريش قادمة من الشام، تسير في طريقها إلى مكة، ويقودها أبو سفيان، فوجد الفرصة مؤاتية لمهاجمة القافلة، واسترداد ما استولت عليه قريش من أموال المسلمين المهاجرين، فاستنفر مَنْ حضر من أصحابه للخروج، ولم يستنفر كُلَّ جنده، لأنه قدَّر أن عدداً قليلاً منهم كافٍ للقيام بالمَهَمَّة. ولما علم أبو سفيان بخروج الرسول غَيَّرَ طريق القافلة، ونجح في الفرار وتجنب الصدام، وبعث إلى قريش مَن يستغيثها ويستنفرها لمواجهة المسلمين.

---

(1) سورة الحج: 39 ـ 40.

(2) سورة الأنفال: 60.

وهنا فترت همم بعض الصحابة، ومالوا إلى الرجوع إلى المدينة، فهم قد خرجوا لمواجهة العير ولم يخرجوا لمواجهة النفير، والعير قد فاتت، والنفير لا طاقة لهم به. ولكنَّ الرسولَ ﷺ أصَرَّ على متابعة السير حتى لا يظن الكفار أنه فرَّ من مواجهتهم، وكي لا يضعف معنويات المسلمين موقناً أن الله مع المؤمنين وأن الله ناصر المظلومين.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[1].

وخرج المشركون في ألف مقاتل، وبرغم نجاة القافلة فقد أصر أبو جهل على متابعة المسير ومواجهة المسلمين وهو يقول: والله لا نرجع حتى نرد بدراً، فنقيم ثلاثاً، وننحر الجزور، ونطعم الطعام ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا فلا يزالون يهابوننا أبداً.

إخوةُ الإسلام:

حينما علم الرسول ﷺ أن المشركين ألف مدججون بالسلاح بينما المسلمون ثلاثمئة وعُدَّتُهُمْ قليلة أيقن أن المعركة صعبة وحاسمة، يقف عليها مصير الدعوة الإسلامية. إذاً فلا بد من الشورى حتى يقرر المسلمون موقفهم، ويتحملوا مسؤوليتهم، فالأمر شورى بينهم، والقرار قرارهم..

«أشيروا عليَّ أيها الناس» هكذا خاطب الرسول أصحابه، وطلب رأيهم جميعاً، **فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر، فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك مَنْ دونه**

(1) سورة الأنفال: 7 ـ 8.

حتى تبلغه. فقال له الرسول خيراً ودعا له. ولم يكتف إلى الرسول بكلّ ذلك التأييد والحض على خوض المعركة. فهناك فريق لم يدل برأين بعد وهو الأنصار لذا ظل الرسول يقول: «أشيروا عليّ أيها الناس» فتنبه لمراد رسول الله ﷺ سعدُ بن معاذ زعيم الأنصار فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله. قال: أجل يا سعد. فقال سعد: لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك. فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منّا رجلٌ واحد. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً: إنا لصبرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك. فسر على بركة الله، وصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وعاد من شئت، وسالِم من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذتَ منا كان أحبّ إلينا مما تركت».

فَسُرّ رسول الله ﷺ بقولة سعد، وقال: «سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم».

ونزل الرسول ﷺ عند أول آبار بدر، وترك أمامه آباراً كثيرة يمكن أن يشرب منها المشركون. فتنبه لذلك الحباب بن المنذر فقال لرسول الله ﷺ: «أرأيت هذا المنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فأجاب رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». فقال الحباب: يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزل. امض بالناس حتى تأتيَ أدنى ماء من القوم فنعسكر فيه، ثم نغوِّر ما وراءه من الآبار، ثم نبني عليه حوضاً. فنملأه ماءً، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فاستجاب رسول الله ﷺ لرأي الحباب، وأمر بما أشار.

وكانت عين الله ترعى عباده المخلصين، فغشاهم النعاس ليشعروا بالسكينة والطمأنينة، وأنزل عليهم الغيث ليطمئنوا إلى عناية الله بهم ورعايتهم لهم:

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾(1).

إخوة الإيمان:

في صباح السابع عشر من رمضان وقف رسول الله ﷺ يتفقد رجاله، وينظم صفوفهم، ويحثهم على القتال والجهاد، وأخذ يستغيث بالله ويكثر الدعاء: «**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادُّك، وتكذِّب رسولك، اللهم أَحِنْهم الغداة، اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبدَ في الأرض أبداً، اللهم فنصرَك الذي وعدتني**».

وجعل الله عزّ وجلّ المشركين قلة في عيون المؤمنين ليطمئنوا إلى النصر، وجعل المؤمنين قلةً في عيون المشركين لينصرفوا عن الأهبة والاستعداد، وفي أثناء المعركة جعل الله المؤمنين كثرة في عيون المشركين ليزرع في قلوبهم الرعب:

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾(2).

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾(3).

---

(1) سورة الأنفال: 11.

(2) سورة الأنفال: 44.

(3) سورة آل عمران: 13.

ولما احتدمت المعركة أبلى المؤمنون أحسن البلاء، واستبسلوا أروع استبسال، وأنزل الله عليهم ملائكته يثبتون أقدامهم، ويقاتلون معهم:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[1].

وكان الرسول ﷺ طوال المعركة يحرض المؤمنين على القتال، ويحثهم على طلب الشهادة في سبيل الله ويقول: **«والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتَل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة، قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»**.

فقال عمير بن الحمام: **يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض! قال: نعم.** قال عمير: بخ بخ! فقال رسول الله ﷺ: **وما يحملك على قول بخ؟ فقال عمير: لا والله يا رسول الله إلاَّ رجاءَ أن أكون من أهلها. وكان معه تمرات يأكلها فألقاها وقال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة.**

وقاتل حتى نال الشهادة.

وكان النصر كما وعد الذي لا يخلف الميعاد من نصيب المؤمنين الصادقين، وانهزم الكفار وعادوا إلى مكة يجرُّون أذيال الخيبة والعار.

وأمر رسول الله ﷺ أن تلقى جثث الكفار في بئر من آبار بدر، وقام رسول الله ﷺ يخاطبهم ويناديهم بأسمائهم ويقول: **«إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟!». فقال عمر رضي الله عنه: أتكلم أجساداً لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».**

---

(1) سورة الأنفال: 12.

عبادَ الله:

لقد كانت معركة بدر ملحمة بطولية، وفرقاناً بين الحق والباطل، وعزًّا للإسلام وذلاً للشرك والأوثان.

لقد خرج المسلمون لمواجهة العير، وإحراز نصر صغير، ولكن الله هيأ لهم النفير، ونصرهم نصراً عزيزاً، يوطد أركان الإسلام، ويُحِقُّ الحقَّ، ويبطل الباطل:

﴿. . .وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[1].

لقد قاتل المسلمون في بدر لإعلاء كلمة الله، وقاتل الكفار للصدِّ عن سبيل الله ومن قاتل في سبيل الله انتصر، ومن قاتل في سبيل الشيطان انكسر:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[2].

لقد تسلح المؤمنون في بدر بسلاح العقيدة، سلاح الإيمان، سلاح التوكل على الله، سلاح الثقة بالله، فكان لهم النصر، وكان لهم الظفر:

﴿. . .إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[3].

لقد كان المسلمون في بدر قلة ولكن قلوبهم كانت عامرة بالإيمان، وكانت عُدَّتهم بسيطة ولكن كان معهم سلاح الحق. وكان الكفار كثرة ولكن قلوبهم خربة، وكانت عُدَّتهم كبيرة ولكنهم فقدوا القضية العادلة والغاية النبيلة. فنصر الله القلة المؤمنة لأن الله هو الحق، ولأن الله مع الحق:

---

(1) سورة آل عمران: 126.

(2) سورة النساء: 76.

(3) سورة محمد: 7.

﴿... كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

لقد كان نصر بدر ثمرة من ثمار الشورى، حيث قرر المسلمون خوض المعركة، وتحملوا مسؤولية القرار، فكان لهم الظفر والانتصار، والعز والفخار.

أيها الأحباب:

ما أحوجنا اليوم إلى بدر جديدة يُنصَف فيها المظلوم، ويُنصَر فيها الحق، ويُزهَق الباطل.

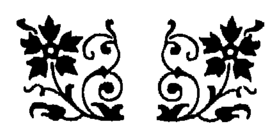
ما أحوجنا إلى بدر جديدة تعيد المشرَّد إلى أرضه، وتعيد الحق إلى نصابه.

ما أحوجنا إلى بدر جديدة تحرر الأقصى وتطهر الأرض المقدسة.

ما أحوجنا إلى بدر جديدة تنقذ الإنسانية من شرور الصّهيونية.

فتحيةً لكلِّ يد تساهم في صنع بدر الجديدة.

وتحيةً لكلِّ يد تساهم في بعث أمجاد الإسلام من جديد.



(1) سورة البقرة: 249.

﴿... حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾

الحمد لله الذي جعل عدة الشهور اثني عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض ليعرف الناس ماضيهم، ويذكروا تاريخهم، ويحققوا مصالحم، ويحفظوا حقوقهم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جاهد في الله حقَّ جهاده حتى بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن عمل بهديه وسار على دربه إلى يوم الدين.

إخوة الإيمان:

إن صيام رمضان جهاد للنفس، وانتصار على الشهوات، وتضحية بالملذات، وتدريب على الصبر على الشدائد والمكاره.

والذين ينجحون في مجاهدة أنفسهم ومقاومة شهواتهم يصبحون قادرين على الجهاد في سبيل الله والتضحية بالروح والمال حين ينادي المنادي: حيَّ على الجهاد.

والذين ينصرون الله على أنفسهم ينصرهم الله في ميدان القتال:

﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ...﴾[1].

---

(1) سورة محمد: 7.

إن رمضان مدرسة تُخرِّج أفواج المجاهدين الذين امتلأت قلوبهم بحب الله، والشوق إلى لقائه، وحب الموت في سبيله، ومنية الشهادة للفوز برضوانه ومغفرته.

والمجاهدون في رمضان يحصدون ثمار جهادهم في شوال وما بعد شوال ثباتاً وعزيمة، وصموداً وصلابة، وعزة وكرامة، وفتحاً ونصراً من الله القائل في كتابه الكريم:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

إخوة الإسلام:

حينما نستحضر سيرة المصطفى ﷺ وأصحابه رضوان الله عنهم نجد أنهم كانوا في شهر شوال يخرجون من جهاد النفس إلى جهاد الأعداء، ومن التضحية بالشهوات إلى التضحية بالأرواح والدماء. ففي شهر شوال كان للمسلمين ذكريات عزيزة، وانتصارات عظيمة تتأسّى بها الأجيال المؤمنة في الحاضر والمستقبل لتبعث أمجاد أمتها، وتحيي انتصاراتها، وتستعيد السليب من أرضها والمهدور من حقوقها.

ففي شهر شوال من السنة الثانية بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة كان لرسول الله وصحبه جولة مع يهود بني قينقاع الذين غاظهم انتصار المسلمين في بدر فبيَّتوا الغدرَ والخيانة، وأضمروا الحقدَ والضغينة، وانتهكوا حرمةَ امرأةٍ مسلمةٍ جاءت إلى سوقهم، وكشفوا عورتها، وضحكوا بها، فصاحت تطلب النجدةَ وتستصرخ الشهامةَ والمروءة، فلبى نداءَها مسلمٌ غيورٌ وقتل اليهودي الذي اعتدى عليها، فاجتمع اليهود على المسلم فقتلوه ونشبت الحرب بين المسلمين ويهود بني قينقاع الذين نقضوا العهد وبادروا بالعدوان.

لم يكن سيدنا محمد ﷺ يصبر على الضيم أو يرضى بالذل

(1) سورة العنكبوت: 69.

فحاصرهم حتى استسلموا ونزلوا على حكمه فأجلاهم عن المدينة وطهّره من رجس عدوانهم وشرّ خيانتهم.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[1].

أحباب الله:

وفي شهر شوال من السنة الثالثة بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وقعت معركة أحد التي أرادت قريش منها أن تثأر لهزيمتها في بدر، وانفقت الأموال في سبيل تجهيز جيش الكفر والطاغوت فقال فيهم رب العزة جل وعلا:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[2].

وكان رأي معظم الصحابة رضوان الله عنهم أن يخرج الرسول بهم للقاء العدو خارج المدينة، وكان أغلبهم من الشباب الذين فاتهم شرف الاشتراك في موقعة بدر، والذين قالوا لرسول الله ﷺ: «أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنّا جبنا عنهم وضعفنا». وخرج رسول الله ﷺ إلى أحد نزولاً عند رأي الأغلبية وتطبيقاً لقوله تعالى:

﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ...﴾[3].

وكان الصحابة رضوان الله عنهم تواقين إلى الشهادة، متحرّقين إلى لقاء الله.

---

(1) سورة آل عمران: 12.

(2) سورة الأنفال: 36.

(3) سورة الشورى: 38.

هذا عبد الله بن جحش يرفع يده إلى السماء قُبَيْلَ المعركة ويدعو الله قائلاً: «اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو غداً فيقتلوني، ويبقروا بطني، ويجدعوا أنفي، فتسألني، فيم ذلك؟. فأقول: فيك».

وبسبب هذا اليقين وذلك الروح المعنوي العالي كان النصر للمسلمين في بداية المعركة، ولكن مخالفة الرماة لأمر رسول الله ومفارقتهم لمواقعهم قَلَبَ ميزانَ المعركة وجعل الدائرة تدور على المسلمين. غير أن هذه الهزيمة لم تفتَّ في عضد المسلمين ولا حملتهم على الركوع والاستسلام بل تعالوا على جراحاتهم، وتساموا فوق مرارة الهزيمة، وجمعوا صفوفهم من جديد وانطلقوا إلى حمراء الأسد ليرهبوا كفار قريش حتى لا يعاودوا الكرَّةَ على المسلمين، وحتى يعلموا أن الهزيمة لا تعني النهاية. وفي هؤلاء الصحابة الذين قلبوا الهزيمة نصراً قال رب العزة جلَّ وعلا:

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۞ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[1].

أيها المؤمنون:

وفي شوال وبعد هجرة الرسول إلى المدينة بخمس سنوات كانت وقعة الخندق التي اجتمع فيها كفار قريش ومشركو العرب واليهود والمنافقون على حرب الرسول وأتباعه، وحاصروا المدينة وضيَّقوا عليها تضييقاً شديداً حتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وابْتُلِيَ المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديداً. ولما رأى الله منهم إخلاصاً وثباتاً، وصدقاً ويقيناً سلط على المشركين ريحاً شديدةً أطفأت نارهم، وقلبت قدورهم، وجعلت مقامهم جحيماً، فانسحبوا يجرُّون ذيول الخيبة والهزيمة:

---

(1) سورة آل عمران: 173 ـ 174.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾[1].

أيها المسلمون:

وفي شوال من السنة الثامنة بعد الهجرة النبوية إلى المدينة كانت موقعة حنين حيث اجتمعت هوازن وثقيف على حرب المسلمين بعد فتح مكة فسار إليهم رسول الله ﷺ، واغترَّ بعض المسلمين بقوتهم وكثرة عددهم وقالوا: «لن نغلب اليوم من قلة» ففاجأهم جنود هوازن وثقيف الذين كانوا يكمنون في الشعاب فتراجع المسلمون وتفرّقوا ولم يثبت مع رسول الله إلا القليل فأخذ يناديهم: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**» فعادوا إلى ساحة القتال وقاتلوا قتال الرجال، وانهزم المشركون وفاز المسلمون بالنصر:

﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

عباد الله:

وفي شوال من السنة الرابعة لوفاة الرسول ﷺ كانت معركة القادسية التي انتصر فيها المسلمون على الفرس برغم أن الفرس كانوا ثلاثين ألفاً بينما كان المسلمون ثمانية آلاف فقط، ونصر القادسية فتح الطريق أمام

(1) سورة الأحزاب: 9.

(2) سورة التوبة: 25 ـ 26.

السملمين ليدخلوا المدائن عاصمة الأكاسرة ويرفعوا فيها صوت الحق وراية الإسلام ويُخرِجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام، كما قال ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس.

يا أتباع محمد ﷺ:

في شهر شوال طرد رسولنا ﷺ اليهود من المدينة فهلاً طردنا فيه اليهود من فلسطين.

في شهر شوال قاتل رسولكم المعتدين، وأعزَّ الإسلام والمسلمين فهلاَّ أعلنَّا فيه الجهاد لنستردَّ حقوقنا ومقدساتنا ونستعيد عزتنا وكرامتنا.

تأسَّوْا برسولكم وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم لتحشروا تحت لوائه وتفوزوا بصحبته في جنات النعيم.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].



(1) سورة الأحزاب: 21.

﴿حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ. . .﴾

الحمدُ لله الذي أعزَّ المسلمين بالجهاد، وأمر برفعِ الظلم عن العباد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قامع المستبدين، وناصر المتقين. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حرر المستضعفين، وأنصف المظلومين. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى أتباعه المجاهدين.

أيها المسلمون:

يقولُ الحقُّ جلَّ وعلا:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

إن الله تبارك وتعالى ما أرسل الرسل ولا أنزل الكتب ولا شرع الشرائع إلا من أجل إحقاق الحق في الأرض وتحقيق العدل بين الناس. فالله عزَّ وجل ما خلق الإنسان ليُقْهَرَ من أخيه الإنسان، وما خلق الإنسانَ ليُظْلَمَ من أخيه الإنسان، وما خلق الإنسانَ ليُسْتَعْبَدَ من أخيه الإنسان، وما خلق الإنسان لِتُسْرَقَ حقوقُه من قِبَلِ أخيه الإنسان، وإنما خلق الإنسان ليعيش حرًا عزيزاً كريماً لا يطأطيء رأسه إلا لله الواحد القهار.

يقول الحق جلَّ وعلا:

(1) سورة الحديد: 25.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ...﴾[1].

وما أعظمَ جرمَ أولئك الذين يمتهنون كرامة الإنسان بعد أن كرمه الله، ويذلون الإنسان بعد أن أعزه الله، وينتقصون الإنسان بعد أن خلقه الله في أحسن تقويم.

إن الإسلام هو السلام بين الإنسان والإنسان، ولا سلام مع الظلم والقهر والغصب. يقول رسولُ الله ﷺ يقول الله تعالى: «يا عبادي إني حرَّمتُ الظلم على نفسي وجعلتُهُ بينكم محرماً فلا تظالموا».

والقرآن يقرر أن الظالمين ليس لهم عند الله عهد ولا ميثاق، ولا تأييد ولا نصرة، وبالتالي فلا عهد لهم عند العباد ولا ولاء ولا طاعة:

﴿...لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

والظالمون صائرون إلى الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة مهما طال الزمان، ومهما قويت شوكة الظلم والجور:

﴿...فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ * وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[3].

وكتاب الله الخالد يحرم الطغيان ويوجه المسلمين إلى عدم الركون للظالمين، وعدم الثقة بهم، وعدم الانسياق مع أهوائهم والسير في ركابهم،

(1) سورة الإسراء: 70.

(2) سورة البقرة: 124.

(3) سورة إبراهيم: 13 ـ 17.

وعدم موالاتهم ومساعدتهم على الظلم، ويقرّر القرآن أن أولئك الذين يوالون الظالمين لن يحصدوا إلا الخيبة والهزيمة:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[1].

والقرآن يحذر المسلمين من قبول الظلم والاستكانة للجور، ويهدد الخانعين المستسلمين مع قدرتهم على المقاومة والتغيير بالعذاب في الدنيا والآخرة:

﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2].

ويقول الرسول ﷺ: **«إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب منه»**.

والقرآن يدعو إلى شهر السلاح في وجه الظالمين المعتدين على حقوق الخلق، ويحث على القتال من أجل رفع الظلم عن المستضعفين في الأرض:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[3].

---

(1) سورة هود: 112 ـ 113.

(2) سورة الأنفال: 25.

(3) سورة النساء: 75.

أيها المؤمنون:

لقد جاء الإسلام ليرفع الظلم عن كاهل الناس، ويزيل كلَّ القوى الظالمة المتسلطة التي تجثم على صدورهم، وتسرق حقوقهم، وتتحكم في رقابهم.

جاء الإسلام ليضع أسس العدل، ويرسم طرقه التي تنصف المظلوم، وتضرب على يد الظالم، وتحفظ حقوق العباد، وتؤمِّن لهم حياة الطمأنينة والسلام:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ. . .﴾[1].

تذكر كتب التاريخ أنه حينما سأل رستم قائد الفرس في معركة القادسية ربعيَّ بن عامر الجنديَّ المسلم: ما الذي جاء بكم؟ أجاب ربعي: «ابتعثنا الله لنخرج الناسَ من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

جاء الإسلام ليعيد السلطة المسروقة للجماهير ويجعل المال دُولَةً بين الناس، ويجعل أمور المجتمع شورى بينهم، ويقرر العدالة والمساواة والحرية للجميع.

جاء الإسلام ليقرِّر أن أولي الأمر لا قداسةَ لهم، ولا سلطةَ مستمدةً من السماء، ولا حقَّ لهم في فرض القوانين على الناس، أو التصرف في ثروة المجتمع، أو التمتع بامتيازات خاصة، بل هم مواطنون عاديون تختارهم الجماهير لتنفيذ إرادتها وخدمة مصالحها.

وفي ظل هذه التعاليم، وانطلاقاً من هذه المفاهيم يقول أبو بكر رضي الله عنه في خطبة توليته: **«أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم»**.

---

(1) سورة النساء: 58.

ويقول رجلٌ لعمر رضي الله عنه: «والله لو ملت برأسك هكذا ـ عن الحق ـ لملنا بسيوفنا هكذا».

ويقول عمر رضي الله عنه لعمرو بن العاص والي مصر حينما ضرب ولدُهُ القبطيَّ: **«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»**.

ولقد أباح الله للجماهير المسحوقة أن تلجأ إلى سلاح القوة لتستردَّ حقوقها، وترفع الظلم عن كاهلها، وتستعيد سيادتها وكرامتها، وتزيل القوى المتسلطة من طريقها، ولا لوم ولا تثريب على الجماهير في ذلك لأنها تمارس أمراً شرعه الله وأباحه كتاب الله، بل إن هذا السلوك هو علامة من علامات الإيمان كما ذكر الله تبارك وتعالى في سورة الشورى:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1].

وما أكثر الآيات التي تدعو المسلمين إلى الجهاد والقتال ومقاومة الطغيان منعاً للفتنة، ودحراً للشر والباطل:

﴿. . . فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ. . .﴾[2].

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ. . .﴾[3].

---

(1) سورة الشورى: 38 ـ 42.
(2) سورة الحجرات: 9.
(3) سورة الأنفال: 39.

ولقد بيَّن القرآن الكريم أية عقوبة تستوجبها القوى المستبدة المتسلطة التي تنشر الإرهاب والفساد في الأرض:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(1).

وما أكثر أحاديث المصطفى محمد ﷺ التي تدعو إلى تغيير المنكر بالقوة والأخذ على يد الظالمين وحسبنا قوله المشهور: «**من رأى منكم منكراً فليغيِّرْه بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**».

عبادَ الله:

لقد جاءت ثورة الفاتح الإسلامية لتضع حدًّا للظلم، وترسي دعائم العدل، ولتحقق أوامر القرآن ومقاصد شريعة القرآن.

لقد جاءت ثورة الفاتح الإسلامية لتضع حدًّا للاستهتار بإرادة الجماهير والتلاعب في ثروات الجماهير، والنيابة عن الجماهير، وسرقة سلطة الجماهير.

لقد جاءت ثورة الفاتح الإسلامية ليصبح الأمر شورى بين الناس، يرسمون سياسة بلادهم، ويقررون ما يصلح شأنهم، ويختارون ذوي الأمر منهم لينفذوا إرادتهم كما أراد لهم ربُّهم عزّ وجلّ:

﴿... وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ...﴾(2).

لقد جاءت ثورة الفاتح الإسلامية ليصبح المستضعَفون سادةً،

---

(1) سورة المائدة: 33.

(2) سورة الشورى: 28.

والمواطنون حكاماً، ويصبح الناس سواسيةً كأسنان المشط، لا سيد ولا مسود، ولا حاكم ولا محكوم، ولا شريف ولا وضيع، ولا كبير ولا حقير.

لقد جاءت ثورة الفاتح الإسلامية لوضع حدٍّ لموالاة أعداء الله والركون إلى قوى الظلم والاستكبار التي تريد أن تفرض الهيمنة على الشعوب، وتسرق خيراتها، وتغتصب إرادتها وحقوقها، وتوظفها لمصالحها وأهوائها.

وهكذا تطهرت أرض الجماهيرية من دنس القواعد الاستعمارية الأمريكية والبريطانية، وتخلّص الشعب الليبي من حراب الاستعمار التي كانت تحمي نظام الاستبداد البائد، ووضع حدًّا لاستخدام هذه القواعد لقهر الشعوب المكافحة، وبذلك اكتملت حرية الجماهير واكتمل استقلال البلاد.

جاءت ثورة الفاتح الإسلامية لتطهر البلادَ من بقايا المستعمرين الطليان الذين نهبوا خيرات الشعب وجعلوا أرض الجماهيرية مزرعة لهم. جاءت ثورة الفاتح الإسلامية لتنتقم من هؤلاء المستعمرين، وتثأر لدم الشهداء، وجراح الأيتام والأرامل.

جاءت ثورة الفاتح الإسلامية لتعيد للشعب ثروته المسلوبة التي كان يتقاسمها المستعمرون وعملاء الاستعمار من الحكام والسماسرة، ولتحوّل هذه الثورة إلى مزارع للفلاحين، وبيوت لائقة لساكني الخيام والأكواخ، ومدارس للأجيال الجديدة، وطرق حديثة، ومستشفيات عصرية، وسلاح متطور لحماية الحق وردع الباطل، وقلاع صناعية ضخمة، ومشاريع زراعية رائدة تحقق الاكتفاء الذاتي والاستقلال الاقتصادي الذي يصون حرية البلاد وكرامة العباد.

جاءت ثورة الفاتح الإسلامية لتقف مع المظلومين، وتساند المضطهدين، وتدعم الحق الفلسطيني، وترفض كلَّ الحلول الاستسلامية التي تفرط في الأرض العربية، وتنادي - بكلِّ إخلاص وإصرار - بتحرير كامل التراب الفلسطيني من النهر إلى البحر.

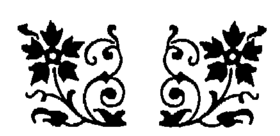
جاءت ثورة الفاتح الإسلامية لتوحيد الأقطار العربية وحشد إمكاناتها في سبيل تحقيق عزتها وسيادتها وقوتها، وفي سبيل الحفاظ على عقيدتها ووجودها في مواجهة المشروع الصِّهيوني الاستيطاني الذي يستهدف القضاء عليها، وفي مواجهة المشروع الاستعماري الذي يسعى لتركيعها وإذلالها.

جاءت ثورة الفاتح الإسلامية لتأخذ على عاتقها المضيَّ في دعوة الإسلام ونشره في العالم. والمساجد والمراكز الإسلامية والمدارس التي بنتها ثورة الفاتح الإسلامية في شتَّى أقطار العالم، والدعاة الذين تؤهلهم وترسلهم للدعوة والتبشير بالإسلام في شتى أنحاء المعمورة، والمصاحف والكتب الإسلامية التي توزعها في العالم، كلُّ ذلك شاهد واضح على التوجه الإسلامي لهذه الثورة المباركة.

جاءت ثورة الفاتح الإسلامية لتعمل على توحيد المسلمين، ورص صفوفهم في مواجهة أعداء الله المتربصين، واستنهاض هممهم لامتلاك أسباب القوة و العزة واستعادة أمجاد الإسلام.

جاءت ثورة الفاتح الإسلامية لتحمل لواء التغيير في العالم الإسلامي وتحيي الأمل في غدٍ أفضل، ومستقبلٍ واعدٍ بالحرية والعدالة والمساواة للبشرية جمعاء.

فتحيةً لثورة الفاتح الإسلامية في عيدها العظيم، وتحيةً لقائدها المسلم، وتحيةً للشعب العربي الليبي، ومزيداً من التقدم والعطاء من أجل انتصار الإسلام وعزة المسلمين، وكل عام وأنتم بخير.



﴿. . وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ. . . ﴾

الحمد للّهِ ناصرِ المظلومين، وقامعِ الطغاةِ الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا اللّهُ وحده لا شريك له أَمَرَ بردِّ كيدِ المعتدين، وصيانةِ الوطنِ والعرضِ والدين.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه قاوم الأشرارَ المفسدين، وأعز الإسلامَ والمسلمين. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أيها الأخوةُ المؤمنون في الخامس عشر من شهر الطير (إبريل) عام 1986 إفرنجي تعرض الشعبُ الليبيُّ المسلمُ لعدوان بربري غاشم ارتكبته الإدارةُ الأمريكيةِ الطاغية، حِربةُ الصليبية الجديدة، وراح ضحيتَهُ العشراتُ من الأطفال والنساء والشيوخ العزَّل الأبرياء، ودمرت بيوت المواطنين الآمنين ومرافق المجتمع العامة.

ترى ما الذنب الذي اقترفه هؤلاء المواطنون؟ وما الجريمة التي ارتكبوها حتى جاء جنود الشر والموت من وراء البحر ومن أقاصي الدنيا لإلقاء أطنان القنابل على رؤوسهم وهم نيام؟

ألأنهم قرروا أن يكون القرآنُ شريعةَ المجتمع وأن يكون الدينُ هاديَ الإنسان؟

ألأنهم قرروا أن يعيشوا سادةً أحراراً فوق أرضهم؟

ألأنهم تخلصوا من القواعد الاستعمارية التي كانت تتحكم في مصير بلادهم وتهدِّد أمنهم واستقلالهم؟

ألأنهم طردوا بقايا المستعمرين الذين أذاقوهم أبشعَ ألوان الذلِّ والهوان؟

ألأنهم أحيوا شورى الإسلام، وعدالةَ الإسلام؟

ألأنهم قرروا أن تكون السلطة بيد الشعب يقرر ما يشاء ويتحمل مسؤولية القرار؟

ألأنهم جعلوا الثروة دُولَةً بين الناس جميعاً فلا يستأثر بها جَشِعٌ ولا يحتكرها مستغِلٌّ يمتص دماء الفلاحين والعمال؟

ألأنهم يساندون الشعوبَ المضطهدة المكافحة من أجل الحرية؟

ألأنهم يدعون العالم الإسلاميَّ إلى النهوض من أجل بعث أمجاد الإسلام واستعادة دورهم القيادي الرائد؟

ألأنهم يدعون العرب إلى الوحدة والتضامن من أجل حماية الأرض العربية وصيانة حرية الوطن العربي؟

ألأنهم يرفضون الحلولَ الاستسلامية، ويأبون التفريطَ في الحق العربي ويدعون إلى تحرير كامل التراب الفلسطيني من النهر إلى البحر؟

نعم إخوةَ الإسلام هذه هي أسباب العدوان، وهذه هي جريمةُ هذا الشعب المسلم المكافح!! ومن أجل هذا أغارت قوى الشر والدمار الأمريكية على أرض الجماهيرية بعد إن كانت تدَّعي أنها تعمل من أجل الحضارة والعمران، ومن أجل الأمن والسلام، ومن أجل الحرية والديمقراطية.

أيها المسلمون:

أتظنون أن الإدارة الأمريكية قد شنت عدوانها على شعب الجماهيرية من أجل خلاف حول المياه الدولية وحقِّ الملاحة في خليج سرت؟

أتصدِّقون أن أمريكا قد ضاقت بها محيطاتُ الأرض وبحارُها ولم تجد منفذاً إلى العالم إلا عن طريق هذا الخليج الصغير؟

أتظنون أن أمريكا الدولةَ العظمى تشنُّ عدواناً كبيراً بهذا الحجم يستهدف قائدَ ثورة الفاتح الإسلامية ويستهدف المؤسساتِ الشعبيةَ العامةَ بسبب قنبلة في حانة؟!

إن المسألة أكبر من ذلك، إنه الإسلام، والإسلام فقط. إن التوجه الإسلامي للشعب الليبي المسلم وقيادته هو الذي أوغر صدر الطغيان الأمريكي، وهو الذي أجج نيران الحقد الصليبي في قلبه، وحرك كوامن الشعور الدفين بالخطر.

إن الإدارة الأمريكية لا تحارب المسلمين لخلافات سياسية بل لأنها تعادي الإسلامَ ذاته، تعادي إسلام التحرر والسيادة، وتعادي إسلامَ العدالة والمساواة، وتعادي إسلامَ العزة والقوة وتعمل بكل الوسائل للقضاء على الإسلام.

اسمعوا ماذا يقول أيوجين روستو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس السابق جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام 1967: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافاتٍ بين دول وشعوب بل هي خلافاتٌ بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية. لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمرٌ حتى هذه اللحظة بصور مختلفة.

ومنذ قرن ونصف خضع الإسلامُ لسيطرة الغرب وخضع التراث الإسلاميُ للتراث المسيحي. إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربيِّ بفلسفته وعقيدته ونظامه، وذلك يجعلها تقف معاديةً للعالم الشرقيِّ الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة في الدين الإسلامي. ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصِّهيونية لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها».

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ * ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

إخوة الإيمان:

إن أمريكا التي تتشدَّق بصداقة بعض «العرب» هي عدوة العرب الأولى لأنها هي التي أقامت ما يسمَّى «بإسرائيل»، وهي أول من اعترف بها، وهي التي تمد العدوَّ الصَّهيونيَّ بأسباب الوجود، وأسباب القوة، وأسباب التفوق، وأسباب البقاء والاستمرار.

وهي التي تتحالف معه استراتجيًّا حتى لا يتمكن العرب والمسلمون من استعادة حقِّهم واسترداد أرضهم.

وهي التي تشجع العدوَّ الصَّهيونيَّ على الاحتلال والتوسع والقمع والتمييز العنصري.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿. . . بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ. . .﴾[2] وإن أمريكا التي تدعي أنها زعيمة العالم الحر وزعيمة الديمقراطية هي الحليف الأول لكلِّ الأنظمة الدكتاتورية والعنصرية في العالم.

ألم تكن حليفةً نظام الشاه في إيران، ونظام هيلاسلاسي في أثيوبيا، ونظام ماركوس في الفلبين، وساموزا في نيكارجوا؟

وأمريكا التي تدَّعي أنها تحارب الإرهاب وتسعى من أجل الأمن والسلام بين دول العالم هي زعيمة الإرهاب ومشعلة نار الحروب ومسببة القلاقل في العالم، بل هي الدولة التي قامت على الإرهاب والاحتلال وعلى جماجم الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين.

أليست هي التي غزت فيتنام وارتكبت فيها أبشع المجازر؟

---

(1) سورة البروج: 8 ـ 9.

(2) سورة المائدة: 51.

أليست هي التي غزت كوريا؟

أليست هي التي غزت غرينادا؟

وإذا كانت أمريكا قد جندت نفسها لمحاربة ما يسمَّى بالإرهاب ومعاقبة من تدّعي أنهم إرهابيون فلماذا لم تعاقب العدوَّ الصّهيونيَّ حينما ارتكب عدوانَ 1967 م واحتلَّ أراضيَ ثلاث دول عربية؟

ولماذا لم تعاقبه حينما أسقط الطائرة المدنية الليبية عام 1973 م وقتل ركابها المئة والستة جميعاً؟

ولماذا لم تعاقبه حينما قصف الأطفال في مدرسة بحر البقر المصرية؟ وحينما قصف مقرَّ منظمة التحرير في تونس، وحينما قصف المفاعلَ الذري في العراق؟ ولماذا لم تعاقبه حينما اكتشفت أنه يتجسس عليها وأنه حصل على أدق أسرارها العسكرية؟

ولماذا لم تعاقبه حينما ارتكب مذابح صبرا وشاتيلا؟

بل لماذا لا تعاقبه اليوم وهو يكسر الأيدي الفلسطينية التي تطالب بالحرية، ويغتال الشرفاء الذين يكافحون من أجل العدالة، ويقتل الأطفال الذين يهتفون من أجل الحرية والعدالة، وينتهك حقوق الإنسان ومقدسات الأديان؟

لماذا تهتم أمريكا بقنبلة زرعها عملاؤها مبرراً للعدوان على الأحرار المسلمين، وتجاهل الإرهاب الأكبر المتمثل في الكيان الصّهيوني العنصري؟ أم أنها يصدق فيها قول الشاعر:

قتل امرئٍ في غابةٍ جريمةٌ لا تُغتفَر
وقتلُ شعبٍ آمنٍ مسألةٌ فيها نَظَر

وأمريكا التي تدّعي الحضارة والمدنية هي عدوة الحضارة ومكرسة الظلم الاجتماعي.

أليست هي التي قصفت هيروشيما وناغازاكي بالقنابل الذرية وفتحت باب الدمار النووي وسباق التسلح؟

أليست هي التي تلقي المحاصيل في البحر في الوقت الذي يموت

فيه الملايين من الجوع؟ أليست هي التي تنفق البلايين على حرب النجوم وتطوير أسلحة الدمار في الوقت الذي لا تجد فيه الملايين الماء والغذاء والكساء؟

أليست هي التي تغزو العالم بالثقافة المنحرفة الفاسدة التي تخرب الأخلاق وتميت الضمائر وتكرس الانحلال؟

أيها المسلمون:

إن أمريكا تظن أن عدوانها سيمر بدون عقاب، وأن أحداً لا يستطيع أن يحاسبها على ما فعلت، وأن أحداً لا يستطيع أن يمسَّها بسوء لأنها دولة عظمى، مرهوبة الجانب، تمتلك أعتى أسلحة الفناء والدمار.

ولكن ينبغي أن تعلم أن عاقبةَ الظلم وخيمة، وأن نهايةَ العدوان أليمة، وأن الظالمَ لا بدّ من أن يدفع الثمنَ ولا بدّ من أن يلقى جزاءه مهما طال الزمانُ ومهما اشتدت صولةُ الباطل:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[1].

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[2].

وينبغي أن تعلم أمريكا أن الأيام دول، وأن القويَّ اليوم قد يمسي ضعيفاً غداً، وأن الضعيف اليوم قد يصبح قويًا غداً. ﴿... وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ...﴾[3].

---

(1) سورة إبراهيم: 13 ـ 14.
(2) سورة إبراهيم: 42.
(3) سورة آل عمران: 140.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[1].

وينبغي على أمريكا ألاّ تغترّ بقوتها ولا بغناها فالله أكبر منها، والله أقوى منها. والقوة لا تدوم، والغنى لا يستمر. وغناها فتنةٌ من الله، وقوتها استدراجٌ منه حتى إذا تمادت في غيِّها واستمرت في طغيانها وعدوانها أخذها أخْذَ عزيزٍ مقتدر وأخْذَ عزيزٍ ذي انتقام.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

أيها المؤمنون:

إن العدوان على أي جزء من بلاد الإسلام هو عدوان على المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها. ولا يجوز لأي مسلم أن يكون حياديًّا أو سلبيًّا إزاء الصراع بين الحقّ والباطل، بين الظالم والمظلوم، بين قوى الإسلام وقوى الطغين.

فالمؤمن لا بد من أن يحالف المؤمن، والمسلم لا بد من أن يوالي المسلم، ولا بدّ من أن يناصر الحق ويساند المظلوم. يقول الحق جلا وعلا:

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ . . .﴾[3]. ويقول الرسول ﷺ: **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله»**.

(1) سورة آل عمران: 196 ـ 197.

(2) سورة الأنعام: 44 ـ 45.

(3) سورة التوبة: 71.

ولو كانت الدول الإسلامية متحدة لما تجرأت أمريكا على شن عدوانها ضد الشعب الليبي المسلم ولذلك فلا بدّ من الوحدة، ولا بدّ من التضامن بين الدول الإسلامية حتى تستطيع أمة الإسلام مواجهة أمريكا ووضع حدٍّ لغطرستها وطغيانها.

والله يأمرنا أن نعتصم بحبله جميعاً، وأن ننبذ الفرقةَ والاختلافَ وأن نوحّدَ صفوفَنا ونقاتلَ أعداءَنا كافةً كما يقاتلوننا كافة.

﴿... وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

إن العدوان الأمريكي على أرض الجماهيرية المسلمة نذيرٌ جديدٌ للمسلمين يقول لهم: إذا لم تتحدوا ولم تتضامنوا وتتعاونوا على البرِّ والتقوى فسوف تظلون مهزومين مقهورين وستنفرد بكم أمريكا واحداً بعد الآخر:

﴿... وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2].

أيها الليبيون المسلمون:

لا تحزنوا ولا تبتئسوا فإن شهداءَكم أحياءٌ عند الله يُرزَقُون يتنعّمون في جنات النعيم، وجرحاكم يحملون أوسمةَ العزِّ والفخارِ في الدنيا، وأوسمَة الخلاصِ والنجاةِ في الآخرة.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

ولا تهنوا ولا تستكينوا ولا تتراجعوا واثبتوا على مبادىء الحقّ والخير والله

(1) سورة التوبة: 36.
(2) سورة الأنفال: 46.
(3) سورة آل عمران: 139.

معكم وكفى بالله وكيلا، وحسبكم شرفاً أنكم أبيتم أن تركعوا إلا لله و تصديتم لأعتى قوة في الأرض.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].



(1) سورة آل عمران: 140 ـ 142.

﴿... وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده متمٌّ نورَه ولو كره الكافرون.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جاهد الكفار والمنافقين، وأعلى كلمة الحق والدين. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أتباعه المجاهدين.

إخوةَ الإيمان:

لقد جاءت رسالة الإسلام لتكرم الإنسان، وترفع عنه الذل والهوان، وتحرره من القهر والطغيان، وتمنع عنه الظلم والعدوان.

جاءت رسالة الإسلام لتحقق العدل والمساواة بين الناس، وتساوي بين السادة والعبيد، بين الفقراء والأغنياء، بين الضعفاء والأقوياء، بين الملوك والعامة.

جاءت رسالة الإسلام لتعيَ للإنسان حريته السليبة ليختار عقيدته ودينه، ويعبر عن رأيه وشعوره، ويتخذ قراره وموقفه دون ضغط أو إكراه.

جاءت رسالة الإسلام لتحارب التعصب الديني الذي يبيح عدوان دين على دين، والتعصب القومي الذي يبيح عدوان أمة على أمة، والتفرقة العنصرية التي تبيح عدوان لون على لون أو جنس على جنس.

جاءت رسالة الإسلام لتصنع التسامح بين الأديان، والاحترام والتعاون وحسن الجوار بين الشعوب، والمحبة والانسجام والوئام بين سائر الألوان ومختلف الأجناس.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

ولعل معاملة الإسلام لأهل الكتاب من اليهود والنصارى خير دليل على تسامح هذه الرسالة، وإنسانيتها، وحرصها على كرامة الإنسان.

فالإسلام منحهم حرية الاعتقاد، وحرية العبادة، وصان معابدهم وكنائسهم، وحرم العدوان عليها: يقول الحق جَلَّ وعلا:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ...﴾[2].

ويقول تعالى:

﴿...وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[3].

وصان الإسلام أعراضهم وأموالهم ودماءهم: يقول الرسول ﷺ: «**من ظلم معاهداً وانتقصه أو كلَّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة**».

ودعا الإسلام إلى معاملتهم بالعدل والإحسان: يقول الحقُّ جل وعلا:

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[4].

وأباح لهم الإسلام ما أباحت لهم شرائعهم حتى لو كان محرماً في

(1) سورة الحجرات: 13.
(2) سورة البقرة: 256.
(3) سورة آل عمران: 20.
(4) سورة الممتحنة: 8.

الإسلام. وأعطاهم حق التحاكم إلى أحكام دينهم في مجال الأحوال الشخصية.

وأباح الإسلام ذبائحهم والتزوج بنسائهم.

وأباح لهم الجدل والمناقشة في الدين في جوٍّ من الاحترام المتبادل والأدب والإحسان، يقول الله عز وعلا:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1].

إخوة الإسلام:

نتيجة لهذ التوجه الإلهي، ونتيجة لتسامح الإسلام، تمتع أهل الكتاب بالاحترام، وتمتعوا بالحرية، وتمتعوا بالكرامة، وتمتعوا بحقوق الإنسان، وتمتعوا بالسعادة في مختلف العهود الإسلامية، وفي سائر بلاد المسلمين.

ولقد رحب نصارى مصر والشام وغيرهما بالفتح الإسلامي لأنه أنقذهم من ظلم الرومان برغم أن الرومان كانوا نصارى أيضاً ولكنهم كانوا يستعبدون الشعوب وينهبون خيراتها، وكانوا يضطهدون كلَّ من يخالفهم في الدين.

ولقد كانت بلادنا ملجأ لكلِّ مضطهد بسبب عقيدته. وحينما اضطهد النصارى اليهود وحاولوا إجبارهم على التنصر، وطردوهم من كثير من بلدان أوروبا، لم يجدوا ملجأً إلا عند المسلمين الذين آووهم، وحموهم، وأحسنوا إليهم، واحترموا حريتهم وإنسانيتهم، وصانوا كرامتهم وحقهم.

ولقد تمتع أهل الكتاب في ظل الإسلام بأرغد عيش وأحسن حال سواء في الماضي أو الحاضر، والتاريخ يشهد، والحاضر يشهد.

---

(1) سورة النحل: 125.

أيها المؤمنون:

لأن جزاء الإحسان هو الإحسان، في الدين والشرائع والقوانين والأعراف والفطرة، كنا نتوقع مقابل هذه المعاملة الطيبة، وهذا الفضل، وهذا التسامح، شيئاً من العرفان والتقدير، وردًّا للمعروف والجميل، وحفاظاً على العهد والميثاق، وحرصاً على حسن الجوار والسلام. ولكن - مع الأسف الشديد - كافأنا القوم بنسيان المعروف، وإنكار الجميل، وأضمروا لنا الحقد والكيد، والحسد والبغضاء، وتآمروا علينا، وشنوا علينا الحروب، واحتلوا أرضنا، ونهبوا خيراتنا، مستهدفين القضاء على عقيدتنا بالدرجة الأولى كما بيَّن الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1].

إن تاريخ علاقة اليهود معنا هو تاريخ الغدر والخيانة، فقد تحالفوا مع الوثنيين ضد الإسلام، ونقضوا العهد مع رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، وحاولوا قتله والقضاء على دولة الإيمان. وفي أوائل هذا القرن تحالفا مع الغرب المسيحي ضدنا، واحتلوا أرض فلسطين، وشردوا شعبها في أصقاع الأرض، وأخذوا يرتكبون العدوان تلو العدوان ضد أمتنا التي أحسنت إليهم حينما كانوا مشرَّدين هائمين على وجوههم، وما زالوا يُعِدُّونَ العدةَ لارتكاب المزيد من العدوان وابتلاع المزيد من الأرض العربية.

وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ. . .﴾[2].

وتاريخ علاقة الغرب المسيحي بنا هو تاريخ العدوان المستمر،

(1) سورة التوبة: 32 ـ 33.

(2) سورة المائدة: 82.

والحرب المتواصلة، فمنذ عهد الرسول ﷺ كانت الدولة الرومانية تُعِدُّ العدة للقضاء على الإسلام، وكان لنامعها جولات وحروب سفك فيها الكثير من الدماء.

وفي القرون الوسطى شن علينا الغرب المسيحي حملاته الصليبية المتتابعة التي ارتكب خلالها أبشع الجرائم والمذابح، ففي القدس ذبح الصليبيون أكثر من سبعين ألف مسلم، وحولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة.

وفي القرن الخامس عشر حينما سيطر النصارى على الأندلس أجبروا كل المسلمين على التنصر، وقتلوا كلَّ من يرفض النصرانية، وأنشؤوا محاكم التفتيش لمحاكمة وقتل كلِّ من يصلي أو يصوم بالسر، أو يشتبه في صدق تنصره، وحولوا كل المساجد إلى كنائس، حتى لم يبق مسلم واحد فيها برغم أن غالبية أهلها كانت من المسلمين.

وفي القرنين التاسع عشر والعشرين، عصر النهضة والحضارة، تقاسمت دول الغرب المسيحي أرضنا، ونهبت خيراتنا، وحاولت بكلِّ الوسائل القضاء على هويتنا وعقيدتنا، وفي كلِّ بلد من بلاد الإسلام ارتكبوا أبشع الجرائم، وقتلوا مئات الآلاف من المسلمين.

أيها الإخوة:

إن أرضنا العربية الليبية لم تنج من الغزو الصليبي، والاحتلال الغربي، فقد فوجيء شعبنا في شهر التمور من عام 1911 م بالسفن الحربية الإيطالية تدك المدن، وتقتل الرجال والنساء والأطفال، وتزرع الإرهاب في كلِّ مكان، وتنشر الحرائق في كلِّ حي.

ترى لماذا جاء هؤلاء من وراء البحار وليس بيننا وبينهم خلاف على أرض أو حدود، وليس لهم عندنا حق، وليس بيننا وبينهم حالة حرب؟ ماذا يريد هؤلاء الغزاة من شعبنا الآمن المسالم؟.

ولماذا جاؤوا إلى هذه الأرض؟ ولماذا يقاتلوننا بكلِّ هذه الوحشية

والشراسة؟ اسمعوا الجواب على ألسنة الجنود الإيطاليين وهم ينشدون نشيد الحرب:

«يا أماه أتمي صلاتك ولا تبكي، بل اضحكي وتأملي، ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونني، وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً، لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة المعلونة، ولأحارب الديانة الإسلامية، سأقاتل بكلِّ قوتي لمحو القرآن. وإن لم أرجع فلا تبكي على ولدكِ، وإن سألك أحد عن عدم حدادك عليَّ فأجيبيه: إنه مات في محاربة الإسلام».

نعم، لقد جاؤوا من أجل محاربة الإسلام، والقضاء على القرآن.

أرأيتم مصداق قوله تعالى:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ...﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾[2].

نعم، لقد جاؤوا من أجل محاربة الإسلام، ولذلك فقد فرضوا اللغة الإيطالية محلَّ اللغة العربية، وحوَّلوا المساجد إلى كنائس، وحوَّلوا الأضرحة إلى اصطبلات، وداسوا بأقدامهم كتاب الله، ومنعوا المسلمين من أداء الصلاة، ومن أداء فريضة الحج، وحاولوا بكلِّ الوسائل تنصير شعبنا والقضاء على هويتنا الإسلامية.

ولم يكن شعبنا ليفرط في عقيدته وأرضه، ولم يكن شعبنا ليقبل الذل والهوان، ولم يكن شعبنا ليرضى بالاحتلال والعدوان، ولم يكن شعبنا ليستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، ولم يكن شعبنا ليخشى الإرهاب

---

(1) سورة البقرة: 109.

(2) سورة البقرة: 120.

والقمع، ولم يكن شعبنا ليخشى الموت في سبيل الله، ولم يكن شعبنا ليتلكأ عن تلبية داعي الجهاد:

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ...﴾[1].

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

فهبَّ شعبنا يدافع عن دينه وعقيدته، وعن أرضه وعرضه بأسلحته البدائية البسيطة، ويجعل الأرض جحيماً تحت أقدام الغزاة، ويرسل المئات من جنود الاحتلال إلى الموت والجحيم وبئس المصير، وما احتل الإيطاليون قطعة من أرضنا إلا بعد أن تضمخت بدماء شهيد.

ومن أجل القضاء على ثورة شعبنا، وقتل روح المقاومة والجهاد في نفوسنا، ارتكب المستعمرون الإيطاليون أبشع المجازر والجرائم، فكانوا يقتلون النساء والأطفال، ويحرقون القرى والنجوع، ويقومون بالعقوبات الجماعية، ويقصفون العزل بالطيارات، ويقيمون المعتقلات الجماعية، ويمارسون أبشع أنواع التعذيب والإرهاب، ويلقون بالمجاهدين من الطيارات.

وتوج هؤلاء الغزاة المتوحشون جرائمهم البشعة بجريمة من أفظع الجرائم حيث قاموا بنفي الآلاف من المجاهدين إلى إيطاليا ولا يُعرَف مصيرهم إلى اليوم.

ولقد استمرت معاناة شعبنا من الاحتلال والقمع والإرهاب أكثر من ثلاثين عاماً عانينا خلالها أقسى ألوان البؤس والقهر والشقاء، حتى شاء الله عز وعلا أن تتطهر بلادنا من الاحتلال الإيطالي العسكري. ولكن ظلت بقايا الطليان في بلادنا، تستوطن أرضنا، وتنهب خيراتنا، وتتجسس على شعبنا، وتؤلف جسراً لعودة الاستعمار من جديد، إلى أن جاءت ثورة

(1) سورة البقرة: 190.

(2) سورة التوبة: 41.

الفاتح الإسلامية وطردت بقايا الغزاة الطليان في السابع من شهر التمور عام 1970 م وكان لشعبنا عيد الثأر بعد ستين عاماً.

أيها المؤمنون:

نعم لقد خرج الاستعمار وتطهرت أرضنا من فلوله.

ولكن هل يذهب دمُ الشهداء هدراً؟

هل تذهب دماء سبعمئة ألف شهيد سدًى؟

هل تذهب دموع الأيتام والأرامل هباءً؟

هل تذهب عذابات المشوّهين أدراج الرياح؟

هل تذهب آلام ومعاناة شعب بكامله لأكثر من ثلاثين عاماً بلا ثمن.

هل يذهب الدمار الذي تعرضت له بلادنا بلا مقابل؟

هل تذهب أرواح المنفيين سدًى؟ وهل نقبل أن يدفنوا في غير الأرض التي عشقوها؟

أليس من الوفاء لجهادهم وتضحياتهم أن نعرف مصيرهم وقبورهم؟

لا ـ **أيها الإخوة** ـ إن من حقنا أن نطالب بالتعويض عما عانيناه برغم أنه لا يمكن أن يقوّم بمال الأرض، ومن حق المجاهدين المنفيين علينا أن نسأل عنهم، ونعرف مصيرهم، ونزور قبورهم.

ومن واجبنا أن نفعل ذلك حتى يدرك المستعمرون أن الاحتلال لا يمكن أن يمر بلا ثمن، وأن دماء الشعوب غالية، وأن المحتلين لا بدّ من أن يسدِّدوا فاتورة الاحتلال عاجلاً أو آجلاً، من واجبنا أن نفعل ذلك حتى يفكر المستعمرون ألف مرة قبل الإقدام على الاحتلال، وحتى نردع كلَّ من تسول له نفسه العدوان على الشعوب الآمنة.

ومن واجبنا أن نفعل ذلك حتى ندفع الشعوب الضعيفة التي تعرضت للاحتلال للنهوض والمطالبة بحقوقها.

ومن واجبنا أن نفعل ذلك حتى يدرك العالم أننا أول ضحايا الاستعمار، والتمييز العنصري، والتعصب القومي، والأحقاد الدينية، والحملات الصليبية.

ومن واجبنا أن نحييَ ذكرى المجاهدين المنفيين كلَّ عام حتى نذكِّر الأجيال بمعاناة شعبنا، وجهاد آبائنا وأجدادنا، وتربص الأعداء بنا، وحقدهم على عقيدتنا حتى تتسلح باليقظة، وتتحصن بالقوة، وتكون على حذر كي لا يعود الاستعمار إلى بلادنا من جديد.

﴿... وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً...﴾[1].



(1) سورة النساء: 102.


باب القضايا الاجتماعية

﴿... وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْ..﴾

الحمد لله الذي يجزي المتصدِّقين، ويضاعف أجر المحسنين، ويدفع البلاءَ عن المزكين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أغنانا من غناه، وأعطانا من كلِّ ما سألناه، وجعل للمسكين حقًّا فيما ملكناه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كان بالخير أجود الناس، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر والبأس. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

إخوةَ الإيمان:

إن المالَ الذي بين أيدينا مالُ الله، فكلُّ ما في الكون من خلقه، وجميع ما فيه من ملكه:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

والله عزّ وجلّ مِنّةً منه وكرماً جعلنا وكلاءَ على هذا المال، ومستخلفين فيه، ومستأمنين عليه، والوكيل يتصرف طبقاً لأمر المالك الأصيل: يقول الله تعالى:

(1) سورة آل عمران: 189.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[1].

ويقول عز وعلا:

﴿... وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْۚ...﴾[2].

والله تبارك وتعالى قضى أن نوظف أموالنا في خدمة مجتمعنا، وجعل فيها حقًّا معلوماً للسائل والمحروم حتى تتهيأ الحياة العزيزة الكريمة لكلِّ إنسان، وحتى تسودَ المودة والمحبة بالإحسان:

﴿... وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ...﴾[3].

ويقول جلَّ جلاله:

﴿... كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦۖ...﴾[4].

ويقول تبارك وتعالى:

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[5].

فحينما ننفق المال في سبيل الله فلا منَّة لنا بل هو واجب نؤديه، وشرف نفوز به، وطاعة نثاب عليها.

---

(1) سورة الحديد: 7.
(2) سورة النور: 33.
(3) سورة المزمل: 20.
(4) سورة الأنعام: 141.
(5) سورة الروم: 38.

إخوةَ الإسلام:

صحيح أن الإنسانَ يحبُّ المالَ حبًّا جمًّا، وأن الإنسان كان قتوراً، وأنه لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب لأحب أن يكونَ له واديان، ولكننا ينبغي أن نجاهد نزعة الأنانية في نفوسنا، ونتعالى على شهواتنا، وننتصر على أطماعنا، وبقدر ما نتغلب على أنفسنا نفوز ونفلح: يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

ولن نفوز يوم القيامة إلا إذا تجاوزنا عقبة الشح، واقتحمنا عقبة الطمع، وتعدينا عقبة الأثرة:

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[2].

والصدقة التي تتمخض عن مجاهدة النفس، ومقاومة الشح من أعظم الصدقات أجراً: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: **«يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: أن تصَدَّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا»**.

أيها المؤمنون:

إن الإنفاق في سبيل الله من أهم علامات الإيمان وركائز الإسلام: يقول الحقُّ جلَّ وعلا:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

(1) سورة التغابن: 16.

(2) سورة البلد: 11 ـ 16.

ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

فالمؤمن لا يطيق أن يرى شخصاً جوعان يكابد آلام الجوع دون أن يُهرَع إلى إطعامه، ولا يمكن أن يرى شخصاً عريان يعاني لسع البرد ولا يسارع إلى كسوته، ولا يمكن أن يرى شخصاً مشرّداً يعاني آلام الغربة والوحشة ولا يبادر إلى إيوائه.

لقد قدم إلى المدينة في عهد المصطفى ﷺ قومٌ من مضر مهلهلة ثيابهم، شعث رؤوسهم، شاحبة وجوههم، خاوية مزاودهم، فتغير وجه رسول الله ﷺ حين رآهم، وحزن لحالهم، وأمر بلالاً فأذن، وأقام، فصلى، ثم خطب الناس فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3]. ثم قال: **«ليتصدّقْ رجل من دينار، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرّه، من صاع تمره، حتى قال: «ولو بِشِقّ تمرة»، فجاءه رجل من الأنصار بصرة يكاد يعجز عن حملها ثم تتابع الناس، ينفقون ويتصدقون، حتى اجتمع أمام القوم كومان من الثياب والطعام فتهلل وجه رسول الله ﷺ فرحاً ورضاً.**

(1) سورة الأنفال: 2 ـ 4.

(2) سورة النساء: 1.

(3) سورة الحشر: 18.

عبادَ الله:

إذا أردتم أن تطهروا قلوبكم من الأثرة والشح، وأن تطهروا أموالكم من حق المجتمع فيها، وأن تطهروا مجتمعكم من الأحقاد والصراعات فلتنفقوا من أموالكم سرًّا وعلانية:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

وإذا أردتم أن يبارك الله في أموالكم، وينمّي ثرواتكم، ويديم نعمه عليكم فلْتتصدَّقوا من مال الله الذي آتاكم:

﴿. . .وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[2].

يقول الرسول ﷺ: **«ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عزّ وجلّ».**

ويقول ﷺ: **«بينما رجل يمشي في فلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة يقول: اسقِ حديقة فلان. فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءَه في حرة، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحوّل الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟. قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبد الله، لِمَ تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسقِ حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه».**

وكان عبد الله بن جعفر لا يردُّ سائلاً قط، ولما سئل عن ذلك قال:

---

(1) سورة التوبة: 103 ـ 104.

(2) سورة سبأ: 39.

إن الله عودني عادة وعودتُ عباده عادة: عودني أن يعطيَني، وعودت عباده أن أعطيَهم، وأخشى إن قطعْتُ عادتي عنهم أن يقطعَ عادتَه عني.

وإذا أردتم أن يدفعَ الله عنكم البلايا، ويفرج عنكم الكروب، وينجيَكم من المصائب فلتنفقوا في السراء والضراء. يقول الله عزّ وجلّ:

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

يقول حبيبنا محمد ﷺ: **«صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفيء غضب الرب»**. ويقول صلوات الله عليه وسلامه: **«حصّنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرُّع»**.

وإذا أردتم أن يضاعف الله لكم الحسنات لتجدوها في صحفكم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فلتنفقوا مما رزقكم الله من قبل أن يأتيَ يوم لا بيع فيه ولا خلال:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

أيها الإخوة:

إذا أردتم أن يتقبل الله صدقاتكم، ويعظم أجركم فابتغوا بها وجه الله، ولا تطلبوا بها سمعة ولا شهرة، ولا تنتظروا من الناس جزاءً ولا شكوراً، وكونوا كأولئك الذين قال فيهم رب العزة جلّ وعلا:

(1) سورة البقرة: 195.

(2) سورة البقرة: 261.

﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

أيها الإخوة:

إذا أردتم أن يتقبل الله صدقاتكم، ويعظم أجركم فابتغوا بها وجه الله، ولا تطلبوا بها سمعة ولا شهرة، ولا تنتظروا من الناس جزاءً ولا شكوراً، وكونوا كأولئك الذين قال فيهم رب العزة جلَّ وعلا:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[2].

وإذا أردتم أن تبتعدوا عن الرياء والكبر، وتتجنبوا إحراج الفقير، وتنالوا مغفرة الذنوب، وتستظلوا بظل الله يوم لا ظل إلا ظله فعليكم بصدقة السر ولتعط أيمانُكم دون أن تعلم شمائلُكم. يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

وإذا أردتم أن يتقبل الله زكاتكم فتصدَّقوا بأفضل وأجود ما عندكم. فالله طيب لا يقبل إلا طيباً، والصدقة إنما هي قرض تقرض لله فانظروا مَنْ تقرضون، وماذا تقدمون.

---

(1) سورة التغابن: 17 ـ 18.

(2) سورة الإنسان: 8 ـ 12.

(3) سورة البقرة: 271.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[1].

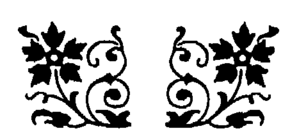
وإذا أردتم أن تؤجَروا على صدقاتكم وتنالوا فضل ربكم فلا تتبعوها بالمن والأذى، ولا تبطلوها بالتعيير والغطرسة، يقول الحق جل جلاله:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

أيها الأحباب:

لقد كان رسولنا محمد ﷺ أجود الناس وكان أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان لا يقول لسائل: لا قط، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، فتأسَّوا برسول الله ﷺ، وسيروا على خطاه:

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].



(1) سورة البقرة: 267.

(2) سورة البقرة: 262.

(3) سورة المنافقون: 10 ـ 11.

﴿. . . . كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ. . .﴾

الحمد لله الذي سخر لنا السماوات والأرضين، وقدّر فيها أقواتها وتكفل بأرزاق العالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بالتكافل بين المسلمين، وكفاية المحتاجين والمحرومين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله دعا إلى ردّ فضول أموال الأغنياء على المساكين، وأعطى الفقراء حتى سواهم بالقادرين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه المحسنين.

إخوة الإسلام:

لو تجولنا في بلاد المسلمين، وقارنا بين أحوالهم لوجدنا تفاوتاً كبيراً، وتناقضاً خطيراً:

فهناك من يعيش في القصور، وهناك من يعيش في الأكواخ. وهناك من يملك الملايين، وهناك من لا يملك شروى نقير. وهناك من يفترش الحرير، وهناك من يفترش الرصيف. وهناك من يلقي أطايب الطعام في القامة، وهناك من يبحث عن طعامه فيها.

وهناك من يموت من التخمة، وهناك من يموت من الجوع. وهناك

من يشرب الماء النظيف، وهناك من يشرب الماء الملوّث. وهناك من يلبس الثياب الفاخرة، وهناك من يلتف بالأسمال البالية. وهناك من يركب السيارات الفارهة، وهناك من لا يجد الحافلات العامة. وهناك من يتمتع بالضمانات الاجتماعية والتعليم والعلاج والخدمات، وهناك من هو محروم من كلّ ذلك.

والناظر إلى هذه المأساة المحزنة، والفوارق الصارخة لا بد من أن يتساءل: هل هذه هي خير أمة أخرجت للناس؟.

وهل هي التي يقول ربها:

﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[1]؟ هل هي التي يقول رسولها: «**أيما أهل عرصة أصبح فيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله**»؟

إخوة الإيمان:

إن الله عزّ وجلّ قد مَنّ على أمتنا بنعم لا تُعَدُّ ولا تحصى وأودع في أرضنا ثروات كثيرة، وكنوزاً وفيرة، تكفي المسلمين جميعاً، وتؤمّن لهم السعادة والرفاهية لو وُزِّعت بعدل، وأُنفِقت بحكمة، واستُثمِرت بمعروف.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

وليس من العدل أن يكون هناك سادة وعبيد، ومترفون ومحرومون.

والله تبارك وتعالى جعل المال للمسلمين جميعاً، ليشبعوا به حاجاتهم، ويحققوا منافعهم ومصالحهم، ويبنوا به قوتهم، ويصونوا به سيادتهم واستقلالهم، ويحفظوا عزتهم وكرامتهم.

يقول الله تبارك وتعالى:

---

(1) سورة المعارج: 24 ـ 25.

(2) سورة النحل: 90.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا. . .﴾[1].

ولم يقل تبارك وتعالى: ولا تؤتوا السفهاء أموالهم، وهي تعود إليهم في الواقع، بل قال: ﴿. . أَمْوَٰلَكُمُ. .﴾ مقرّراً أن المال هو مال المجتمع كلّه.

ولذلك فإن الله لا يرضى أن يكون المال محتكراً في أيدي فئة قليلة من الناس، تتمتع بمباهج الحياة، بينما تعاني الغالبية الفقر والحرمان.

والله عز وعلا أمر رسوله محمداً ﷺ أن يقسم الأموال على الفقراء والمساكين، حتى تتحقق الكفاية في المجتمع، ولا يتركز المال في أيدي الأغنياء:

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ * لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[2].

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو على فراش الموت: **لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول الأغنياء فرددْتُها على الفقراء.**

أيها المؤمنون:

إن ديننا الحنيف، دين العدالة والمساواة، يحارب الفقر، ولا يرضى أن يكون هناك فقراء وأغنياء. ورسولنا ﷺ كان يستعيذ بالله من الفقر. ويقول علي رضي الله عنه: لو كان الفقر رجلاً لقتلته.

---

(1) سورة النساء: 5.

(2) سورة الحشر: 7 ـ 8.

والله عزّ وجلّ لم يمنحنا الأموال والثروات لنكنزها، ونجمدها، ونحرم الناس منها. بل منحنا إياها لنستثمرها، ونوظفها في خدمة المجتمع، وتحقيق الكفاية للناس، وسدّ حاجة الفقراء.

ولقد توعد الله عزّ وجلّ أولئك الذين يكنزون الأموال ويمنعون حق الفقراء والمساكين بأشد العذاب إذ قال:

﴿... وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[1].

والله تبارك وتعالى أمر المسلمين أن ينفقوا ما زاد على حاجتهم طالما أن هناك محتاجين وطالما أن هناك محرومين:

﴿... وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ...﴾[2].

ورسولنا محمد ﷺ دعا الأغنياء القادرين لإعطاء ما زاد على حاجتهم لإخوانهم الفقراء المحتاجين حين قال.

«من كان معه فضل ظهر فَلْيَعُدْ به على مَنْ لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فَلْيَعُدْ به على مَنْ لا زاد له» قال أبو سعيد الخدري راوي الحديث: **«فذكر رسول الله ﷺ من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا في فضل»**.

وامتدح الرسول ﷺ الأشعريين الذين كانوا يتقاسمون ما عندهم من زاد بالتساوي حينما يواجهون أزمة في الغذاء وقلة في الزاد، واعتبرهم الرسول ﷺ من أتباعه الحقيقيين: **«إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قلّ**

(1) سورة التوبة: 34 ـ 35.

(2) سورة البقرة: 219.

طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم».

والرسول ﷺ اعتبر من يتخلى عن جاره، ويتركه يعاني الجوع مجرداً من الإيمان: **«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به».**

عباد الله:

إن بعض الناس يظنون أنهم إذا أدوا زكاة أموالهم فقد برئت ذمتهم، وقاموا بواجبهم. والأمر ليس كذلك، ففي المال حق سوى الزكاة، والواجب أن ننفق المال حتى لا يبقى هناك جائع ولا محروم. فالله عزّ وجلّ ذكر الزكاة في القرآن، وذكر إلى جانبها حقًّا معلوماً للسائل والمرحوم، وذكر صدقات أخرى. قال تعالى:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ...﴾[1].

أيها الأحباب:

إننا أمة واحدة، وإن المؤمنين إخوة مهما اختلفت ألوانهم وأجناسهم وألسنتهم ومهما تباعدت أقطارهم. والله عزّ وجلّ أمرنا أن نتكافل ونتضامن، ونتحد ونتعاون على البرّ والتقوى، وأن نكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وأن نكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

---

(1) سورة البقرة: 177.

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه» كما قال الرسول ﷺ.

فلنساعد إخواننا المحتاجين، ولنسد حاجة الفقراء والمساكين، ولْنُهَيِّىء فرص العمل للمسلمين، ولنشجع التبادل التجاري مع المسلمين، ولْنَسْتَثْمِرْ أموالنا في بلاد المسلمين:

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾[1].



(1) سورة محمد: 38.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً. . .﴾

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد. وأشهد أن لا إله إلا الله ألّف بين قلوب المسلمين وهداهم إلى الصراط المستقيم ودعاهم إلى الاعتصام بحبله المتين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حثّ على الوحدة والاجتماع ونهى عن التفرق والنزاع.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

إخوة الإسلام:

حينما نقرأ القرآن نلاحظ أنه يعتبر الفرد جزءاً من الجماعة، وحينما يوجّه الأوامر والنواهي فإنه لا يخاطب بها الفرد وإنما يخاطب الجماعة ككل حتى يرسّخ في أذهان المسلمين فكرة وحدة المجتمع الإسلامية.

اسمع معي أخي المسلم قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وتدبر معي قوله تعالى:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[2].

(1) سورة الحج: 77.
(2) سورة البقرة: 190.

وحينما تدعو في صلاتك فإنك لا تستأثر بالدعاء بل تدعو لكل المسلمين، ألست تناجي الله قائلاً:

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[1] ألست ترفع يديك إلى السماء داعيًا:

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

ألا تشعر حينذاك أنك لبنة في بناء المجتمع الإسلامي وجزء من أمة المسلمين الذين ينتشرون في كل بقاع المعمورة تحمل آلامهم وآمالهم وتشاركهم أفراحهم وأتراحهم؟.

إخوة الإيمان:

إن الإسلام وحده هو الذي وحّد العرب وبنى لهم مجداً وحضارة وكياناً ودولة استطاعت أن تنشر الإسلام وتحر أجزاء كثيرة في العالم من الظلم والعبودية والجهل:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

وفي كثير من الآيات يُذَكِّرُ الله تبارك وتعالى المسلمين بهذا الفضل ويمتنُّ عليهم بتلك النعمة، نعمة الوحدة والاجتماع، ونعمة الأُخُوَّة والاتفاق لعلهم يشكرون ولعلهم يحافظون على وحدة القوة واجتماع الكلمة:

﴿. . . وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

(1) سورة الفاتحة: 6.

(2) سورة الحشر: 10.

(3) سورة الأنفال: 63.

﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(1).

ولم يكتف الإسلام بتوحيد العرب بل وجههم إلى ما يحفظ هذه الوحدة ويصونها فدعاهم إلى التمسك بتعاليم الإسلام والعمل بها لأن الوحدة إذا أريد لها أن تدوم وتستمر فلا بدّ أن تقوم على فكر واحد وعلى منهج ثابت:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟...﴾(2).

ولقد حضّ الإسلام على صلاة الجماعة وأجزل ثوابها حتى يندمج الفرد المسلم بالجماعة المسلمة وحتى تتوثق عرى المحبة وروابط الأُخُوَّةِ بين المسلمين. وألزمنا ديننا الحنيف بالاجتماع مرة كلَّ أسبوع في صلاة الجمعة، وفرض الحج في زمن معيَّن ومكان محدَّد حتى يدعم ويرسخ الوحدة بين الشعوب الإسلامية.

والرسول ﷺ حذَّر من العزلة والتفرُّق لأن التفرُّق ضعف ماديٌّ ومعنويٌّ وهزيمة وتخلف وسقوط في حبائل الشر ومكائد الشيطان: يقول المصطفى ﷺ: «**يد الله على الجماعة ومن شذَّ شذَّ في النار**» ويقول: «**الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد**».

وحينما رأى رسول الله ﷺ أصحابه يتفرقون في الشعاب والأودية قال لهم: «**إن تفرُّقكم هذا من الشيطان**»، فتنبهوا لخطر التفرق وكانوا يتجمعون معاً بعد ذلك.

وديننا الحنيف حذرنا من النزاع والاختلاف لأنه سبيل إلى الفرقة والضعف. قال الله تعالى:

---

(1) سورة آل عمران: 103.

(2) سورة آل عمران: 103.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(1).

والقرآن الكريم حذرنا من سلوك سبيل الأمم السابقة التي كانت متوحدة متماسكة فانقسمت إلى فرق وشيع وأحزاب فكان مصيرها الهلاك والاندثار:

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾(2).

وأنذر القرآن الكريم الذين يفرّقون الأمة ويسعون لتفتيت وحدتها بالعذاب الشديد:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(3).

ورسولنا ﷺ اعتبر الحرب والاقتتال بين فئات المسلمين ضرباً من ضروب الكفر والعياذ بالله حينما قال في خطبة حجة الوداع: «**وستلقون ربّكم فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد**». وقال ﷺ محذراً من مغبة الخروج على الجماعة: «**من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية**».

إخوة الإسلام:

إن القرآن يدعونا صباح مساء إلى إصلاح ذات البين ورأب الصدع

---

(1) سورة الأنفال: 46.

(2) سورة المؤمنون: 52 ـ 56.

(3) سورة آل عمران: 105.

والقضاء على الاختلاف ودواعي الحرب بين الأشقاء لأن الشقاق يضعف الأمم القوية ويميت الأمم الضعيفة، ولذلك جعل الله أول عظة للمسلمين بعد انتصارهم في معركة بدر أن يوحّدوا صفوفهم ويصلحوا ذات بينهم:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(1).

وقال الحق جل وعلا في موضع آخر:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(2).

والإسلام مضى شوطاً بعيداً في الحفاظ على وحدة المجتمع المسلم حين أباح للمسلمين مقاتلة الفئات التي لا تستجيب لداعي الصلح والاتفاق وتصر على الاستمرار في العدوان وسفك الدماء وإهدار طاقات الأمة:

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(3).

ولقد أكد المصطفى محمد ﷺ هذا المعنى حين قال: **«ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان»**.

عباد الله:

إن هذه الأمة ما توحدت إلا بتعاليم القرآن الكريم ولن تتوحّد من

---

(1) سورة الأنفال: 1.

(2) سورة الحجرات: 10.

(3) سورة الحجرات: 9.

جديد وتستعيد قوتها وعزتها ومجدها ودورها القيادي إلا بالعودة إلى تلك التعاليم ووضعها موضع التطبيق. لقد جربنا كلَّ السبل الأخرى وكلَّ المفاتيح فما كان نصيبنا إلا الإخفاق والفشل والهزيمة والتخلف، وصدق عمر رضي الله عنه حين قال: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».

إن ما نحن فيه من ضعف وتخلف وهزيمة إنما هو نتيجة حال الفرقة والانقسام الذي يعيشه العالم الإسلامي، والصّهيونية لم تنجح في احتلال فلسطين إلا بعد أن مزقت أوصال هذا العالم وأبعدته عن دينه وسرِّ قوته وتماسكه، ولا تنجح الصّهيونية اليوم في البقاء والاستمرار فوق أرض فلسطين إلا بسبب تفرُّق المسلمين. وما كان لأمريكا أن تتغطرس وتعتدي على دولة عربية إسلامية لو أن المسلمين متحدون قادرون على اتخاذ موقف رادع للعدوان.

إخوة الإيمان:

ما أحوجنا اليوم للوحدة والتكاتف والتعاون من أجل الحفاظ على عقيدتنا واستقلالنا وحريتنا ووحدة أرضنا فكونوا كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً وكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى، وحافظوا على وحدة الصف واجتماع الكلمة لتكونوا كما وصفكم الله في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[1].



(1) سورة الأنبياء: 92.

﴿ . . . وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ . . . ﴾

الحمد لله الذي هدى العباد إلى طريق السعادة والرشاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عزّ من أطاعه وذلّ من عصاه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلّغ الرسالةَ وأدّى الأمانةَ ونصح الأمة. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأتباعه إلى يوم الدين.

عباد الله:

يقول الله عزّ وجلّ في محكم التنزيل واصفاً عباده المؤمنين المتقين:

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ * وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾[1].

إن المؤمنين الحقيقيين هم أولئك الذين يتوكلون على الله ويجتنبون الموبقات والمعاصي ويعفون عن الذين يسيئون إليهم من إخوانهم المسلمين. إنهم أولئك الذين يطيعون أمر الله ويقيمون الصلاة ويقيمون حياتهم وسياستهم واقتصادهم واجتماعهم على أساس الشورى. إنهم أولئك الذين يؤدُّون حق الفقير ويقاومون البغي ويتصدون للعدوان.

هذه هي سمات الجماعة المسلمة كما حددتها السماء وعلامات

(1) سورة الشورى: 36 ـ 39.

المجتمع المسلم الذي يريده الله. إنه المجتمع الذي يتحمل فيه كل فرد مسؤوليته ويساهم في رسم وتنفيذ سياسة بلده. إنه المجتمع الذي لا يعرف التفرُّد في الحكم ولا الاستبداد إنه مجتمع العدل والمساواة والشورى.

والعمل بالشورى ليس مطروحاً للخيار في المجتمع المسلم يأخذ به أو لا يأخذ، وليس فضلاً يتفضل به حاكم على أمته أو مِنَّةً يمنُّ بها ملك على شعبه بل هو حقٌّ للأمة تأخذه بالقوة وواجبٌ على المسلمين جميعاً يأثمون بتركه ويستحقُّون العقوبة للتفريط فيه. فالله عزّ وجلّ ذكر الشورى بين ركنين أساسيين من أركان الإسلام هما الصلاة والزكاة حتى يعلم كلُّ أحد أن العمل بالشورى واجب وفرض شأنه شأن الصلاة والزكاة.

وبرغم أن محمداً عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام كان أعدلَ الناس حكماً وأصوبَهم رأياً فقد أمره الله عزّ وجلّ أن يشاور أصحابه في شتّى الأمور حتى يعلم الجميع أنه لا أحدَ فوق الشورى مهما يكن شأنه ومهما تعلُ مرتبته ويبلغ علمه. يقول الحق جل وعلا:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

أيها الأحبة:

إن هذه الآية يستشهد بها بعض الناس خطأً ليدلِّلوا على أن وليّ الأمر عليه أن يشاور ولكنه ليس ملزماً بالعمل برأي غالبية المسلمين. وهذا الرأي يخالف روح الإسلام ويناض مفهوم قوله تعالى: ﴿... **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**...﴾ ويفتح باباً لتبرير الدكتاتورية والتسلط والقمع وتغييب إرادة الجماهير، ويجعل الشورى مهلة. فما نفع الشورى إذا لم تأخذ توصيات الجماهير طريقها للتطبيق؟ قد يقول قائل: إن المسؤول يشاور

---

(1) سورة آل عمران: 159.

حتى يتبيَّنَ الصوابَ ويعملَ به. جميل، ولكن ماذا لو لم يعمل به وأصرّ على ركوب رأسه مخالفاً جماهير الناس؟ إن الذين يقولون إن نتائج الشورى لا تلزم المسؤول سيجيبون: إن المسؤول حر. وهم بذلك يكرسون الدكتاتورية والفردية ويختمونها بختم الإسلام والشرعية، والإسلام منها براء.

وإذا عرفنا مناسبة الآية تبيَّن لنا بكلِّ وضوحٍ أن الشورى ملزمة وأن ولي الأمر يشاور ليلتزم بما تقرره جماهير المسلمين.

إن هذه الآية قد نزلت في أعقاب معركة أحد التي خسرها المسلمون. وقبل المعركة استشار الرسول ﷺ أصحابه: هل يخرج المسلمون للقاء المشركين الغزاة أم هل يتحصّن داخل المدينة. ورأت الغالبية الخروج ومقاتلة الأعداء خارج المدينة. وبرغم أن الرسول ﷺ كان يرى عدم الخروج وكان قد رأى رؤيا تأوّلها قتيلاً من أهل بيته وقتلى من صحابته، برغم كل ذلك فقد قرر رسول الله ﷺ أن ينزل عند رأي الغالبية ليقرَّ مبدأ الشورى ويعلِّمَ المسلمين جميعاً أن وليَّ الأمر المسؤول يجب أن ينفذ قرار الجماهير، فعل ذلك حتى يدرِّب الأمة على تحمُّل المسؤولية وتبعات القرار.

وبرغم أن المعركة قد أسفرت عن خسارة مريرة للمسلمين فإن الله عزّ وجلّ أنزل تلك الآية على رسول الله يأمره أن يستمر في مشاورة المسلمين وأن يستمر في الالتزام بما يتمخض عن الشورى وما تختاره الجماهير المؤمنة حتى لا يكون الخطأ في التطبيق مبرراً لإلغاء مبدإ الشورى.

أيها المسلمون:

إن العمل بالشورى يوصل المجتمع إلى أصوب وأنضج الآراء التي تؤدِّي إلى التوفيق والفلاح في الدنيا والآخرة.

يقول الحبيب المصطفى محمد ﷺ: **«ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم»**.

والعمل بنظام الشورى يحفظ حقوق الأمة ويحقِّق طموحاتها وتطلعاتها ويمنع الاستئثار بالسلطة والتفرُّد في الحكم الذي يقود الأمة إلى التخلف والعبودية.

والعمل بنظام الشورى يحقِّق المساواة بين أفراد المجتمع ويكرس حرية الرأي والنقد البناء ويشعر الإنسان بوجوده ودوره في حكم بلده وتحمل مسؤولية العمل من أجل رفعة الوطن وتقدم البلاد.

والعمل بالشورى يضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

أيها المسلمون:

إن الشورى ليست مقصورة على شؤون الحكم والسياسة. إنها نظام اجتماعي عام ينبغي أن يطبَّق ويسود في كلِّ مؤسسة من مؤسسات المجتمع. يجب أن تطبَّق الشورى في المدارس والمصانع والمزارع والجامعات. يجب أن تطبَّق الشورى في كل أسرة وفي كل مرفق. وإذا لم نربي أبناءنا على الشورى داخل الأسرة فلا يمكن أن نصل إلى الشورى السياسية الحقيقية ولا يمكن أن تؤتي الشورى ثمارها لأن العبيد الذين أَلِفُوا العبودية لا يمكن أن ينقلبوا سادةً بين عشية وضحاها.

علينا أن نشاور أبناءنا وبناتنا، علينا أن نشاور أزواجنا، علينا أن نشاور أصحابنا وزملاءنا، علينا أن نبني حياتنا على قاعدة الشورى ونربي أجيالنا على ممارسة الشورى وتحمل المسؤولية.

يا أتباع محمد ﷺ:

إن نبيكم محمداً ﷺ كان أكثر الناس مشورة لأصحابه وكان برغم رجاحة عقله وسداد رأيه يلتزم ويعمل بما يقررون ويشيرون.

أليس هو الذي استشار أصحابه قبل خوض معركة بدر، ولما وجد منهم إرادة قوية وعزيمة صلبة وإصراراً على مواجهة المشركين المتغطرسين خاض بهم غمار الحرب وحقق لهم النصر بإذن الله؟.

أليس هو الذي استمع إلى الحباب بن المنذر في غزوة بدر حين اقترح عليه أن ينزل الجيش في غير المكان الذي نزل فيه؟

أليس هو الذي شاور أصحابه في مسألة أسرى بدر؟ وفي الخروج إلى أحد؟

أليس هو الذي استمع إلى سلمان الفارسي الذي أشار عليه بحفر الخندق حول المدينة في غزوة الأحزاب؟

وعلى نفس الطريق سار أصحاب رسول الله، فبعد وفاته اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة وتشاوروا حول اختيار قائد لهم يسير على خطى محمد ﷺ وينفذ تعاليم الإسلام، وكان اختيار أبي بكر ليكون الخليفة الأول نتيجة للشورى.

وحينما اختار أبو بكر رضي الله عنه عمر بن الخطاب ليتولّى رعاية شؤون المسلمين بعده لم يتفرّد في هذا الاختيار بل شاور الصحابة في هذا الأمر ولذلك سارعوا إلى مبايعة عمر بعد وفاة الصدِّيق.

واستشار عمر المسلمين في فتح مصر وفي من يقود جيوش المسلمين في حرب فارس، وحينما طُعِنَ رضي الله عنه وأشرف على الموت اقترح على الأمة عدداً من أصحاب رسول الله لتختار رأس الدولة من بينهم.

ولم تكن الشورى محصورة في اختيار الخليفة بل كان الخلفاء يشاورون في شتّى الأمور التي تَعْرض لهم ومختلف المشاكل التي تواجه الأمة، كانوا يشاورون أهل الرأي في شؤون السياسة وأهل الفقه في شؤون الفقه.

إخوة الإسلام:

إن الدين قد كمل، وإن النعمة قد تمت، فلا يظنّنّ أحد أن أحكام الدين ومبادىء العقيدة خاضعة للأخذ والرد والتداول والتشاور في المجتمعات الإسلامية. إن التشاور يكون في كيفية تطبيق هذه الأحكام أو

في الأمور التي سكت عنها الشرع وتركها لجماهير المسلمين لتضع لها الحلول بناءً على قواعد الشريعة العامة.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

أيها المسلمون:

إن الشورى أمانة والمستشار مؤتمن، والأمانة تقتضي الصدق والأخلاص.

وإن الشورى مسؤولة والمسؤولية تقتضي حرية الإرادة.

ولن تُؤتِيَ الشورى ثمارَها إلا في ظل الحرية ولأخلاص فتشاوروا عباد الله في شتّى أموركم فلن تستقيم الأمور إلا بالشورى ولن يصلح أواخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ربُّوا أبناءكم وبناتكم على الشورى حتى يكونوا سادة أحراراً يرفضون الاستبداد والظلم:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].



(1) سورة يوسف: 50.

(2) سورة النحل: 90.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟...﴾

الحمد لله الذي وحَّدنا بالإيمان، وجمع كلمتنا بالقرآن، وألف بين قلوبنا بالإحسان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده جعلنا بنعمته إخوة وأمرنا بالتعاون على البرّ والتقوى.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحَّد صفوف المسلمين وحارب التفرق في الدين. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى من اتبع هديه إلى يوم الدين.

إخوة الإسلام:

إننا أمة واحدة بنص القرآن الكريم:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً...﴾[1].

يجمعنا الإيمان بالله الواحد، والمعبود الواحد، والخالق الواحد، والرازق الواحد، والمالك الواحد، والمشرع الواحد، والمهيمن الواحد:

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

ويجمعنا الإيمان بخاتم الأنبياء والمرسلين، المبلِّغ الأخير عن ربّ العالمين، والأسوة الخاتمة للمؤمنين:

---

(1) سورة الأنبياء: 92.

(2) سورة البقرة: 163.

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[1].

ويجمعنا الدستور: الواحد، والمنهج الواحد، والشريعة الواحدة، شريعة القرآن الكريم:

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ...﴾[2].

وتجمعنا القبلة الواحدة، قبلة التوحيد، قبلة إبراهيم، قبلة أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض:

﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ...﴾[3].

وتجمعنا أُخوّة الإسلام وقرابة العقيدة:

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ...﴾[4].

وتجمعنا آمال واحدة، وأشواق واحدة، وهموم واحدة، وآلام واحدة: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»**.

ويجمعنا الهدف الواحد، والغاية العظمى، رضوان الله عز وعلا: ﴿... وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ...﴾.

فكيف نفترق شيعاً وأحزاباً، ونحلاً ومللاً، تختلف وتتنازع، وتتناحر وتتصارع، ويسفّهُ بعضها بعضاً، ويضرب بعضها أعناق بعض، والله عزّ وجلّ ينادينا صباح مساء:

---

(1) سورة الأحزاب: 21.
(2) سورة الأعراف: 3.
(3) سورة البقرة: 144.
(4) سورة الحجرات: 10.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

وكيف نفرق كلمتنا، ونمزق صفوفنا، ونسلك سبيل المشركين والله عز وعلا يقول لنا:

﴿. . .وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[2].

وكيف ننقسم على أنفسنا، ونهدر طاقاتنا، ونجعل بأسنا بيننا، وندّعي الانتساب إلى محمد ﷺ والله يقول:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ. . .﴾[3].

وكيف نسلك سبيل التشيُّع والتحزُّب والتفرُّق ونعرّض أنفسنا لعقاب الدنيا والآخرة والله تعالى يقول:

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4].

وكيف نتحزب ونتفرق، ونضعف أمتنا، ورسول الله ﷺ يقول: **«يد الله على الجماعة ومن شذَّ شذَّ في النار»** ويقول: **«الجماعة رحمة والفُرقة عذاب»**.

(1) سورة آل عمران: 103.
(2) سورة الروم: 31 ـ 32.
(3) سورة الأنعام: 159.
(4) سورة آل عمران: 105.

وكيف يحارب بعضنا بعضاً والعدوُّ الصُّهيوني يحتل أرضنا، ويتربص بنا، ويستهدف أمتنا، ورسولنا ﷺ وصانا في خطبة الوداع: **«وستلقون ربكم فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد»**.

إخوة الإيمان:

إن حزب الله في القرآن ليس طائفة من المسلمين تنعزل عن المجتمع، وتتعالى على الناس، وتحتكر تفسير الدين، وتدَّعي تمثيل المسلمين، وتدَّعي أحقيتها في حكم البشر.

بل هو الأمة كلُّها والمسلمون جميعاً طالما أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجون البيت إن استطاعوا إليه سبيلاً.

وطالما أنهم يتبعون شريعة القرآن وطالما أنهم يزنون بموازين القرآن، ويقيمون بقيم القرآن ويحبون من أحب الله، ويكرهون من كره الله:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

والقرآن دائماً يشير إلى التحزُّب والتفرُّق في معرض الذم والإدانة، وفي معرض الحديث عن المجتمعات المنحرفة والأمم الضالة.

فالأحزاب هم القبائل المشركة التي تحالفت ضد المسلمين في معركة الخندق:

---

(1) سورة المجادلة: 22.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[1].

والأحزاب هم اليهود المكذّبون بعيسى عليه السلام:

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[2].

والأحزاب هم قوم لوط ونوح وثمود وعاد وأصحاب الأيكة من الكفار والمشركين:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾[3].

عباد الله:

لقد كان المجتمع الإسلامي في عهد رسولنا محمد ﷺ كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وكان المسلمون صفًّا واحداً في جهادهم، صفًّا واحداً في تعاونهم، صفًّا واحداً في أفراحهم وأتراحهم. وكان رسول الله ﷺ يرعى وحدة الصف المسلم بعينه، ويحارب كلّ نزعة للتحزب والتفرق، وكلّ دعوة للانقسام والعصبية. ويقضي عليها في مهدها قبل أن يستفحل خطرها وتستعصي معالجتها، وتهدّد وحدة المجتمع المسلم.

(1) سورة الأحزاب: 22.

(2) سورة الزخرف: 63 ـ 65.

(3) سورة صٓ: 12 ـ 13.

فحينما بلغ الرسولَ ﷺ أن الأوس والخزرج الذين وحّدهم الإسلام، وآخاهم الإيمان، وحقن دماءهم القرآن قد بدؤوا يتناشدون أشعارهم في الجاهلية، ويحيون أحقادهم القديمة، ويفسحون المجال للشيطان ليوقد بينهم نار العداوة والحرب، غضب رسول الله ﷺ وأدان هذا السلوك وقال لهم: «**أفبدعوى الجاهلية وأنابين أظهركم**».

وحينما اختلف غلامان على الماء في غزوة بني المصطلق، وصاح الأول: يا للمهاجرين، وصاح الثاني: يا للأنصار، وكاد الفريقان يقتتلان، أمر رسول الله ﷺ بالرحيل في ساعة لم يكن يرتحل فيها، وظل يسير بالقوم شطراً من النهار وطيلة الليل، حتى أعياهم المسير، ووقعوا نياماً، حينما حط الرسول الرحال. وبهذا السلوك الحكيم نسي المسلمون خلافهم، وحقنوا دماءهم، وصانوا وحدتهم.

وحينما اتخذ المنافقون مسجداً ضراراً، وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، بدعوى التخفيف على المريض والكبير وذي الحاجة بادر رسول الله ﷺ إلى إحراق ذلك المسجد حفاظاً على وحدة المجتمع المسلم، واستجابة لأمر الله العليم الحكيم:

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[1].

وإذا كنا أتباع رسول الله حقًّا، ونحب الله صدقاً، فلنتبع سنّة رسول الله ﷺ، ولنسرْ على خطاه، ولندع الفرقة والانقسام والتحزب والتعصب:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

---

(1) سورة التوبة: 108.

(2) سورة آل عمران: 31 ـ 32.

إن الله عز وجل قد هدانا إلى مبدإ الشورى الذي يحقق كرامتنا وحريتنا، ويحقق المساواة بيننا، ويضمن اجتماعنا ووحدتنا، ويصون مجتمعنا من أخطار التحزب والتفرق. فلنتمسك بهذا المبدإ القرآني لنكون من الذين قال الله فيهم:

﴿...وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ * وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1].



(1) سورة الشورى: 36 ـ 38.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ. . .﴾

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأكرمنا بالإيمان، وشرَّفنا بالقرآن. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمرنا أن نكون دعاة للحق، قوّامين بالقسط، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، لا نخشى في الله لومة لائم. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى أخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

عبادَ الله:

يتساءل كثير من المسلمين: ما بالنا ندعو فلا يستجاب دعاؤنا، ونسأل فلا نعطى سؤلنا، ونستنصر فلا يتحقَّق نصرنا؟.

وإذا عدنا إلى هذي نبيِّ الهدى والرحمة محمد ﷺ نجد سرَّ هذا الإخفاق والإحباط حيث يقول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: **«يا أيها الناس إن الله يقول لكم: مُرُوا بالمعروف وانْهَوْا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم»**.

نعم، إنالله يوصد أبواب الإجابة، وأبواب العطاء، وأبواب النصر في وجوه أولئك الذين يتشدَّقون بالإسلام في الوقت الذي لا يأمرون فيه بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ولا يدعون إلى خير.

لقد تخلَّوا عن القيام بواجبهم في الأرض فتخلَّت عنهم السماء، ونسوا حقَّ الله والمجتمع عليهم فنسيهم الله:

﴿... نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ...﴾(1).

إخوةَ الإسلام:

من المَهَمَّات التي أوكلها الله لنبينا محمد ﷺ مَهَمَّةُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

﴿... يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ...﴾(2)،

فما فارق الدنيا إلا بعد أن أقام دولة الإسلام، ورفع لواء الإيمان، ورسَّخ دعائم الخير والمعروف، وقوَّض أركان الشرّ والمنكر.

وكلفنا ربُّنا تبارك و تعالى بالقيام بهذه المَهَمَّة وحمْلِ هذه الرسالة.. رسالةِ الخير والإصلاح والهداية للبشرية كلِّها:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(3).

ودعانا رسولنا محمد ﷺ إلى الضرب على يد الأشرار، ووضْع حدٍّ للظلم والعدوان فقال: **«ما من نبيٍّ بعثه الله تعالى في أمة قبلي إلاَّ كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون منا لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، من جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّةُ خردل»**.

وبيَّن حبيبُنا محمدٌ ﷺ أنَّ بذلَ النصح للناس كافة مبدأٌ من مبادىء

(1) سورة التوبة: 67.
(2) سورة الأعراف: 157.
(3) سورة آل عمران: 104.

الدين، وجانبٌ من روحه وجوهره حين قال: **«الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال؛ لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كل مسلم لقوله ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس قاصراً على الجانب الأخلاقي بل هو شامل للعقيدة والعبادات والمعاملات والسياسة والاقتصاد، ويهدف إلى إصلاح المجتمع من كلِّ الجوانب. ولا يجوز لنا أن نركز على المنكر الأصغر في مجال الأخلاق وننسى المنكر الأكبر في مجال السياسة، إن موالاة أعداء الله منكر أكبر يجب مقاومته، وترك الحكم بما أنزل الله منكر أكبر يجب محاربته، والقوانين التي تكرس العنصرية والاستغلال والظلم الاجتماعي منكر أكبر يجب تغييره، والكيان العنصري الصَّهيوني التوسعي منكر أكبر يجب تصفيته، والتمزق والتخلف والاستسلام منكر أكبر يجب إنهاؤه، والتفرد بالسلطة والاستئثار بثروة الجماهير منكر أكبر يجب وقفه. يقول المصطفى ﷺ: **«سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»**.

إخوةَ الإيمان:

لقد بيَّن القرآن الكريم أن الأمر بالمعروف إنما هو سمةُ الأمة المسلمة وخصيصةٌ من أهم خصائصها، بها استأهلت القيادة وتبوأت منزلة السيادة والريادة:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾[1].

وما فقدت أمتنا خيريَّتَها وتفوقَها إلا بعد أن قعدت عن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(1) سورة آل عمران: 110.

ولقد أوضح القرآن أن الله يمنُّ بالنصر على أولئك الذين ينصرون الله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر:

﴿... وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾(1).

وقرر القرآن أن الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف هو سلوك المنافقين حتى يترفع المسلم عن مثل هذا السلوك المشين:

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ...﴾(2).

ولقد ذم القرآن علماء بني إسرائيل وندّد بهم لأنهم تخلفوا عن إصلاح المجتمع وإزالة المنكر والفساد:

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾(3).

واستحق بنو إسرائيل اللعنة والعذاب لأنهم تركوا واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ * كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾(4).

(1) سورة الحج: 40 ـ 41.
(2) سورة التوبة: 67.
(3) سورة المائدة: 63.
(4) سورة المائدة: 78.

أيها المسلمون:

إننا إذا تركنا واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا الفرض المقدس وتركنا الفجار والأشرار يعيثون في الأرض فساداً لساد الظلم والعدوان، وعمَّت الجهالة والفوضى، وانتفى العدل والأمن، وفسدت الأخلاق والضمائر، وهلكت البلاد والعباد طائعهم وعاصيهم، فخطر الفساد لا يقتصر على المفسدين والأشرار، بل يتهدد الصالحين والأخيار، لأن الأشرار لا يمكن أن يتركوا الأخيار وشأنهم. والضرب على يد الفجار هو الذي يقف طوفان الفساد وينقذ المجتمع من الدمار:

﴿. . .وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

ولقد صوَّر رسولنا ﷺ أهمية التصدي للأشرار ودوره في إنقاذ المجتمع من الهلاك والدمار أبدع تصوير حين قال: **«مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، صار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها. فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على مَنْ فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ مَنْ فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»**.

إنها سفينة الحياة فيها البَرُّ وفيها الفاجر، فإذا ترك الأبرارُ الفجارَ يفعلون ما يشاؤون عطلوا السفينة وغرق الجميع، وإذا ضربوا على أيديهم نجا الجميع.

والشر يبدأ صغيراً فإذا سكتنا عليه كبر واتسع ولذلك خير لنا أن نحبطه في مهده.

يا أتباع محمد ﷺ:

إن الله إذا أراد معاقبة المنحرفين والمفسدين فإن عقوبته لا تنزل بأولئك العصاة فقط بل تشمل الساكتين على المنكر والراضين به:

---

(1) سورة البقرة: 251.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

ويقول الرسول ﷺ مؤكداً هذا المعنى: «**ما من قوم يُعمَل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيِّرو ثم لم يغيِّروا إلا يوشك أن يعمَّهم الله بعقاب منه**».

ولقد قص الله علينا في القرآن الكريم قصة القرية اليهودية التي كانت حاضرة البحر وعصى بعض أهلها أمرَ الله تعالى واصطادوا السمك يوم السبت وهو محرَّم عليهم، وانقسم الناس فيها ثلاث طوائف: طائفة عاصية، وطائفة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، وطائفة ثالثة سكتت على المنكر ولامت الفئة الناهية عنه قائلة:

﴿... لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا...﴾[2].

فكان جواب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر:

﴿... مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[3].

لقد فعلنا ذلك قياماً بالواجب وطاعة لله ورغبة في إصلاح هذه الفئة الباغية. فماذا كانت النتيجة؟

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[4].

لقد نجى الله الفئة التي نهت عن المنكر، وعاقب الظالمين والساكتين على الظلم معاً. وقد يعجز الواحد منا عن إصلاح المجتمع بالأمر بالمعروف

---

(1) سورة الأنفال: 25.
(2) سورة الأعراف: 164.
(3) سورة الأعراف: 164.
(4) سورة الأعراف: 165.

والنهي عن المنكر، ولكنه يكون قد قام بواجبه، ورفع المسؤولية عن كاهله، وأنقذ نفسه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ولو أن كلاً منا قام بهذا الواجب لانتفى الفساد من المجتمع.

إخوة الإسلام:

إن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن يصلح نفسه أولاً ويلزم نفسه بما يدعو إليه. ولن تؤثر الدعوة في الناس إلا إذا كانت صادرة من قلب مخلص ومن شخص ملتزم. ولقد ذمَّ الله اليهود وندَّد بهم لأنهم كانوا يأمرون الناس بالمعروف ولا يلتزمون به:

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1]. ودعا الله عزّ وجلّ المؤمنين إلى مطابقة الفعل للقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[2].

وبين الرسول ﷺ أية عقوبة فظيعة شنيعة تنتظر أولئك الذين يأمرون بالمعروف ولا يلتزمون به وينهون عن المنكر ويقعون فيه حين قال: «**يُؤتَى بالرجل يوم القيامة فيُلقَى في النار فتندلق أقتابُ بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحَى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك، ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بَلَى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه**».

وعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتسلح بالإخلاص والتوكل على الله والصبر على الأذى وأن يتذكر قول الله تعالى على لسان لقمان:

---

(1) سورة البقرة: 44.

(2) سورة الصف: 2 ـ 3.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[1].

يا أحباب الله:

إذا أردنا أن نعيد للدين مكانته وعزته.

وإذا أردنا أن نعيد لأمتنا أمجادها وسيادتها.

وإذا أردنا للحق أت ينتصر وللباطل أن يندحر.

وإذا أردنا للعدل أن يسود وللأمن أن ينتشر.

وإذا أردنا السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة.

فما علينا إلا أن نكون مشاعل هداية في دياجير الظلمة والجهل..

ما علينا إلا أن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر.

ما علينا إلا أن نحاول تغيير الواقع السّيء حتى يتحقق فينا قول الله عز وعلا:

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[2].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



---

(1) سورة لقمان: 17.

(2) سورة التوبة: 71.

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ. . .﴾

الحمد لله الرحمن الرحيم، غافر الذنب وقابل التوب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمر بالعدل والإحسان والعفو والغفران. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عفا عند المقدرة، وقابل الإساءة بالإحسان. اللهم صَلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم لقاء الواحد الديان.

أيها المسلمون:

إن ربنا رحمٰن رحيم، وسعت رحمته كلَّ شيء، وشملت جميع الخلق، واستوعبت الدنيا والآخرة. اسمعوا ماذا تقول الملائكة الأطهار وكيف يبتهلون ويدعون ويستغفرون لنا ونحن غافلون:

﴿. . .رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ❁ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(1).

وربنا عز وجل غفور رحيم، عفو كريم، يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ويغفر الذنوب ويضاعف الحسنات:

(1) سورة غافر: 7 ـ 8.

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[1].

ولقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: «**يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: اللهم إنك عفوٌ تحب العفوَ فاعف عني**» وكرم الله واسع، ومغفرته عريضة، وفضله عميم، فهو يغفر الذنوب جميعاً حينما يؤوب إليه المخطئون، ويقبلون عليه وهم نادمون مستغفرون:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

أيها المؤمنون:

إن رسولكم محمداً ﷺ كان مثلاً أعلى في الرأفة، وقمةً سامقةً في الرحمة. وكيف لا يكون كذلك وقد أرسله الله رحمةً للعالمين؟ كيف لا يكون كذلك وقد قال فيه ربُّ العزة جل وعلا:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

كيف لا يكون كذلك وهو القائل: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

ولقد كان رسولكم نموذجاً للعفو والتسامح، والصفح والمغفرة. أليس هو الذي كان يُكذَّب ويُعذَّب، ويُشتَمُ وَيُسَبُّ، ويتعرض للسخرية

---

(1) سورة النساء: 149.

(2) سورة الزمر: 53.

(3) سورة التوبة: 128.

والاستهزاء، وتُلْقَى على ظهره الأوساخ وهو ساجد فلا يزيد على أن يقول لخالق الأرض والسماء: **اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**؟.

أليس هو الذي كذّبه أهل الطائف وسلطوا عليه صبيانهم وسفهاءهم وعبيدهم يضربونه بالحجارة حتى أدموا قدميه، وشجوا رأسه، وبعث الله إليه مَلَكَ الجبال وعرض عليه أن يطبق عليهم الأخشبين ويجعلهم أثراً بعد عين، فما كان منه إلا أن أبى قائلاً: «**بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً**»؟.

أليس هو الذي كان يغفر ويصفح بعد كلّ محاولة لقتله واغتياله؟ أليس هو الذي قال لكفار مكة الذين آذوه وكذبوه، وحاربوه وتآمروا عليه، وأخرجوه من أرضه وبلده، وقتلوا أقرباءه وأصحابه: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

لقد كان رسولنا ﷺ في عفوه ورحمه، وصفحه وتسامحه مستجيباً لأمر الله القائل:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾(1) وكان منفذاً لأمر الله القائل: ﴿. . . فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾(2) وكان عاملاً بأمر الله القائل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(3).

إخوة الإسلام:

إن المسلم هو الذي يتخلّق بأخلاق الله، ويقتدي بسنة رسول الله ﷺ. فكونوا رحماء لأن الله رحيم، ولأن رسول الله رحيم. وكونوا من العافين عن الناس لأن الله عفو، ولأن نبيه كان من العافين،

---

(1) سورة آل عمران: 159.

(2) سورة الحجر: 85.

(3) سورة الأعراف: 199.

واغفروا واصفحوا الصفح الجميل لأن الله غفور رحيم ولأن أسوتكم محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام كان قمةً في صفحه ومغفرته.

واعلموا - إخوة الإسلام - أن المؤمنين الحقيقيين وأتباع محمد الصادقين إنما هم أولئك الذين يتراحمون فيما بينهم ويتعاملون بالودّ والتسامح:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ...﴾[1]

إنهم أولئك الذين يخفضون جناحهم لإخوانهم المؤمنين، ويتواضعون لهم ويحرصون على مودتهم:

﴿...أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ...﴾[2].

والذين يقلبون المعادلة ويعاملون المؤمنين بالقسوة والغلظة ويعاملون الكفار والأعداء باللطف والمجاملة يجب أن يراجعوا إيمانهم وإسلامهم.

إن المؤمنين الصادقين هم أولئك الذين يغفرون الزلات، ويتجاوزون عن الهفوات، كما وصفهم الحق جل وعلا في كتابه الكريم حين قال:

﴿...وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[3].

إخوةَ الإيمان:

إن الإنسان ما دام يخالط الناس، ويعايش الخلق فلا بد من أن يتعرض للأذى، ولا بد من أن ينتظر الإساءة مهما يبلغ من التقوى والفضيلة والصدق والأخلاص، فكم من نبي ناله الأذى، وكم من صدّيق وصالح كان هدفاً للإساءة، وما أكثر الذين قوبل معروفُهم بالنكران، وما أكثر الذين قوبلت تضحياتُهم بالجحود. ولو قابل كلٌّ منا السيئة بمثلها لعشنا في صراع دائم، وانتشرت العداوات والأحقاد، وانقطعت الأواصر

---

(1) سورة الفتح: 29.

(2) سورة المائدة: 54.

(3) سورة الشورى: 37.

والصلات، وأصبحت الحياة جحيماً لا يطاق. ومن أجل سعادة المجتمع واستقراره، وتوطيد علاقات المحبة والأُخُوَّةِ بين أفراده دعا القرآن إلى العفو والتسامح، وحضَّ على كظم الغيظ وضبط النفس، وحثَّ على مقابلة الإساءة بالإحسان، والأذى بالصفح الغفران:

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1].

فادفعوا - إخوةَ الإسلام - بالتي هي أحسن، وقابلوا الإساءة بالإحسان حتى تزرعوا المحبةَ محلَّ البغضاء، والاتفاقَ محلَّ الخصومة والأمنَ محلَّ الخوف. واصفحوا حتى تكونوا من الصابرين والمحظوظين.

أحبابَ الله:

إن العفو والتسامح لدليل على قوة الإرادة، وصلابة العزيمة، وعلامة على ضبط النفس، وكبح شهوة الانتقام، والتعالي على التوافه والسفاسف. ولهذا يقول الحقُّ جلَّ وعلا:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[2].

وكلما عظم الرجل وحلّق في آفاق الرفعة، اتسع صدره، وزاد حلمه، والتمس الأعذار للناس، وارتفع فوق الأذى وفوق الجراح. يقول الأحنف بن قيس المشهور بالحلم: «ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاثٍ: إن كان فوقي عرفت له فصله، وإن كان مثلي تفضلتُ عليه، وإن كان دوني أكرمتُ نفسي عنه».

فاعفوا واصفحوا - إخوةَ الإسلام - فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ولا يُزَيِّنَنَّ لكم الشيطان أن العفو ضَعَفٌ وذل،

---

(1) سورة فصلت: 34 ـ 35.

(2) سورة الشورى: 43.

وجبن وخَور، فرسولكم محمد ﷺ يقول: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلاّ عزًّا، وما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله**» (مسلم).

فاعفوا واصفحوا حتى تَعَزُّوا، وتواضعوا حتى تسموا وتعلوا.

أيها المسلمون:

إذا كنتم تتطلعون إلى رحمة الله، وتنشدون مغفرته، وتبغون ثوابه وأجره، فسارعوا إلى العفو والمغفرة:

﴿...وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]

﴿...فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[2].

إذا كنتم تبغون جنةً عرضُها السماواتُ والأرضُ فهلمُّوا إلى الصفح والتسامح:

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]

فاكظموا الغيظ، وطهِّروا قلوبكم من الحقد والضغنية، واعفوا عن المسيئين وكونوا من المحسنين تظفروا بمحبة أحكم الحاكمين.

يروى - إخوةَ الإسلام - أنه كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه قريب يدعى مسطح بن أثاثه، وكان أبو بكر ينفق عليه، فلما تحدث الناس بحديث الإفك واتُّهِمَتْ عائشةُ زوجُ رسول الله ﷺ وبنتُ أبي بكر بالفاحشة زوراً وبهتاناً خاض هذا الرجل في عرض السيدة عائشة مع الخائضين،

---

(1) سورة التغابن: 14.

(2) سورة الشورى: 40.

(3) سورة آل عمران: 133 ـ 134.

ونسي حقَّ الإسلام، وحقَّ القرابة، وحقَّ المعروف، فقرر أبو بكر أن يقطع عنه عطاءه جزاءَ خيانته وإساءته، فأنزل الله آيات بينات تصحح المسار، وتهدي إلى التي هي أقوم، وتدعو إلى التي هي أحسن، وتعلِّم القيم الرفيعة والفضائل السامية:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

واهتز قلب أبي بكر لهذا النداء الإلهي، واستجاب لهذه الدعوة الكريمة فارتفع فوق الآلام، وفوق الإساءة، وفوق حب الانتقام، وتطلع إلى مغفرة الله ورضوانه، ونعيمه وجنانه، وقال: «بلى إني أحب أن يغفر الله لي، والله لا أنزعها منه أبداً» وعاد ينفق في السراء والضراء على القريب العاق المسيء.

إخوة الإسلام:

إن العفو الحق هو العفو عند المقدرة، هو العفو العزيز الذي لا تضيع معه حقوق العباد، ولا يسود به البغي والفساد، ولا تُهْدَرُ معه الكرامة، و يتهدد الأمن والسلامة. وليس عفواً ذاك الذي يصدر عن العجز والخوف، أو ينتج عن التهديد والإرهاب، وإنما هو ذل واستكانة. وليس عفواً ذاك الذي يطلق يد الجريمة، ويطلق سراح الرذيلة، ويخلي سبيل التخريب والفساد، وإنما هو حماقة وسفاهة.

ولذلك رأينا رسول الله ﷺ لا يتسامح مع المعتدين، ولا يصفح عن الظالمين، إلا بعد أن يعيد الحقَّ إلى نصابه، ويضع حدًّا للعدوان، ويقطع دابر الشر والطغيان.

ورأينا رسول الله ﷺ لا يصفح عن أهل مكة إلا بعد أن أنصف

---

(1) سورة النور: 22.

حلفاءه بني خزاعة الذين غدر بهم المكيون، وبعد أن دانت مكة لحكم الإسلام وانكسرت فيها شوكة الظلم والعدوان.

ورأينا رسول الله يصفح عن أهل مكة جميعاً عدا عدة أنفار أمر بقتلهم حتى لو تعلَّقوا بأستار الكعبة، لأنهم كانوا يؤذون المسلمين أشد الأذى، ويذيقونهم ألوان العذاب في العهد المكي، ولأن العفو عنهم لا يصلحهم، بل يدفعهم إلى اقتراف المزيد من الجرائم والمظالم.

ورأينا رسول الله ﷺ لا يصفح عن يهود بني قريظة، بل يقرر قتلهم جميعاً، لأنهم ارتكبوا جريمة الخيانة العظمى ونقضوا عهدهم مع المسلمين، وتحالفوا مع الأحزاب والمشركين الذين هاجموا المدينة المنورة بهدف القضاء على دولة الحق والهدى، والعدل والحرية. ولأن العفو عنهم كان سيدفعهم إلى الجرأة على العدوان، والإقدام على الخيانة من جديد.

بينما كان الرسول ﷺ مستلقياً تحت شجرة أخذته إغفاءةٌ فانتهز هذه الفرصة أحد الأعداء، وقام على رأس رسول الله بالسيف فقال: **مَنْ يمنعك مني؟ فقال: الله. فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال؛ من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ. قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. فقال؛ لا. غير أني لا أقاتلك، ولا أكون معك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلَّى سبيله، فجاء أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس.**

وهكذا عفا رسول الله عند المقدرة، وعفا عفواً حوَّل العدوَّ إلى صديق يشيد بأخلاق نبي الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام. اللهم اجعلنا من العافين عن الناس، والعافين عند المقدرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ. . .﴾

الحمد لله خالق الإنسان، وواضع الأرض للأنام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمر بالعمل والعمران، وجعل العمل دليلاً على الإيمان، وسبيلاً إلى الجنة والرضوان.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام العاملين المكافحين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى أتباعه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

إخوةَ الإيمان:

يقول الحق جل علا:

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

إن الله عزّ وجلّ يدعونا في هذه الآية إلى العمل، عمل العبادة وعلم الكسب، عمل الدين وعمل الدنيا، عل اليد وعمل الفكر. ويخبرنا الله عزّ وجلّ أنه شاهد على أعمالنا لا يخفى عليه شيء منها في السر أو العلن وسوف ينبئنا بها، ويجازينا عليها يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى اللّهَ بقلبٍ سليم.

وإن غاب عن الناس عملٌ صالح قام به عبدٌ من العباد فإن الله يقول:

---

(1) سورة التوبة: 105.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1].

إخوةَ الإسلام:

إن دينكم دين العمل، ودين البناء، ودين الإنتاج.

ولا يرضى الإسلام لأتباعه أن يكونوا كسالى قاعدين يعيشون عالةً على الناس.

ولا يرضى الإسلام لأتباعه أن يكونوا متأخرين متخلفين يسيرون في مؤخرة الركب.

ولا يرضى الإسلام لأتباعه أن ينتظروا رغيف الخبز من الآخرين.

ولا يرضى الإسلام لأتباعه أن يعيشوا تحت رحمة الأمم الأُخَرَ حياة الذل والتبعية، وحياةَ العجز والهزيمة.

إن الإسلام يريد من أتباعه أن يكونوا عاملين مجدِّين، وأغنياءَ مكتفين، وأعزةً مستقلين، وسادةً متقدمين.

والإسلام يريد من أتباعه أن يضربوا في الأرض، ويستخرجوا كنوزها الثمينة، وثرواتها العظيمة التي سخرها الله لهم، ليحققوا الكفاية في الإنتاج، والأمن للمجتمع، والسيادة والسعادة للأمة.

يقول الحقُّ تبارك وتعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[2].

---

(1) سورة يونس: 61.

(2) سورة الملك: 15.

ويقول الله عز وعلا:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

ورسولنا محمد ﷺ كان يحث دائماً على الجد والعمل، والاعتماد على الذات، وكسب العيش بالسعي والكد، وصون النفس عن ذلِّ السؤال: يقول الحبيب المصطفى ﷺ: **«لأَنْ يحمل أحدكم حبله على ظهره فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»**. ويقول صلوات الله عليه وسلامه: **«ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيرٌ من أن يأكلَ من عملِ يده وإن نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده»**.

ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال: **«إني أرى الرجل فيعجبني، فأسأل: ألَهُ حرفة؟ فإن لم يكن له حرفة سقط من عيني»**.

ورسولنا القدوة محمد ﷺ عمل بالرعي، وعمل بالتجارة، وكان يقاتل مع المقاتلين، ويبني المسجد مع البانين، ويحفر الخندق مع المؤمنين، ويحمل التراب على ظهره كسائر العاملين، وحين كان مع أصحابه في سفر وأرادوا إعدادَ الطعام قال: **وعليَّ جمعُ الحطب**.

أيها الأحباب:

إن ديننا الحنيف لا يرضى أن يتفرغ المؤمن للعبادة وينقطعَ عن العمل والسعي، ويعيشَ عالةً على الناس.

فالعمل في نظر الإسلام واجبٌ وفريضة، وطاعة وعبادة: أخذ أصحاب رسول الله ﷺ ذات يوم يُثْنُون على رجلٍ ويذكرون أنه يصوم النهار، ويقوم الليل، ويكثر الذكر. فسألهم رسولُ الله ﷺ: **أيكم يكفيه طعامَهُ وشرابَهُ؟ قالوا: كلُّنا يا رسول الله. فقال: كلُّكم خيرٌ منه**.

---

(1) سورة الجاثية: 12 ـ 13.

وحينما رأى عمر رضي الله عنه قوماً قابعين في المسجد بعد صلاة الجمعة، قاعدين عن العلم بدعوى التوكل على الله نهرهم قائلاً: «**لا يقعدَنَّ أحدُكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة**».

والعمل في نظر الإسلام جهادٌ في سبيل الله وسعي من أجل مرضاة الله: لقد امتدح الصحابة رضوان الله عنهم رجلاً جلداً نشيطاً فقال الرسول ﷺ: **إن كان خرج يسعى على أولادٍ صغار فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين فهو في سبيل الله**.

أيها المؤمنون:

إن المؤمن لا يندفع إلى العلم خوفاً من السلطة، ولا يُساق إلى العمل سَوْقَ القُطْعان، ولا يذهب إلى العمل خشيةَ الفقر والحرمان، ولا يُقْبِلُ على العمل طمعاً في تكديس الأموال، وإنما يندفع إلى العمل بدافع من ذاته، وحافزٍ من عقيدته التي تعلِّمه أنه خلِقَ للعمل ولعمارة الكونَ بالحق والخير والعدل: يقول الله تبارك وتعالى:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾[1].

ويتوجه المؤمن إلى العمل بدافع من عقيدته التي تعلِّمه أن الجزاءَ على قدر العمل، والثوابَ على قدر السعي، والأجرَ على قدر الجهد: يقولُ الله عزّ وجلّ:

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾[2].

ويندفع المؤمن إلى العمل بدافع من عقيدته التي تعلِّمهُ أن عمله نوعٌ

---

(1) سورة هود: 61.

(2) سورة النجم: 39 ـ 41.

من العبادة يتقاضى أجرَها في الآخرة حتى لو أخذ أجرها في الدنيا: يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1].

ويقول الرسول ﷺ: **«ما من مسلم يغرسُ غرساً أو يزرعُ زرعاً فيأكل منه إنسان أو طيرٌ أو بهيمة إلا كانت له صدقة»**.

ويُقبِلُ المؤمن على العمل بحافزٍ من عقيدته التي تعلّمُه أن اللّهَ مطلعٌ على أعماله ومحاسبُهُ عليها، وسائلُهُ عن عمره فيما أفناه، وعن سجده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به.

وينكبُّ المؤمن على عمله بدافع من عقيدته التي تعلّمه أن الخلاص لا يكون إلا بالعمل، والنجاة لا تكون إلا بالجد، والفوز بالجنة لا يكون إلا بالسعي، والخلود في النعيم لا يكون إلا بالكفاح: يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

ولذلك ـ أحبابَ الله ـ فإن المؤمن الحقيقيّ لا يزوِّر التقارير الطبية ليتهرب من العمل، ولا يلفق الأكاذيبَ ليتأخرَ عن العمل، ولا يسرق من وقت العمل، ولا يخرِّب الآلات حتى يقف عن العمل.

إن الذين يزوِّرون التقارير ليتهربوا من العمل يرتكبون خمس جنايات في وقت واحد: جنايةَ الحرمان من ثواب العمل، وجنايةَ الكذب، وجنايةَ المرتب الحرام، وجنايةَ تعطيل مصالح العباد، وجنايةَ المساهمة في تأخر البلاد.

---

(1) سورة الزلزلة: 7 ـ 8.

(2) سورة الزخرف: 72.

والذين يتهربون من القيام بواجب العمل ويحضرون إلى مواقع العمل ولا يعملون، ويضيِّعون الوقت في الثرثرة ومطالعة الصحف واحتساء القهوة، ويظنون أن هذا السلوك شطارة وحنكة، هم من الأخسرين أعمالاً الذين ضلَّ سعيُهُم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

إن المؤمن الحقيقيَّ هو الذي يحرص على عمله حتى يكسبَ رزقَه حلالاً، وينالَ أجرةً في الآخرة مضاعفاً، ويحققَ الهدفَ من وجوده كاملاً، ويخدمَ مجتمعه، ويساهمَ في تقدم بلده مخلصاً ويرضيَ ضميره، ويرضيَ ربَّه وخالقَه أولاً وآخراً.

أيها الأحباب:

إن المسلم لا يعمل فحسب بل يتقن عمله، ويجيد إنتاجه، لأنه يعلم أن الله عز وجل مراقبُهُ ومحاسبُهُ، وأن الله عزّ وجلّ سيكافئه على الإتقان، ولأنه يعمل بوصية الحبيب المصطفى محمد ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**».

والمسلم ـ عبادَ الله ـ لا يتسرع قطّ ثمارِ عمله، ولا يهمه أن يجنيَ هذه الثمار في حياته، ولا يعمل ليومه فحسب بل يبني للمستقبل، ولا يعمل لنفسه فحسب بل للآخرين أيضاً. إنه يعمل لوطنه ولأمته بل يعمل من أجل خير الناس جميعاً.

رأى بعض الناس أبا الدرداء صاحبَ رسول الله ﷺ يغرسُ شجرة جوز وهو شيخ عجوز فقالوا له: أتغرس هذه الجوزةَ وأنتَ شيخٌ كبير وهي لا تثمر إلا بعد سنين؟! فأجاب أبو الدرداء رضي الله عنه: وماذا عليَّ أن يكونَ لي ثوابُها، ولغيري ثمرتُها؟!

عبادَ الله:

إن أمتنا تخوض معركةَ التنمية والتطور والتقدم، وتخوض معركةَ تحقيق الاكتفاء الذاتي، ومعركةَ الاستقلال الاقتصادي، ومعركةَ الصمود في وجه التحديات الصليبية والصّهيونية التي تستهدف تجريدَ هذه الأمة من مقوّمات الصمود، وأسلحة المواجهة، وأدوات النصر، وإن أعداءنا يستغلون

كلّ لحظة في إحراز المزيد من التقدم، والمزيد من الإنتاج، والمزيد من أسلحة الهيمنة والسيطرة والتوسع.

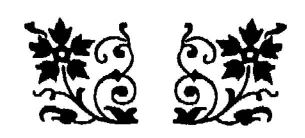
ولا سبيل لنا إلا العمل المخلص، والسعي الدؤوب، والكفاح المتواصل، حتى نحافظ على وجودنا وعقيدتنا واستقلالنا، وحتى ننتزعَ حقَّنا ونستعيدَ أرضنا.

والمعركة بحاجة إلى جهد كلِّ عامل، واجتهاد كلِّ باحث، وإبداع كلِّ عالم، وصمود كلِّ جندي، وإنتاج كلِّ مزارع أو صانع، وخدمة كلِّ موظف، وإخلاص كلِّ طبيب أو مهندس أو معلم. وجِدِّ كلِّ طالب.

والمعركة شرسة وطويلة تحتاج إلى التضحية والسهر، والتفاني والإخلاص، والعطاء المتواصل، والعمل المستمر:

يقول الرسول ﷺ: **«إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»**.

فإلى العمل ـ أيها الأحباب ـ، إلى البناء والعطاء، إلى الإبداع والإتقان من أجل تحقيق النصر في معركة التقدم والكفاية، ومعركة العزة والكرامة، ومن أجل يوم أسعد، وغدٍ أفضل، ومن أجل رضوانٍ من الله وجناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ونعم أجر العاملين.



﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ. . .﴾

الحمد لله العليم الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده جعل الدين مبنيّاً على العلم واليقين، وأمر أن تبنى الحقائق على البراهين، ودعا إلى النظر في السماوات والأرضين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله دعا إلى توقير العلماء، وبيّن أنهم ورثة الأنبياء. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أتباعه الأتقياء.

أيها المؤمنون:

يقول الله جلّ وعلا:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

هذه الآيات الكريمة أول ما نزل على نبينا محمد ﷺ من القرآن الكريم، بينما كان يتأمل ويتعبّد في غار حراء، في شهر رمضان المعظم.

وتبدأ هذه الآيات بكلمة ﴿ٱقْرَأْ...﴾ والدعوة إلى القراءة دعوة إلى العلم، ودعوة إلى المعرفة، ودعوة إلى البحث والنظر، ودعوة إلى الحق واليقين. ومعنى ذلك أن الإسلام منذ اللحظة الأولى حضّ على العلم، وأشاد بالمعرفة.

---

(1) سورة العلق: 1 ـ 5.

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تدعو إلى البحث والنظر واكتشاف نواميس الكون وكنوز الأرض، يقول الحق جلّ وعلا:

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ...﴾[1].

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

بل إن القرآن يدعونا إلى النظر في آيات الله المبثوثة في الكون لنصل إلى الإيمان بوجود الله ووحدانيته وقدرته المطلقة. فالعلم ـ لا ريب ـ يقود إلى الإيمان، ويبني اليقين:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3].

ولقد بيّن رسولنا ﷺ أن طلب العلم فريضة على المسلمين كافة ذكوراً وإناثاً حين قال: «**طلب العلم فريضة على كلّ مسلم**».

ولم يميز رسولنا ﷺ بين علوم الدين والدنيا. فطلب العلم بشتى أنواعه فريضة، والمسلم ينهل من العلم، ويسعى إلى المعرفة بقدر المستطاع. وكل علم تحتاج إليه الأمة هو فرض كفاية إذا لم يقم به بعض أفراده وقعت كلّها في الإثم.

والإسلام يعتبر طلب العلم نوعاً من الجهاد والعبادة، وسبيلاً إلى رضوان الله وجنات تجري من تحتها الأنهار:

---

(1) سورة يونس: 101.

(2) سورة العنكبوت: 20.

(3) سورة البقرة: 164.

يقول الرسول ﷺ: «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**» ويقول صلوات الله عليه وسلامه: «**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع**».

ورسولنا ﷺ - تقديراً منه للعلم والمعرفة - جعل فداء بعض الأسرى في معركة بدر تعليم عشرة من أولاد المسلمين.

إخوة الإسلام:

إننا حينما نقرأ القرآن، ونتدبر معانيه وتعاليمه، نجد أنه لم يحضّ على العلم فحسب، بل وضع أُسس المنهج العلمي الذي صنع النهضة العلمية الإسلامية وأثر في النهضة العلمية الغربية.

فالقرآن الكريم يدعو إلى ربط الحقائق بالأدلة والبراهين، وبناء العقائد على العلم واليقين:

﴿...قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[1].

﴿...قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ...﴾[2].

وهذا موسى عليه السلام يطلب من الله تبارك وتعالى أن يريَه ذاته العلية:

﴿... رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ...﴾.

وهذا إبراهيم عليه السلام يطلب من الله أن يريَه كيف يحيي الموتى:

﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ...﴾[3].

لا لشكهما في قدرة الله ووجوده:

---

(1) سورة البقرة: 111.

(2) سورة الأنعام: 148.

(3) سورة البقرة: 260.

﴿. . . وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى . . .﴾[1] أي لترسيخ اليقين بالمشاهدة والمعاينة.

والقرآن يمنع التقليد الأعمى الذي يجمّد العقول، ويعرقل تطور المعرفة، وتقدم العلوم:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[2].

والقرآن يدعو إلى التجربة واستعمال الحواس من أجل الوصول إلى الحقائق:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ . . .﴾[3].

والرسول ﷺ بيّن أن ظواهر الطبيعة مستقلة عن الإنسان ولها نظامها الإلهي الخاص: فيوم توافقت وفاة ولده إبراهيم مع كسوف الشمس، وظن الناس أن الشمس كسفت بسبب موت إبراهيم بَيَّنَ الرسول ﷺ لهم الحقيقة، وطرد من عقولهم الخرافة وقال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته**».

إخوة الإيمان:

إن ديننا الحنيف يكرّم العلماء الذين ينوّرون العقول، ويظهرون الحقائق، ويدعون إلى الحق، ويخترعون ويبتكرون منا يسعد البشرية.

والإسلام يرفع العلماء إلى مصاف الأنبياء ويعتبرهم الأمناء على تراث النبوة، وحملة الرسالة بعد الرسل، يقول الرسول صلوات الله عليه

---

(1) سورة البقرة: 260.

(2) سورة البقرة: 170.

(3) سورة الحج: 46.

وسلامة: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر**».

والقرآن يشيد بالعلماء وسمو منزلتهم، يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

والقرآن يبيِّن أن للعلماء العاملين مكانة عالية في الدنيا والآخرة: يقول الحق جل وعلا:

﴿...يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2].

والقرآن يبيِّن كذلك أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله وانقياداً لأمره، لأنهم أعرف الخلق بقدرته وإبداعه وعظمته وكماله وفضله وكرمه، وما هو أهل له من العبادة والطاعة، والتسبيح والحمد، ولأن العلم والدين صنوان، والمزيد من العلم يستدعي المزيد من الإيمان والعمل:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[3].

وأوضح الرسول ﷺ أن ما يخلِّفه العلماء بعد موتهم من آثار نافعة وعلوم مفيدة تظل رصيداً لهم يدر عليهم الأجر والثواب: يقول الرسول ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقةٍ جارية،**

(1) سورة الزمر: 9.
(2) سورة المجادلة: 11.
(3) سورة فاطر: 27 ـ 28.

أو علم ينتفع به بعده، أو ولدٍ صالح يدعو له». والواجب على المسلمين جميعاً أن يوقّروا العلماء، ويكرموهم، وينزلوهم المنزلة اللائقة بهم. يقول الحبيب المصطفى محمد ﷺ: **«ليس منا من لم يوقّر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه»**.

عبادَ الله:

إن العلم الذي يمن الله به على العلماء أمانة في أعناقهم، ينبغي أن يبلّغوه للناس، ويعلّموه لطلاب المعرفة، حتى يستفيد منه المجتمع جيلاً بعد جيل.

والعالم مسؤول عن علمه بين يدي الله يوم القيامة:

يقول الرسول ﷺ: **«لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»**. ويقول الرسول ﷺ: **«نَضَّرَ اللّهُ آمْرَأً سمع منا شيئاً فبلّغه كما سمعه فرب مبلّغ أوعى من سامع»**.

ولقد توعّد الله تبارك وتعالى بأشد العذاب أولئك الذين يكتمون ما أنزل الله من الحق أو يحرّفون الكلم عن مواضعه من أجل المصالح الذاتية والمنافع المادية: قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(1).

أيها الإخوة:

إن العلم بحر واسع، ومهما يبلغ الإنسان من العلم يظل يجهل الكثير:

---

(1) سورة البقرة: 174.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

ولا ينبغي للعالِم أن يتكبر مهما نال من العلم، لأن التكبر يضيّع العلم والأجر معاً. والعَالِمُ الحق هو الذي يرفع يديه إلى السماء ويقول:

﴿. . .رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا. . .﴾[2].

والعالِمُ الحق لا يتكبر عن السؤال، ولا يقعد عن طلب المزيد من العلم، فهذا نبي الله موسى عليه السلام يرحل في طلب العلم ويلزم الرجل الصالح ليتعلم منه برغم أن موسى عليه السلام كان أفضل أهل زمانه:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۞ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[3].

والعلم نعمة من نعم الله العظيمة التي تقتضي الشكر والحمد، وتقتضي العمل والالتزام، وتقتضي التوظيف في الخير والمعروف. والذين يتقون الله في علمهم ومعارفهم، يفتح الله عليهم، وينوّر بصائرهم، ويزيدهم من فضله، ويهديهم سبله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4].

أيها الأحباب:

لِنقبلْ على العلم، ولْنحضّ أبناءنا وبناتنا على طلب العلم، ولْنعملْ

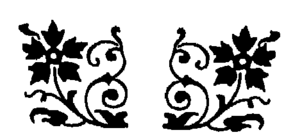
(1) سورة الإسراء: 85.

(2) سورة طه: 114.

(3) سورة الكهف: 65 ـ 66.

(4) سورة الأنفال: 29.

بعلم، ولْنعملْ بالعلم، ولْنبنِ نهضتنا بالعلم، ولْنَصْنَعْ مستقبلنا بالعلم، ولْنعملْ لدنيانا وآخرتنا بالعلم، فسعادة الدنيا ونجاة الآخرة للعالِمين العاملين.



﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ. . . ﴾

الحمد لله الذي خلق النساء من جنس الرجال، وسوّى بينهما في الإنسانية والتكليف بصالح الأعمال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده أمر بالإحسان إلى النساء، وشرع لهن من الحقوق ما شرع للرجال الأشقاء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أوصى بالنساء خيراً، وجعل لهن ذكراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى من اتبع هديه الأسمى.

أيها المؤمنون:

لقد كانت المرأة قبل الإسلام مهانة ذليلة مظلومة مضطهدة، تعيش على هامش الحياة بلا كيان، ولا كرامة، ولا حقوق.

ولقد مَرّ على المرأة زمان كانت فيه إنسانيتها محلّ جدل ونظر، وبحث ونقاش. فقد كان الناس قبل الإسلام يبحثون عن حقيقة المرأة: هل هي إنسان أو حيوان؟ وإذا كانت إنساناً فهل لها روح أو ليس لها روح؟ وإذا كان لها روح فهل روحها نجس أو شرير؟ ورأت بعض الأديان أن المرأة ليست أهلاً للتكليف.

وكانت عند اليونان والرومان مجرد جارية تباع وتشترى في الأسواق، ولم يكن لها حق في ميراث، ولا حق في التصرف في المال.

وكانت عند الهنود تحرق وهي حية إذا مات زوجها.

وكان الفرس يبيحون الزواج بالمحارم كالأمهات والبنات والعمات والخالات.

وكانوا ينفون المرأة خارج المدينة في أثناء فترة الطمث، ويحرمون مخالطتها.

وكان اليهود يعتبرون المرأة لعنة، وسبب خطيئة آدم، وسبب الخروج من الجنة، وكانوا يحرمون المرأة من الميراث إن كان لها إخوة ذكور، ويجبرونها على الزواج من أخي زوجها المتوفَّى، ويعتبرون كلَّ شيء تمسه الحائض نجساً يجب غسله، وكل من يمسها يكون نجساً، وعليه أن يغتسل ويغسل ثيابه.

ولم تكن المرأة في المجتمع العربي الجاهلي أسعد حظًّا، فقد كانت تُورَثُ كما يورث المتاع. فكان الرجل إذا مات ورث ولده نساءه جميعاً، وحق له أن يتصرف فيهنَّ كما يشاء. وكانت المرأة تحرم من الميراث. وكان بعضهم يطلق المرأة ويشترط عليها ألاَّ تنكح إلاَّ من أراد.

وكان بعضهم إذا مات الرجل حبسوا امرأته على الصبي فيهم حتى يكبر فيتزوجها. وكان الرجل تكون اليتيمة في حجره يلي أمرها يحبسها عن الزواج، حتى يكبر ابنه الصغير ليتزوجها ويأخذ مالها.

ولم يكن للطلاق ولا لتعدُّد الزوجات حدٌّ، ولم يكن للمرأة - عموماً - حقٌّ في اختيار الزوج. وكان الزنا أمراً شائعاً.

وكان بعض العرب يئدون البنات خشية عار أو إملاق كما وصف الله عز وعلا:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1].

---

(1) سورة النحل: 58 ـ 59.

وجاء الإسلام ليرفع الظلم عن كاهل المرأة، ويعيد إليها إنسانيتها المجحودة، وكرامتها المهنة، وحقوقها المهدورة.

جاء الإسلام ليقرر أن المرأة شقيقة الرجل في الإنسانية فهما مخلوقان من جنس واحد، ومركبان من جوهر واحد: قبضة من طين ونفخة من روح الله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا. . .﴾[1] أي خلق حواء من جنس آدم سواء بسواء.

جاء الإسلام ليقرر أن المرأة مكلّفة بعقائد الدين، مخاطبة بأحكام الشريعة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

جاء الإسلام ليقرر أن المرأة مسؤولة عن أعمالها أمام الله عزّ وجلّ، مجازاة بالخير خيراً وبالسوء سوءاً:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[3].

جاء الإسلام ليقرر أن المرأة ليست سبب الخطيئة، وأن الخروج من الجنة إنما هو أمر قدره الله قبل خلق آدم:

---

(1) سورة النساء: 1.

(2) سورة الممتحنة: 12.

(3) سورة النحل: 97.

﴿... إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ...﴾[1].

جاء الإسلام ليقرر أن المرأة كالرجل تملك إمكانات السمو العقلي، والسمو الروحي ولأمر ما أشاد القرآن بحكمة ملكة سبأ وصلاح سياستها لقومها، ولأمر ما أشاد القرآن بإخلاص امرأة عمران، وطهارة مريم أم المسيح عليه السلام، وتقوى امرأة فرعون.

جاء الإسلام ليقرر أن المرأة لها شخصيتها المستقلة وأن الزواج لا يلغي شخصيتها ولا أهليتها للتصرف والقرار.

إخوة الإيمان:

جاء الإسلام ليقرر للمرأة حقوقاً ثابتة تحفظ لها كرامتها، وترفع له مكانتها، وتضمن لها سعادتها.

جاء الإسلام ليقرر أن حياة المرأة مقدسة وأن العدوان عليها جريمة في حق المجتمع الإنساني، وتعدٍّ على حدود الله.

ولقد أدان القرآن بشدة صنيع الجاهليين الذين كانوا يئدون البنات، ورهب القرآن من هذا العمل الوحشي الدنيء بأسلوب مؤثر يهز الوجدان ويحرك المشاعر:

﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ * بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾[2].

جاء الإسلام ليقرر حرية الاعتقاد للمرأة، وليقرر حرية الرأي والتفكير:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ...﴾[3] فالمرأة حرة تختار عقيدتها بنفسها ولا يحق لأحد أن يفرض عليها أي مذهب أو عقيدة.

---

(1) سورة البقرة: 30.

(2) سورة التكوير: 8 ـ 9.

(3) سورة البقرة: 256.

جاء الإسلام ليقرر حق المرأة في اختيار شريك حياتها دون ضغط أو إكراه، وليقرر أن كلّ عقد يُبنَى على الإكراه باطل: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزوج الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن»**.

وتروي كتب الحديث أن خنساء بنت جذام زوَّجها أبوها وهي كارهة فأتت رسول الله ﷺ فردَّ نكاحها، وأن فتاة جاءت إلى الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، فجعل الأمر إليها إن شاءت أقرت ما صنع أبوها وإن شاءت أبطلته فقالت: قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلِّم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء.

فلا يحل لأحد بعد هذا أن يجبر فتاة على الزواج بمن لا ترغبه فهذا احتقار لكرامة المرأة، وجناية على مستقبلها، وتعدٍّ على حدود الشريعة.

جاء الإسلام ليقرر حق المرأة في التعبير وإبداء الرأي في شتى المسائل الخاصة والعامة، ومن منا لا يذكر موقف المرأة التي اعترضت على عمر حين أراد تحديد المهور فاعترف بخطئه وتراجع عن عزمه.

جاء الإسلام ليصون شرف المرأة، ويحفظ سمعتها، ويصون كرامتها، فحرم قذفها بالباطل واتهامها بالبهتان.

والذين يسيئون إلى المرأة ويلوثون سمعتها لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة يقول الله عز وعلا:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(1).

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

---

(1) سورة النور: 4.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

إخوة الإسلام:

جاء ديننا الحنيف ليقرر مسؤولية المرأة في إصلاح المجتمع، والعمل على تقدمه وترقيته، والاهتمام بشؤونه وتوجهاته: يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

جاء الإسلام ليقرِّرَ حق المرأة في المشاركة في العمل السياسي وممارسة الشورى، والمشاركة في إبداء الرأي واتخاذ القرار، والمشاركة في تحمل المسؤولية العامة وتنفيذ إرادة الجماهير، يقول تعالى:

﴿. . . وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ. . .﴾[3]. أي بين المسلمين جميعاً رجالاً ونساءً.

ولقد فرض لله عزّ وجلّ على المرأة الحج، وأباح لها حضور الجُمَع والجماعات والعيدين، وهذه كلُّها مؤتمرات سياسية شعبية يتشاور فيها المسلمون، ويتفقون على ما يصلح حالهم، ويتعاونون على البرّ والتقوى.

يقول الرسول ﷺ: **«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»**.

ومن منا ينسى يوم صلح الحديبية، يوم أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن ينحروا بُدْنَهم، ويحلقوا رؤوسهم بعد أن حيل بينهم وبين دخول مكة،

---

(1) سورة النور: 23 ـ 24.

(2) سورة التوبة: 71.

(3) سورة الشورى: 38.

وأداء العمرة، فتأخروا في تنفيذ أمره لأنهم ظنوا أن الصلح امتهانٌ للمسلمين وهضم لحقهم، فتضايق رسول الله ﷺ، ولجأ إلى زوجه أم سلمة وذكر لها ما لقي من الناس فقالت: يا نبيَّ الله اخرج، ثم لاتكلِّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. ففعل رسول الله ذلك فلما رآه المسلمون قاموا فنحروا وحلقوا، والتأم جمعهم حول نبيِّهم وقائدهم. وهكذا حسمت أم سلمة الموقف برأيها الحصيف، وإشارتها الحكيمة.

ولقد شاركت المرأة على عهد رسول الله ﷺ في المبايعة السياسية، وشاركت في عهود الخلفاء الراشدين في الاهتمام بشؤون المجتمع، وإصلاح ذات البين.

جاء الإسلام ليقرِّرَ حق المرأة في ممارسة الأنشطة العامة، وممارسة ضروب النشاط الاجتماعي والثقافي والرياضي. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يسابق عائشة رضي الله عنها في العدو فسبقته يوماً وسبقها يوماً فقال عليه السلام: **هذه بتلك**.

ولا ينبغي لأحد أن يمنع النساء من ممارسة النشاط العام متعلِّلاً بقوله تعالى:

﴿... وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾[1]. فهذه الآية لا تعني حبس المرأة بين أربعة جدران، ولا تعني النهي عن خروج النساء من البيوت، بل تعني النهي عن الإكثار من الخروج لغير حاجة، والنهي عن التسكع والتبرج والفتنة.

وكلنا نعرف أن نساء النبي وسائر النساء كن يخرجن لحاجاتهن في حياة النبي وبعده. ومعروف أيضاً أن رسول الله ﷺ أمر النساء بالخروج لصلاة العيدين. تقول أم عطية الأنصارية: «**أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرج في الفطر والأضحى؛ العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين**».

---

(1) سورة الأحزاب: 33.

عبادَ الله:

رسالة الإسلام جاءت لتعطيَ المرأة حقها في الملكية، وحقها في التصرف. يقول تعالى:

﴿... وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا...﴾(1).

جاءت رسالة الإسلام لتعطيَ المرأة حقها في الميراث:

﴿... وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾(2).

وجعْلُ الشريعة نصيبَ المرأة من الميراث نصفَ نصيب الرجل ليس راجعاً إلى نقصان أهليتها بل هو عائد إلى عدم تكليفها بالإنفاق على الأسرة.

جاءت شريعة الإسلام لتمنح المرأة حق العلم: يقول الرسول ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم**»، ولتمنحها حقَّ العمل المناسب. وما أحوج مجتمعاتنا الإسلامية إلى الأم المتعلمة التي تحسن تربية أولادها وتحسن تعليمهم وتثقيفهم، وما أحوج مجتمعاتنا إلى الطبيبات المسلمات والمدرسات والممرضات.

جاءت شريعة الإسلام لتقرِّرَ أن المرأة كالرجل مسؤولة عن حماية أرضها ووطنها. ومشاركة المرأة في معارك الإسلام زمن الرسول ﷺ أمر ثابت لا يقبل الجدل والمناقشة، قالت أم عطية: «**غزوت مع النبي سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى**».

وهناك نساء شاركن في قتال العدو بالسلاح.

ونحن نرى اليوم دور المرأة في جيوش العالم، ونرى اليوم كيف

---

(1) سورة البقرة: 229.

(2) سورة النساء: 7.

تتدرب النساء في الكيان الصّهيوني على السلاح، وكيف ينخرطن في صفوف جيش العدو، وكيف يقاتلن جنباً إلى جنب مع الصهاينة.

فليتدرب الرجال ولْتتدرب النساء استعداداً للمعركة الفاصلة مع أعداء الأمة، واستعداداً للدفاع عن الأوطان.

أحبابَ الله:

إن ديننا الحنيف يأمرنا بالإحسان إلى النساء ومعاملتهن بالمعروف: يقول تعالى:

﴿. . . وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ. . .﴾[1].

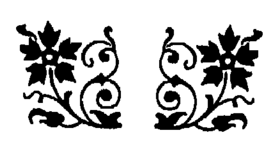
ودينا يأمرنا بأداء حقوق النساء. يقول تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ. . .﴾[2].

ورسولنا ﷺ أوصى بالنساء خيراً فقال في خطبة الوداع: **«استوصوا بالنساء خيراً»** وقال: **«ألا إن لكم على نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا»**. كما قال ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم»**.

فَلْنَتَّقِ الله في نسائنا، ولنطع الله ورسوله:

﴿. . . وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].



(1) سورة النساء: 19.

(2) سورة البقرة: 228.

(3) سورة الأحزاب: 71.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾

الحمد لله رب العالمين، الرحمَن الرحيم، الودود الكريم، يأخذ فيبقي، ويبتلي فيلطف، ويقضي فيرحم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمر بإكرام الأيتام، وصيانة حقوقهم، وتوفير الحياة الكريمة لهم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وجده الله يتيماً فآواه، وضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه. اللهم صل وسلم وبارك على المصطفى محمد وعلى أتباعه ومن والاه.

أيها المؤمنون:

يقول الله عز وعلا:

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾(1).

إن الحياة ملك لله سبحانه يأخذها حين يشاء. وقد يتوفى الله الأب أو الأم، وقد يتوفاهما معاً فيصبح الأطفال أيتاماً يحتاجون إلى من يعوّضهم حنان الأمومة وعطف الأبوة.

واليتم ليس نقيصةً ولا عاراً بل هو قضاء الله وقدره ابتلاءً للأم عند فقدان الأب، وابتلاءً للأب عند فقدان الأم، وابتلاءً للأقارب عند فقدان

(1) سورة الملك: 1 ـ 2.

الأبوين، وابتلاءً لكثير من الناس الذين تشاء الأقدار أن يكون لهم علاقة بالأيتام، وابتلاءً للأيتام أنفسهم حينما يبلغون سن الرشد:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

واليتم لا يعني النهاية، ولا يعني التعاسة، فإذا مات الأبوان أو أحدهما فإن الله حيٌّ لا يموت، وإذا مات المعيل فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين. وإذا حُرِمَ الطفل من حنان أمه وأبيه فإن الله يتولّى أمره. ويسخِّر له من يقوم مقامَ أبويه، ويقذف في قلوبهم العطف والرحمة. وكم من أطفال تهيأت لهم حياةٌ أسعد وأرغد وهم أيتام، وكم من أطفال عاشوا حياةَ الشقاء والتعاسة وآباؤهم وأمهاتهم على قيد الحياة.

واليتم لا يعني إغلاق سبل التفوق والنجاح أمام اليتيم، فكم من أيتام بلغوا من المراتب والمراكز، ومن العلم والمعرفة، ومن الغنى والجاه، ومن الصيت والشهرة ما لم يبلغه أقرانهم الذين كانوا يتمتعون بحنان الأم ورعاية الأب.

ألم يكن محمد ﷺ يتيماً، فقد أباه قبل أن ترى عيناه النور، وفقد أمه في السادسة من عمره، ولكن يتمه لم يمنعه من أن يكون سيد الأولين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسلين، والمبعوث رحمة للعالمين. لقد تولّى الله رعايته، وسخَّر له من أقربائه من يكفله ويربيه. أليس الله تبارك وتعالى هو القائل:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[2].

---

(1) سورة الأنبياء: 35.

(2) سورة الضحى: 6 ـ 8.

وعيسى عليه السلام، المعجزة المتجسدة، والآية الباهرة، والنبي الرسول ألم يُخْلَقْ من غير أب؟

وموسى عليه السلام، كليم الله، ألم يقض معظم حياته في مقر فرعون بعيداً عن أمه أبيه؟

ويوسف عليه السلام، العفيف الطاهر أمين خزائن مصر ومنقذها من المجاعة، ألم يفقد أمه في طفولته، ويُحْرَم من أبيه مدةً طويلة؟

أيها المسلمون:

إن اليتيم أمانة في أعناقنا، ومسؤولية على كواهلنا يجب أن نقدم له الرعاية والعناية، ونمنحه الحبَّ والحنان، ونؤمِّنَ له التعليم والتربية، ونقدم له التوجيه والإرشاد، ونمدَّ له يدَ العون والمساعدة، ونغنِيَهُ عن ذلِّ السؤال وحاجة الناس، ونجعله يتمتع بشخصية طبيعية متحررة من العقد النفسية والسلبيات، ونصنع منه رجلاً صالحاً يخدم عقيدته ووطنه وأمته.

وديننا الحنيف يدعو إلى إكرام اليتيم، والإحسان إليه، والعدل في معاملته، وتوفير سبل الحياة العزيزة له:

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[1].

ويقول تعالى:

﴿. . .وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾[2].

ويقول عزّ وجلّ:

---

(1) سورة الضحى: 9.

(2) سورة النساء: 127.

﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ. . .﴾[1].

والقرآن يعتبر إكرام اليتيم من صفات المؤمنين الأبرار الناجين يوم القيامة:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[2].

ويعتبر القرآن الإساءة إلى اليتيم والقسوة عليه من صفات الكفار والأشرار:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ * فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾[3].

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ * وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[4].

والقرآن الكريم يدعو إلى مخالطة اليتامى، ومعاملتهم كالإخوة حتى لا يشعروا بالنقص ولا يعانوا من مرارة اليتم والحرمان:

﴿. . . وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[5].

---

(1) سورة النساء: 36.
(2) سورة الإنسان: 8 ـ 12.
(3) سورة الماعون: 1 ـ 2.
(4) سورة الفجر: 17 ـ 18.
(5) سورة البقرة: 220.

وحيثما يرد في القرآن ذكر الصدقة والنفقة، وذكر العطاء والبذل ترد الدعوة إلى إعطاء اليتامى وإكرام اليتامى: يقول الحق عزّ وعلا:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[1].

ويقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[2].

ورسولنا محمد ﷺ دعا إلى رحمة الأيتام والمحافظة على حقوقهم:

جاءه رجلٌ يشكو قسوة قلبه ويطلب علاجاً لهذا المرض الخطير فقال له ﷺ: **«امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين»**.

ويقول الرسول صلوات الله عليه وسلامه حذراً من تضييع حق اليتامى: **«اللهم إني أحرج حقَّ الضعيفين اليتيم والمرأة»**.

ويبين الرسول ﷺ أن أولئك الذين يمدون يد العون للأرامل اللواتي يربين اليتامى غالباً ينالون أجر المجاهدين في سبيل الله أو أجر الذين يصومون النهار ويقومون الليل: يقول المصطفى ﷺ: **«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالقائم الليل الصائم النهار»**.

عباد الله:

إن ديننا الحنيف يدعونا إلى كفالة اليتيم، وتحمل مسؤولية تربيته وتعليمه، وتدبير شؤونه، ورعية ماله. وحضًا للمسلمين على القيام بهذه المَهَمّة النبيلة أعلن رسولنا محمد ﷺ أن كافل اليتيم جزاؤه الجنة وصحبة

---

(1) سورة البقرة: 215.

(2) سورة النساء: 8.

المصطفى ﷺ فيها. قال رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام: **«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»** وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما.

ولقد كان الحبيب المصطفى ـ كشأنه دائماً ـ قدوةً في هذا الجانب حيث كفل الأيتام ورباهم وعلَّم الناس كيف تطابق أفعالُ المؤمن أقوالَه، وكيف يطابق سلوكُ المؤمن شريعةَ القرآن.

وإذا كان لليتيم مال فإنه في عنق الوصيِّ ينبغي أن يرعاها ويتقيَ الله فيها. وينبغي على الوصيِّ أن ينميَ هذا المال ويستثمرَه ويحرصَ عليه وكأنه ماله.

ولقد أجاز الإسلام للوصيِّ أن يتاجر في مال اليتيم ويشارك فيه حسبما يحقق المصلحة والفائدة:

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ...﴾[1].

وإذا تفرغ الوصيُّ لإدارة أعمال اليتيم واستثمار أمواله جاز له أن يتقاضى أجراً على ذلك وإن كان غنيًا فخير له أن يَعَفَّ عن مال اليتيم، ويرعى شؤونه لوجه الله يقول الغفور الودود:

﴿...وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ...﴾[2].

أيها الأحباب:

إياكم ومالَ اليتيم. فإن أكلَ مال اليتيم ظلمٌ عظيمٌ، وذنب كبير، حذر منه القرآن، وهدَّد مرتكبيه بالعذاب الشديد وسوء المصير: يقول الله تبارك وتعالى:

---

(1) سورة الإسراء: 34.

(2) سورة النساء: 6.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[1].

ورسولنا محمد صلوات الله عليه وسلامه عدّ أكل مال اليتيم من أكبر الكبائر ومن السبع الموبقات حين قال: **«اجتنبوا السبع الموبقات قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يومَ الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»**.

والقرآن الكريم يحذر الأوصياء من استبدال الرديء من أموالهم بالطيب من مال اليتيم: يقول تبارك وتعالى:

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[2].

والقرآن الكريم يحذر الأولياء من حرمان اليتامى من الميراث خاصة إذا كن إناثاً كما كان يفعل عرب الجاهلية: يقول الواحد الأحد:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[3].

والقرآن الكريم يدعو الأوصياء الذين يربون اليتيمات أن يتزوجوا أو يزوّجوا أولادهم بغيرهن إذا خافوا الوقوع في ظلمهن وعدم إعطائهن مهورَ أمثالهن:

يقول المولى عز وعلا:

---

(1) سورة النساء: 10.

(2) سورة النساء: 2.

(3) سورة النساء: 7.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ. . .﴾[1].

والقرآن الكريم يأمر الأوصياء بإعادة الأموال التي تخص الأيتام إلى أصحابها حينما يبلغون ويرشدون، ويصبحون قادرين على تصريف شؤونهم، والاعتماد على أنفسهم: يقول أصدق القائلين:

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا. . .﴾[2].

عباد الله:

إذا كنا نخاف على أولادنا أن يضيعوا بعد موتنا فما علينا إلا أن نحسن معاملة اليتامى، ونرعى حق الله فيهم، حتى يرعى الله ذرياتنا، ويسخّر لهم من يحسن إليهن ويعطف عليهم يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[3].

ولا شك أن صلاح الآباء سبيل إلى سعادة الأبناء في حياة الآباء وبعد مماتهم.

ولنا في قصة موسى والرجل الصالح دليل وعظة وعبرة: إن القرآن يخبرنا أن الرجل الصالح وجد في قرية جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه وأصلحه لوجه الله برغم أن أهل تلك القرية بخِلوا بالضيافة على نبي الله موسى عليه السلام والرجل الصالح. ولكن لماذا هذا التصرف الغريب؟ وما

(1) سورة النساء 3.

(2) سورة النساء: 6.

(3) سورة النساء: 9.

الحكمة وراء ذلك السلوك العجيب؟ اسمعوا جواب القرآن على لسان الرجل الصالح:

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[1].

فالله اللّهَ في اليتامى. أحسنوا إليهم، واحفظوا حقَّهم، وكفكفوا دموعَهم، وقوموا مقامَ آبائهم.

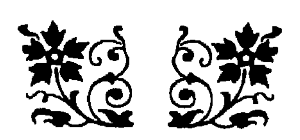
اللّهَ اللّهَ في يتامى الشهداء الذين استشهدوا في معارك الشرف والتحرير، وفي معارك الدفاع عن العقيدة، في كلِّ بقعة من الأرض العربية والإسلامية.

اللّهَ اللّهَ في يتامى البلاد الفقيرة الذين لا يجدون المأوى والذين يتلقفهم أعداء العروبة والإسلام ويتولون تربيتهم على المبادىء الهدامة والعقائد الفاسدة ليحاربوا الإسلام والمسلمين.

اللّهَ اللّهَ في اليتامى والأرامل والمساكين والضعفاء.

والاستجابةَ الاستجابةَ لنداء القرآن:

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2].



(1) سورة الكهف: 82.

(2) سورة الضحى: 9 ـ 11.

﴿... وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً...﴾

الحمد لله الذي علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، برأ اللسان لينطق بالحق ويقول الصدق ويصلح الخلق.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كان أصدق الناس قيلاً وأعذبهم حديثاً، فتح بالكلمة الطيبة القلوب، ونوّر بالكلمة الصادقة العقول، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه الطيبين الطاهرين.

أيها المؤمنون:

إن اللسان نعمة من نعم الله العظيمة، ومنّةٌ من مننه الكريمة، به يعبّر الإنسان عما يريد، ويفصح عما يشعر، وبه يشهد الإنسان شهادة الحق، ويدعو إلى الخير، ويصلح بين الناس.

واللسان خطره عظيم. إذا تركه صاحبه دون ضابط وأطلقه دون هاد، وأرسله دون كابح، قاده الشيطان، وسار بصاحبه إلى المهالك. وإذا قيّده بقيد الشرع، فأطلقه في الخير والمعروف، وكفّه عن الشرّ والمنكر سعد صاحبه في الدنيا والآخرة.

والكلام الذي نقول ليس عبثاً، وليس لهواً ولا لعباً، بل هو أمانة ومسؤولية، وعليه حساب وجزاء. فهناك رب يسمع، وهناك ملائكة تسجل، وهناك صحف تكتب، وهناك جوارح تشهد، وهناك سؤال وحساب وثواب وعقاب.

فالله عزّ وجلّ وَكّل بنا ملائكة حافظين:

﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1] وهم يكتبون ما نقول، حتى لا تظلم نفسٌ يوم القيامة، ولا يكون لأحد حجة على الله.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2].

قال معاذ رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، أنؤاخذ بما نقول؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟!

والمسلم الحق هو ذلك الذي يحفظ لسانه، ويكف أذاه عن الناس: يقول الحبيب المصطفى ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»**.

أيها المسلمون:

إن الله عزّ وجلّ قد مَنَّ علينا بنعمة البيان لننطق بالكلمة الطيبة، وندعوَ للخير والإحسان:

﴿. . . وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا. . .﴾[3] وإن الشيطان هو الذي يوسوس للإنسان بقول المنكر حتى يوقِدَ نار البغضاء والعداوة بين الناس:

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[4].

فلْنختَرْ أحسن الكلام، ولْنقلْ أطيب القول، طاعة لله، وحرباً للشيطان. فالكلمة الطيبة تثمر المحبة والمودة بين الناس، وتزرع الوئام محلَّ الخصام، والأُخوّة محل العداوة:

---

(1) سورة الانفطار: 11 ـ 12.

(2) سورة قٓ: 16 ـ 18.

(3) سورة البقرة: 83.

(4) سورة الإسراء: 53.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1].

والكلمة الطيبة التي تصدر من القلب، تقع في القلب، وتثمر الخير إن لم يكن اليوم فغداً: يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۞ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2].

إخوة الإيمان:

إننا إذا نظرنا فيما يدور بيننا من كلام، وما يملأ مجالسنا من حديث، نجد أن أكثره لغو تافه، يضيع الأوقات الثمينة، ويضيع الأجور الغالية.

وما دمنا مسؤولين عن الكلمة، ومحاسبين على القول ينبغي ألاّ نخوض إلا فيما يفيد، ولا نقول إلا ما ينفع، يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

ويقول الرسول ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيراً أو ليصمتْ»**.

(1) سورة فصلت: 34 ـ 35.

(2) سورة إبراهيم: 24 ـ 25.

(3) سورة النساء: 114.

وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أولئك الذين يبتعدون عن الثرثرة وفضول الكلام، ويصونون ألسنتهم عن اللغو والحرام، ويبتعدون عن مجالسها التي يقعد فيها الشيطان:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[1].

فلنحذر اللغو ـ عبادَ الله ـ لنكون فيمن وصفهم الله بقوله:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[2].

إخوة الإسلام:

إن الله عزّ وجلّ هو الحق، وخلق الكون بالحق، وأمر بكلمة الحق فلْننطق الحق، ولْنقل الصدق، لنتخلق بأخلاق الله، ونفوز برضاه. فالكذب ليس من صفات المؤمنين، وهو جبن ونفاق لا يليق بالمسلمين.

يقول الحق عز وعلا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3].

ويقول الرسول ﷺ: **«عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البرّ وإن البرّ يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق ويتحرّى الصدق، حتى يكتب عند الله صدّيقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب، ويتحرّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»**.

ويقول الرسول ﷺ: **«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن**

---

(1) سورة القصص: 55.

(2) سورة المؤمنون: 1 ـ 3.

(3) سورة التوبة: 119.

كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتُمِنَ خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

ومن أخطر أنواع الكذب الذي يتسامى عنه المسلم شهادة الزور لأنها تضيِّع الحقوق، وتنشر الفوضى، وتذهب بالأرواح البريئة: يقول الحق جل وعلا:

﴿... فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾(1).

ولقد عدَّ الإسلام قول الزور من أكبر الكبائر، وقرنه بالشرك بالله عز وجلّ لأن المشرك ينكر الحقيقة، وشاهد الزور ينكر الحقيقة أيضاً: يقول الرسول ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا. بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا. ليته سكت».**

ومن أخطر أنواع الكذب الذي يتعالى عنه المسلم قذف الناس بالفاحشة، واتهامهم بالباطل، والافتراء عليهم بالكذب، وترويج الشائعات عنهم بالزور والبهتان.

وقد حذر الله عزّ وجلّ من هذا الصنيع أشد التحذير حين قال:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(2).

وحين قال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(3).

---

(1) سورة الحج: 30.

(2) سورة الأحزاب: 58.

(3) سورة النور: 19.

عبادَ الله:

في كثير من المجالس يذكر بعض الناس إخوانهم بما يكرهون، ويذكرون عيوبهم ونقائصهم وهم غائبون، وينهشون لحومهم وهم غافلون، ويزرعون الأحقاد والعداوات من حيث يدرون أو لا يدرون.

والله عزّ وجلّ نهانا عن الغيبة، وشبه المغتاب بمن يأكل لحم أخيه وهو ميت حتى ينفّرنا من هذا الصنيع، ويطهّرنا من هذا السلوك الوضيع: قال جل جلاله:

﴿...وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وذكرُ الآخرين بما يكرهون، وهم غافلون غائبون، سواء أكان المغتاب صادقاً أو كاذباً نهى عنه الحبيب المصطفى ﷺ حين قال لأصحابه رضوان الله عنهم: **أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال؛ ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته.**

والمسلم الحق هو الذي يدافع عن أخيه المسلم في غيبته، وينصح المغتابين بكفّ أذاهم عن الناس. قال رسول الله ﷺ: **«من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة»**.

فلنتق اللّهَ في إخواننا، ولنحفظ ألسنتنا وَلْنُطَهِّرْ قلوبنا.

أيها الأخوة:

هناك بعض الناس الذين لا يتورعون عن نقل الكلام، والمشي بالنميمة، ولا يخفى عليكم كم جَرَّ هذا السلوك من مشاكل، وسبَّب من خصومات، وقطع من أرحام. ولقد حذَّرَنا رسولنا ﷺ من النميمة وعواقبها

---

(1) سورة الحجرات: 12.

الوخيمة حين مَرَّ بقبرين فقال: **إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»**.

والله تبارك وتعالى نهانا عن الاستماع للنمامين، واتباع المفسدين حين قال:

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾(1).

وينبغي ألاّ نفرح بأولئك الذين ينقلون إلينا كلام الآخرين لأنهم سينقلون كلامنا أيضاً ويسببون لنا العداوات والخصومات.

وبعض الناس - أيها الإخوة - يسبون ويشتمون، ويسخرون من الناس ويهزؤون، ويجري على ألسنتهم فاحش القول وبذيء الكلام. والمؤمن كما وصفه رسول الله ﷺ ليس بطعّان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء.

والله عز وجل يأمرنا أن نعامل الناس بأدب واحترام، وألاّ نرتكب الفسوق بعد الإيمان:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾(2).

أيها الأحباب:

حريٌ بنا أن نتلفت إلى أنفسنا، وننشغل بإصلاح عيوبنا، ونحفظ ألسنتنا، وكلنا خطاؤون وخير الخطائين التوابون، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم.

---

(1) سورة القلم: 10 - 12.

(2) سورة الحجرات: 11.

الفهرس

بـاب المناسبـات

بـاب القضايـا الاجتماعيـة